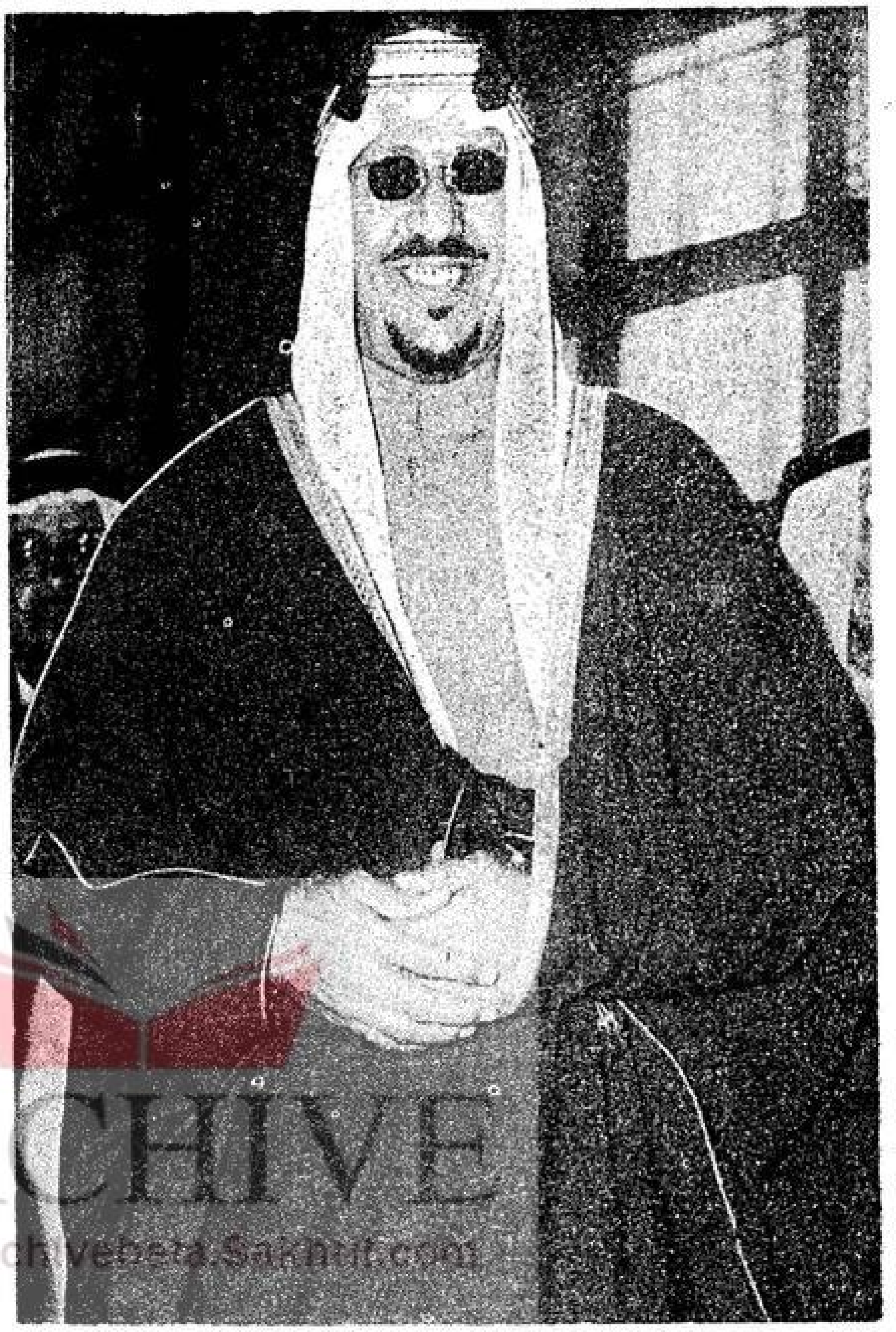


جلالة الملك سعود الاول

عاهلَ المملكة العربية السعودية

•

زار لبنان في اواسط الشهر الماضي صاحب الجلالة الملك سعود الاول عاهل المملكة العربية السعودية فاحتفى لبنان شعبا وحكومة بالزائر الكبير الكريم احتفاء بالغا رائعا نظرا لما يكنه لجلالته من عميق شعور المحبة والاحترام .

فنرجو ان يكون لهذه الزيارة الكريمة اثرها البعيد في جمع شمل العرب وتوحيد صفوفهم وكلمتهم .

•

[تلفت نظر القارىء الى جولة الاديب من هذا العدد ابتداء من صفحة ٧٠ حيث يجد بعض ما يجب معرفته عن العاهل العربي وعن البلادالعربية السعودية في نهضتها الحديثة] .

صبا نجد

ooo

أمن ملاب الشيح والرند
أم من لعاب الشفق الوردي
أم من حباب الطل فوق الغضا
صغتِ التحايا يا صبا نجد ؟
هداكِ رب البيت ، لم تخطئي
باب سعود ، جامعِ السعد
حمّالةَ الطيب انضحي بالشذا
حمّالَ سيف الله والبند
لا تزحمي المُدّاح من حوله
جلَّ قصيد الحب عن قصد..
شقّي الى عبد العزيز الثرى
وانسكبي ندا على ند
في لحده ، ان طفتِ ، او عرشه
أنتِ على باع من الخلد
سعود ، شاء الله ان تبتني
مجدا على ارث من المجد
كنانة الاعراب ان اقفرت
زوّدتها بالسهم والزند
زدنا ــ يزدكَ الله من فيضه ــ
رفدا على رفد على رفد
ما أنت للدنيا التي تزدهي
بل أنت للدين الذي يهدي

جورج صيدح

بعض قضايا الشعر

بقلم ايلي الحاوي

ooo

لعله لم يسلف في طبيعة الشعر الا آراء مبتسرة ، ذاتية او خرافية ، نمته آنا الى جنيٍّ رئيٍّ ، وآونة الى الهة من الغيب ، وثمة فلذات من التحاديد التي اطلقها بعض الادباء ، كقولهم « الشعر ديوان العرب » او « هو ضرب من التصاوير » وكثير الى ذلك مما لا جدوى ، بعد ، من الافاضة بذكر تفاصيله . فلقد اصبح من العبث ان نجاري قدامة بن جعفر ، فنقصر الشعر على الوزن والقافية ، كما انه لا مجال لتمييز عناصره ، فندعي كما ادعى اليونان ان حوذيَّ العقل يتولى فيه عربة الخيال وخيول العاطفة .

قضية العقل

ان العقل لا يتصرف الا بما تبينه البينات والقرائن ، يرفدنا بحقائق قد تغلب فيما نتحدث به ونطالعه او نشاهده في الطبيعة ، فهي تقرير نقبل وضوحه ، لكنه لا يدعنا نشعر بذهول الاشياء وظلالها اي شعرها . اما اذا تموهت اضواء الحقائق العقلية في ظلمة التجربة ، وغاضت في تيار النفس ، تجاريه دون ان تحوله ، ترفده دون ان تغصبه فانها ترابط اجزاء التجربة واطراف التشابيه بجذور خفية ، يجمعها وينيرها المنطق بضوئه الصامت . ولعله اذا افتقد الشعر هذه الجذور ، اعتل بالاختلال في اجزائه ، والعبث والمستحيل في تشابيهه واستعاراته . فلا يعود يشخصها الذهن كما انه لا تحسس بها النفس فهي ليست تنطوي على منطق ذلك ويقين هذه ، لم يشحذها العقل بضوء حقيقته ولم تكسها العاطفة بصدق احساسها لذلك نستشف عبرها ، مستحيلا لا ترضى به الذائقة المثقفة . فالعقل اذا ينبغي ان يكون تلك الروح الخفية الذي تسري في خلايا الصورة والتشابيه ، لا نبصرها او نعيها ، لكننا نشعر بها تختلج في خلية التجربة ، تسيرها حينا وتسايرها احيانا . اما اذا تسلطت عليها من الخارج ، فهي توشك ان توهنها وتعدمها . لذلك بصرنا بالتشبيه الذي يمثل عملية سيلوجيسم منطقي بطرفيه ووجهه ، بصرنا به يعدم حقيقة التجربة فلا يبقي الا معاني تختلف ملامحها هدما وبناء ، بينما تلبث المعاناه النفسية مقيدة ، تتحفز دون ان تعلن ، نشعر بها في عتمة النفس ، دون ان نشاهدها في اضواء الحروف . ولعل نزوع التعبير الشعري من التشبيه الى الاستعارة التي ليست الا تشبيها مبتورا ، لعل ذلك ، لم يكن في الواقع الا خطوة مغفلة ، تسعى الى ان تغمر النفس بشيء من الغموض الذي يتولد عندما يقع احد طرفي معادلة التشبيه . ومن ثمة خلصت العبارة الى الرمز الذي نقض واقع التشبيه والاستعارة وافضى الى شبه حلولية تغفل فيها تلك الاطراف جميعا . فالنزوع من التشبيه الى الاستعارة فالرمز ، لم يكن في الواقع سعيا وراء العبث ، وانما كان يمثل محاولة الانسان ليتملى ويتحسس حقائق نفسه بعد ان عجز عن ان يعيها ويوضحها .

ولقد طالما بصرنا بجماعة النقاد ينعون على بعض الشعراء المعاصرين سعيهم للتخلص من ادوات التشبيه ، ونموا ، ذلك ، الى عبث خارجي ، والتزام ما لا يلزم من صعوبة ، لا يجدي الانتصار عليها انتصارا على النفس .

ان السعي للتخلص من ادوات التشبيه ، ليس الا وجها للتخبط بمأساة الابداع ، بين ما نشعر به حيا ، حارا ، مبرما وكثيرا في النفس ، وبين ما نفتقده باردا ميتا ، لا مباليا ، وقليلا ، في الشعر ، ولقد ادرك الشعراء ان هذا التباعد بين الواقع النفسي والواقع الشعري ، يمت بكثير الى الاساليب التي نعتمدها في نقل ذلك الغموض . فالغنى الداخلي هو غنى المعاناة والتجربة ، اما فقر الشعر ، فهو فقر المنطق الذي امات تلك الحالة . فحاولوا ان يتوسلوا لنقل ذهولهم باساليب يتحسسونه بها دون ان يوضحوه او يعوه . وهكذا تمردت الصورة على عقم التشبيه والاستعارة وجعلت تتغيب وتغرق في الفوضى والتشرد ، تجمع اطرافا ونتفا متباشة ، وربما متناقضة ، تغشى الوعي بالهذيان ، والخطوط بالظلال ، لتقضي على مظاهر التقرير ، فيصبح المنطق منطقا قاتما ، مظلما ، شبكة شفافة غير منظورة تمتد وتتشعب بامتداد نتف تلك الصور ، وتشعب لحظات ذلك الضوء القلق المتلاحق . فالمنطق بذلك ، لا يرسم خطوط الصورة ، بقدر ما يتموج خلالها ، يجتزيء بملامح ضمنية ، تستتر لكنها لا تضمحل ، تبتسر لكنها لا تنقطع ، تلتبس على وعي الذهن فتختلج في عصب القلب .

ولعلنا بتنا نصدف عن بعض الصور والتعابير الرومنطيقية ، لان هؤلاء كانوا يبذلون كثيرا من العاطفة والغرابة في صورهم فطفقوا يؤثرون على الاعصاب بالانفعال العنيف في العاطفة والغرابة والدهشة في الخيال ، دون ان يبنوا النشوة الفنية الوئيدة ، لان المنطق لم يكن يزجي ادبهم كما انه لم يكن يقتفي اثره .

اثر المنطق في البناء الفني

ولعل لهذا المنطق القاتم اثرا اخر في البناء الفني الداخلي . ذلك ان بعض المعاني ينبغي ان يبتسر او ان يفاض بها وفقا لوحدة الموضوع . فالمعاني والتشابيه والاستعارات فضلا عن الصور ، هذه جميعا ليست الا ملامح شتى في لوحة القصيدة لا تتخذ دلالتها من ذاتها وانما مما سلف قبلها ومما يلي بعدها ، تظله وتستظل به . فليس لاعضاء الوجه في اللوحة حدود بذاتها وانما هي مقررة في حد الوجه ذاته ، وفي حدود كل منها ، بعض ببعض ، حتى اذا استقل احدها او بعضها ، يستحيل التعبير الفني او على الاقل تعدم فيه الشخصية والمعاناة وبالتالي الصدق . فالعين المطلقة او الفم المطلق اللذان يصلحان لكل وجه يبعدان بالتجربة عن الفن ويحولانها الى تقرير علمي مطلق لا انسانية فيه . وهكذا نشهد ان العملية الفنية تقوم في خلية كبرى مضمرة تربط الخلايا الظاهرة ليتم التعبير عن حقيقة الواقع ، لا عن واقع مغفل دون هوية . ولعل تحقيق هذا التناسب يقتضي قدرة تركيبية تتوفر بالرياضة الطويلة الوئيدة باعمال المنطق والهندسة التي تروض النفس على فضيلة العقل . فيقتصر الشعر بذلك ، على الجنوح الى الاستطراد ومجانبة الموضوع الاصيل

بموضوع عارض في تشبيه يفاض بوصوفه او فكرة تكثر ملاحقتها مما يغلب في الشعر البدائي او في الشعر الذي لم تقدر لصاحبه رياضه عقلية هندسية توازنه وتهذبه دون ان تفصبه . وشد ما نشهد آفة الاستطراد واللاتناسب في المعلقة الجاهلية اذ يعمد الشعراء الى وصف البقرة الوحشية حركة اثر حركة ، ليشبهوا بها حصانهم . وقد بدا ذلك جليا في رثاء الخنساء لاخيها صخر :

وما عجول على بو تطيف به ... لها حنينات : اصغار واكبار
ترتع ما رتعت ، حتى اذا ادكرت ... فانما هي اقبال وادبار
لا تسمن الدهر في ارض وان ربعت ... فانما هي تحنان وتسجار
يوما باوجد مني حين فارقني ... صخر وللدهر احلاء وامرار

فاننا نراها تشبهت بالعجول في حنينها وافتقادها ، فاعترضت بين ما وخبرها بثلاث ابيات ، ولا تعود الى قرارة الموضوع ، حتى يكون الذهن قد تحول عنه ، ذلك جميعه يشهد على قصر العقل في ضبط الافكار وتصنيفها بما ييسر ملاحقة الموضوع ذاته فلا نقيم فيه مواضيع دونه او يستنفد فكرة على سائر افكاره . ومن ذلك ايضا وصف الفرات في شعر النابغة ، يستطرد اليه في حديثه عن كرم النعمان والى ذلك شواهد كثيرة نتجاوز عن ذكرها لانها مبذولة قريبة المتناول في كتب الادب ، وقد شهدنا رواد النهضة ممن عالجوا القصة خاصة ، يقعون بمثل هذه الفوضى في آثارهم اذ نرى المواعظ والمفاجآت تستطيل على الموضوع الاصيل وربما طفت عليه لضعف الهندسة الفنية فيهم وعدم انضباطهم في مناسبة الافكار والحوادث .

اثر العقل في السببية الفنية

وللعقل ، ثمة ، فضيلة السببية الفنية التي تحتم المعنى اللاحق في المعنى السابق كما تستفاد النتيجة من السبب . ولئن كان عدم التناسب يشكل التواءا او استطرادا في العملية الفنية فان عدم السببية يشكل انقطاعا لها يفتقد به الفن غايته ويقع في الفوضى والغموض وربما العبث . الا ان هذه السببية لا ينبغي ان ترد في وضوح البينات ، تستأنف بفاء ، وتستنتج باذن وتستثنى بالا ، وما الى ذلك من حروف المنطق الواعية ، وانما ينبغي ان تنداح امواجها الواحدة من قلب الاخرى .

نتبين من ذلك جميعه ان العقل ضروري لحياة الشعر بقدر ما يتغافل عن ذاته فيبقى منه روحه ، اسلوبه الحي ، نبصر آثاره المغفلة دون ان نبصره فيكون كالقدر في المسرحية اليونانية يؤثر على صيرورة الاشياء دون ان يظهر على مسرحها .

ولقد شهدنا جاهلية الشعر العربي تعدم هذه الفضيلة فلا تضمرها كما انها لا تستظهرها وانما تنقطع اسبابها ، بعضا عن بعض ، لا تلتحم فيها مقاطع القصيدة بموضوع واحد ، ولا تتحتم ابياتها اللاحق في السابق فالشاعر لا يلاحق صيرورة التجربة وانما يهذي بها في غفلة الاشياء، لذلك الفينا القصيدة الجاهلية تجتمع ابياتها ولا تتفق ، تتقارب ولا تتحد ، تتابع ولا تتوالد او تتسلسل .

ولعل التناسب في توزيع الافكار والزامها بسببية صارمة ، عبر وحدة فنية متكافئة لم يستقر الا في العصور العباسية ، عندما ادرك العقل ذاته ، وتداوله القوم في الترجمات وعلم الكلام حتى دخل الى معادلة نفوسهم ، ولقد جعلت قصائد ابن الرومي تجري في ذلك ، على شبه غرار هندسي منطقي ، تطلع بمقدمة عامة يعقبها بما يفسرها ويؤكدها او يبالغ بها في الابيات اللاحقة حتى يستنفدها او يميتها كما يقول ابن رشيق .

الا ان صراحة منطق ابن الرومي وتشدده به اوقعاه بآفة تناقض تماما تلك التي شهدناها في الجاهلي ، فقد كثر التكرار لديه وتواتر الحروف لايضاح المعنى حتى اوشك ان يعدم ظلاله وهالته ويتحول الى جفاف النثر . ولعل سوية الامور ان نعتدل بذلك ، فلا ندع العقل يقيد الحالة او يميتها بوضوحه وقرائنه ، كما اننا لا نعميه او نعدمه ، فتصبح القصيدة مجموعة من الالفاظ الكاذبة مثل الكهانة والرجم وما الى ذلك من اساليب يعمد اليها بعضهم للتمويه عن ابتذال معانيهم وقلتها .. لا شك ان الغموض يلازم طبيعة الشعر ، لكنه غموض نفسي ، غموض التجربة، والشعور وليس غموض التعبير الذي فقد القرائن فيما بين اجزائه .

وربما افاد بعضهم من هذا الواقع ليوهموا القارىء بعمق تجربتهم في غموضها ، بينما يتولد الغموض من عجز الاداء وضعف السببية والقرائن .

دور العاطفة

الا انه اذا لم يتناول الشعر الحقيقة المطلقة فانه لا يخلد الا اذا تناول عقدة النفس والتباسها على ذاتها في صراعها بين تلك الحقيقة المثلى والواقع ، بين اشواق الانسان التي تنعم في الحلم وتتعقد وتتردى وربما تستحيل في الحياة فالعاطفة تلزم النفس بواقعها ، وتخلق فيها عقدة الاسى ووهم الاشواق والمثل ، هي التي تحول الحقيقة المطلقة الى عقدة في النفس ، تصهرها بمصهرها فتصبح في الضمير بعد ان كانت في الذهن والمطلق ، تصبح في العصب بعد ان كانت في الذاكرة اللامبالية ، ولعلنا نتبين ذلك في مبدأ الخير الذي لا خلاف في مفاضلته على مبدأ الشر ، الا ان معرفة تلك الحقيقة ليست تورى النفس بذهول الشعر ، كما ان اعلانها لا يعدو ان يكون اعلان حقيقة مقررة. لكنه عندما يتحول الخير عن كونه معرفة في الذاكرة الى سلوك يصطرع فيه المصير بين تلك المعرفة او الحقيقة المثلى ، وما يبرم في النفس من نزوات تدفعنا للتقيد بما يشعر به عما نعرفه ، عندئذ تتحول حقيقة الخير اللامبالية الى مادة للشعر لانها اصبحت مشكلة ازمة تتنازع وجودها وتحقيق ذاتها مع الشر والفساد . فالعاطفة بما في ذلك الميول والنزوات والطبائع ، هذه جميعا عندما تواجه الحقائق والمعارف العامة تصطرع معها او تستبد بها فتتعقد وتذهل فتخصب النفس بنشوة الخلق . لذلك كان الشعر الصحيح تعبيرا عن معاناة الوجود ، عن تحقيقه في ذات الشاعر الذي يترجح بين مثال يصبو اليه وواقع يكبو فيه، بين يقين يشعر به ويقين يعرفه ولذلك كان اصدق الشعر ما كان صلاة ، تعبيرا عن معاناة النفس بين الخطيئة والفضيلة أي بين الواقع والفساد الذي نتردى فيه وبين المثل والحقيقة التي نتوق اليها ونعرفها .

ثم ان الحقيقة البينة المتعارف عليها تقف حدودها عند حدود الظاهرة ، يعاينها ويعيها وتتفق عليها الناس

جميعا فهي شائعة مقررة . الا ان العاطفة فيما تتصل بها تضفي عليها فهما جديدا ، لا نشاهده او نعيه لكننا نشعر به يختلج في قلوبنا ، لا يبدو في الظاهرة وانما نتحسس به عبرها او وراءها ، فيصبح يقينا نفسيا أي تجربة وبالتالي حالة شعرية . فالوردة في حقيقتها نبتة ذات بتلات وعبير، الا ان العاطفة تنزع مما يرى الى ما يتراءى فيها ، من واقعها الى واقعها النفسي ، فتصبح وردة اللون والشذا وردة الجمال والحنين وما الى ذلك مما تتموج في واقع النفس. فالشعر ينفذ بالعاطفة الى روح الاشياء ، الى الوجود الفعلي المنكفيء المتوارى ، الذي لا تبصره عين البصر وانما عين الذهن ، لا تسمعه اذن السمع وانما يفيض في سيمفونية النفس ، وهكذا نشهد العاطفة تكسو العالم الخارجي بعالم غيبي جميل ، نتعدى به انظمة الوعي والادراك ، يعبث به منطق يعبر بفوضاه واختلاله عن حقيقة النفس اكثر من المنطق المقنن المبذول .

الا ان هذا الواقع لا يعدو عمر لحظة عابرة ، يقين هنيهة تطول او تقصر لا يلبث ان يزول وتقع النفس في واقع جديد فالشاعر قد يتحدث احيانا عن اشياء لا يلبث ان يبصر باطلها وعبثها ، وربما اختلف فيما بعد الى نقيضها او لبث يترجح فيما بينها ، فليست تجارب الشاعر نظرية مباشرة مطلقة ، تتم احداها الاخرى ، حلقة اثر حلقة ، وانما قد تنقطع او تتناقض وتتشعب ، تجمعها او لا تجمعها وجدة فكرية ، لكنها تمثل ابدا يقين النفس ومعاناتها تحت وطأة الوجود او لم يشتد شعور ابي العلاء بنقصه حتى لعن نفسه والحياة :

خسست يا امنا الارض واف لنا ، بنو الخسيسة اوباش اخساء
لو كان كل بني حواء يشبهني فبئس من ولدت للناس حواء

فهو يعبر عن لحظة اسوداد ما عتمت ان انقشعت عن الامل والثقة بالنفس ، مما جعله ينقض اليقين القديم بيقين جديد لا يقل شعرا عما سبقه اذ لا يقل صدقا :

اني وان كنت الاخير زمانه لات بما لم تستطعه الاوائل

فبعد ان اجتمعت له اسباب التشاؤم واليأس وابرم في نفسه الشعور بقلته حتى كأنه اخس الناس ، اذا به ينبض من وطأة القنوط فتزهر نفسه وتثق بذاتها ، فلا يعود يشعر انه اخس من ولدته حواء بل اعظمهم جميعا . هكذا يظهر اضطلاع الشعر بنقيضين تامي الاختلاف دون ان يهي ويتشوه ، لانهما بالرغم من تناقضهما واختلافهما يوحدهما ويجمعهما صدق العاطفة والتجربة فالعاطفة هي التي تحول الظواهر المتخالفة او المتقاربة والمتناقضة الى شعر سوي لانها تحولها عن طبيعتها الشائعة وتنقلها الى حيز النفس فتطبع فيها بطابع جديد ، لذلك يبدو ان الشعر ليس معرفة او نظريات او ثقافة وانما هو تجربة حية لما يقبضها الوعي او تقيدها الاخلاق والتقية . ولعل اختلاف الموضوع في النفس يضفي عليه جدة ابدية في الشعر . فالمرء ذاته قد يلتفت الى مشهد فيبصره قاتما موحشا ، وفي لحظة نفسية اخرى يشهده فرحا بهيا ، ذلك ان الشاعر يخلع من تجربته ، من عاطفته على الاشياء ، فتتجرد من طبيعتها القديمة وتكتسي بدلالة جديدة من نفس الشاعر. ان ترجح النفس بين احوال الوجود ، يأسا واملا ، ايمانا وكفرا ، لا يعدو ان يكون اضواء شفافة تنعكس عليها مشاهد الطبيعة ، تتلون بالوانها وتمتزج بطبيعتها حتى ليقدر للظاهرة الواحدة ان يتعدد ويتشعب وجودها بقدر تعدد وتشعب التجارب النفسية التي تنعكس فيه او تتسلط عليه فالعاطفة اذا تحول الوجود اللامبالي الى مادة للشعر اذ لا تعبر عنه من خلال المطلق بل من خلال النفس ، هي التي تشحذ الخيال ، تشتد غرابته بقدر ما تتعقد العاطفة ، فالخوف يولد الاخيلة والاشباح والشوق يولد الوهم . كما ان الحلم ليس الا عاطفة تتحقق في عالم الخيال لانها قصرت في عالم الواقع .

دور الخيال

ان الخيال اذن هو الحدقة التي تجسد العاطفة ، يرسم لها شكلا في الذهن ، فهو يمثل الغرفة المظلمة التي تتم عبرها الصورة النفسية لكنه في الوقت ذاته الجناح الذي تمتطيه العاطفة لتنفذ من حدود الواقع الى الغيب المستسر وراءه ، قال المتنبي :

بناها فاعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم

ان عاطفة الحماسة والاعجاب حرت في نفس الشاعر الا ان ذلك كان شعورا ، قاتما ، اصم ، حدسا وجيبا في النفس لا شكل له ولا يقين ، حتى توفر الخيال لتلك المعاناة بصورة المنية التي تتلاطم امواجها فنقلته من الاختلاجة الى الشكل . لذلك كان اصدق الشعراء اولئك الذين اختلطت حواسهم في خيالهم فجعلوا لا يعيشون في حقيقة الاشياء وادراكها بل في الرؤيا والذهول ، لا يكادون تعتريهم خلجة حتى تتفق لها صورة في ذهنهم كانما يشاهدون شعورهم بقدر ما يشعرون به ، يتحسسون الصورة ويشاهدون الاحساس ، فتفنى وسائل التعبير وتتعمق بما يمكنها من نقل التجربة حية ذاهلة بظلالها وهالاتها . لا مجال للافاضة بتمثيل هذا الرأي في شعر ابي العلاء وهيغو ، وبودلير ومن الى هؤلاء من شعراء تلاشت في نفوسهم حدود الخيال والشعور في حلولية الرؤيا والانخطاف وانما نجتزيء بمثال من جيرار دي نرفال الذي كان شعره يقوم خاصة على هذه الفصيلة . فقد بدا يستحيل القنوط في كيمياء عصبه الى شمس سوداء ، فكأنه لا يكاد يترقب صباح الضوء المنير حتى تشرق شمس تشاؤمه بدوامة اليأس والسواد ، ولهذا تساوى الشعر لديه مع الشيمير *Chimère* كما تساوى لدى رامبو مع الهلسنة *Hallucination* اي هذيان الشعور بالصور او بقوافل وغيوم من الرؤى لا نعيها وانما تنداح فينا كما تفيض سور النبوءة ، اولم يستحل الاسى في نفس بودلير الى خفاش يتخبط او جماعة من العنكبوت تشابك خيوطها المقيتة في خلايا دماغه ، وهكذا نرى دوامة اليأس والقنوط عندما يغشاها ويتصرف بها الخيال ، تصبح شمسا سوداء او خفاشا وعنكبوتا في كهف النفس المتعثرة . ولعل الشعر يصدق ويخلد بقدر ما يتحول الاحساس في غفلة الحدس ، الى قطعان من الصور التي يزحم بعضها بعضا على افق النفس ، ولعل استبداد تلك الرؤى بدي نرفال وبودلير ادى بالاول الى الانتحار وبالثاني الى الشلل حتى صح فيهما ما قاله «تين» ان اعظم الفنانين هم خياليون مرهقون او مرضى وهكذا نشهد العاطفة توري الخيال والخيال يشحذ العاطفة ، هو يمنحها الوهم ، وهي تمنحه اليقين .

لا عقل ولا عاطفة ولا خيال بل تجربة

الا ان تمييزنا لهذه الاحوال لا يعدو ان يكون افتراضا خارجيا تسهل به الدراسة دون ان تصدق تماما . فالشعر ليس يقيم معادلة كيمائية تقنن فيها عناصر العقل والخيال والعاطفة وانما هو ذهول ، فيض موحد لا حدود فيه ولا تميز يسهل ان نتلقف زهرة الجمال فننتزع بتلاتها ، لنطلع على كيفية تركيبها ، الا اننا لا نشهد في الواقع، الا اشلاءها، نتفها ، اما جمالها الذي نرتعش امامه ، فانه يتلاشى اثر كل بتلة انتزعتها من بتلات التعرف والاستيضاح . وكذلك المراة فهي يطالعنا جمالها في وحدة او في تآلف ملامح الوجه لا تكاد تقبض سره حتى نشهد سرابه يبتعد عنا بقدر ما نقترب منه ، فالعاطفة والخيال والمنطق هذه جميعا ليست الا مباضع نبضع بها جسد الجمال ، نجريه في انحاء الجسم ، نميز خلاياه واعضاءه الا اننا لا نقع بها على الجمال وانما على هيكله البارد ، اما روحه فتتفلت من المبضع العاجز . ان العقل ، وهي التجربة عندما تبدو بيناته في السيلوجيسم او في المقدمة والنقاش والنتيجة وكذلك العاطفة فهي تتحول الى العبث عندما تشتد وتنزو فتعدم ثقافة العقل وتوازنه . وكذلك الخيال عندما يجمح فتفتقد مقاييس المنطق وتضعف حرارة التجربة حتى يستحيل مشاهد من الغرابة التي تدهش العصب دون ان تبعث فيه النشوة .

الصعوبة الداخلية في الفن

وهكذا يبدو ان العملية الفنية تسعى الى ان تقبض على التجربة حية دون حدود او تمييز . وهنا تظهر الصعوبة الملازمة لطبيعة الفن ، الصعوبة الداخلية التي يعانيها الشاعر عندما يقابل بين ما يختلج في نفسه وبين ما تقبضه محاولة الخلق المعذبة . فالشعر لا يقتصر على المعاني لانه ليس مقصورا على العقل وكذلك فهو ليس شعورا او صورا لانه ليس مقصورا على العاطفة والخيال . فنحن اذ نترجم الحالة الى عواطف وصور وافكار ، نلبث في نطاق التفسير والتوضيح الذي يبقي على اشلاء التجربة ، او كما يقول برغسون ، على الذات السطحية الواضحة التي تتموج على افق النفس دون ان تمت الى الشخصية بينما تغفل الذات الحقيقية في اعماق سيمفونية النفس المبهمة . وقد يصح تمثيلنا لهذا الواقع في مثل الهدير الذي اعتمده ليبنيز *Leibnez* فاننا اذ نشخص الى البحر نسمع هديرا نعتقد انه اصم موحد لا يتجزأ ، الا ان هذه الوحدة ليست الا مخايلة خارجية لان هذا الصوت مؤلف ، في الواقع ، من اجراس الامواج والمويجات التي تزدحم وتتوالد حتى تجتمع اجراسها في دوي الهدير ، اننا نسمع الهدير لكنه يصعب بل يستحيل علينا ان نسمع الجرس الخفي . فاذا حاولنا ان نطبق مثل « ليبنز » على واقع النفس او بالاحرى على الاحوال التي تطالعنا عندما نواجه نفوسنا ، عندئذ ، نبصر ان الكآبة والفرح او شتى الاحوال النفسية ليست الا امواج محيط النفس ، تلتبس علينا فنعتقد انها موحدة الا انه خلف هدير موجة الكآبة في النفس ، آلاف من المويجات الشعورية الصغيرة المغفلة ، تختلج وتضطرب دون ان تقوى على تحديدها ، فالكآبة ليست الا مجموعة شتات من احوال النفس ، من المويجات الشعورية ، من لحظات وانفاس ذلك الضوء القلق الراعش، والشعر في تجربته لا يعنى بصوت الهدير في محيط النفس اي بالمعنى العقيم ، وانما يتجاوز عن الهدير الى الجرس ، عن الموجة النفسية الى المويجة الهاربة المغفلة التي تعيش وراء جدار التحاديد والمعاني .

لذلك جعل بعضهم يعتقد ان احوال النفس ، ليست متآلفة وانما متلاحقة ، فليس في النفس ، كما يقول جيمس وبرغسون ، حالة تشبه الاخرى ولا يمكن ان يحدث ذلك في نفس الشخص ذاته فضلا عن نفوس الاخرين ان كل لحظة من عمر النفس حافلة بآلاف الحالات المموهة الغافلة يخايل لفهمنا العاجز انها جامدة لا تتغير . فالاسنان الصغيرة التي ترسم على قطر دائرة ما ، قد تظهر للعين فيما هي مستقرة ، حتى اذا غشيها الدوران ، غفلت الاسنان ولم يبق في العين الناظرة الا خط موحد اشبه بالمستدير . ذلك ان عيننا تعجز عن ملاحقة الاسنان بصورها فتذهل ويتراءى لها صورة مغفلة واهمة ، كذلك الحال في النفس ، فهي مغشية بدوران سريع ابدا ، والعقل في ذلك كالعين ، يمكنه ان يتلمس بعض المعنى الواهم القليل اما الاحوال الصغيرة الرهيفة فتلبث بارحة ابدا . ان الشعر ليس يلاقي صعوبة في نقل معاني النفس الواضحة وانما يتعصى عليه نقل ذلك الغموض الراعش الذي ينكفىء وراء ظواهر الاشياء . لذلك نعتقد انه على الشاعر ان يعبر عن حالة معاناة دون المعاني الجافة التي تعيش في الذاكرة بعد ان لفظت حياتها ، كذلك ايضا نقول انه ينبغي على الشاعر الا يأتي بمعان جمعها من خارج نفسه كما جمع المرائي امواله وانما ينبغي ان يعالج معاناة حية تختلج في نفسه وتتصعد منها كفلسي الارملة المعذبين .

فالقضية اذن قضية معاناة داخلية تتضاءل وتتهالك وتكاد ان تتلاشى كلما تسلطت عليها اضواء العقل والمعرفة، ولا ينفك يخيل الينا ان ما نعرفه او نتحدث به عنها لا يتكافأ مع ما نشعر به منها . فالصعوبة الداخلية اذن تظهر في ذلك الاسى او تلك الحسرة التي تقبض على ضمير الفنان وتدعه يحيا عمره ، يراود تجربة تضطرب في ابهام نفسه دون ان يقوى على تجسيدها . اولم نشهد ليونارد دي فنشي ، يواجه الجوكندا فيتحرق لتجسيد تلك البسمة الهاربة على وجهها حتى يعيى ويستسلم دونها، فكأن البسمة التي نشاهدها على وجهها ليست الا شيئا مما في نفسه منها . او لم نر الى ابن الرومي ايضا يبوح بتلك المعاناة عندما تجلت له وحيد ، فبصر جمالها قريبا منه بعيدا عنه ، بصر يقينه بعينيه حتى اذا حاول ان يحدده في الوصف شعر بالصعوبة وربما بالاستحالة فقال : يسهل القول انها اجمل الاشياء طرا ويصعب التحديد .

لهذا جميعه طفق الادباء يتخطون الظاهرة كما نعانيها، وجعلوا يحاولون ان ينفذوا من الوجود الذي يراه عصب العين ، يتجاوزون عنه ويضفون عليه من نفوسهم وجودا ما ورائيا يمثل في الواقع الوجود الفعلي ــ اننا نبصر الشجرة ونعرف قوانين نموها وحياتها ، الا ان الشاعر ليس يكتفي بهذا الفهم المقنن المبتذل وانما يشخص له فيها رمز لوجود مغلق ينبغي ان نفضه وننفذ الى قلبه لنبصر حقيقته ، وبالتالي حقائق الوجود . ولعل هذا الوجود يختلف من شخص لاخر لانه يقوم على اساس نفسي قلبي ، او كما

يقول باسكال ، هو « تعقل قلبي » . لذلك جعل بودلير يرى ان الطبيعة ليست الا غابة من الرموز ، التي ينبغي ان نحدق بها حتى تشرق في ذهننا ومضة فائقة تضيء عتمة الرمز وتنقض جداره .

فالصعوبة الداخلية اذن ، هي التي تقوم على تملي ظلال الحالة واهدابها ، تنفذ من عقم الظاهرة الخارجية الى الغيب الخفي المستتر وراءها . الا اننا اذا واجهنا حقيقة الاشياء تحققنا ان تلك الحالة الداخلية ليست بعد فنا وانما هي مادة او مشروع له لا تصبح فنا سويا الا اذا تيسر لها الشكل ، لفظا او لونا او نغما ، فالصعوبة ليست اذن في عمق وذهول الحالة الداخلية بقدر ما تقوم على نقلها وتجسيدها . ذلك ان وسائل التعبير لا يمكنها ان تنقل حياة التجربة وغموضها فاللفظ محدد قاطب فهو معنى أي فكرة او صورة عاطفة لا يتمكن الشاعر ان ينقل بها ما يختلج في نفسه الا بعد ان يقيده، ويعطل ذهوله فتتحول رؤاه وغيبوبته الى خطوط من الافكار والعواطف والصور الكاذبة ، فالصعوبة اذن في تملي الحالة الداخلية وفي نقل ذلك الغيب من الشعور المحتمل الى حيز الشكل في جسد الالفاظ والصور . الا اننا نشهد اللفظ كما سبق القول ، تختلف طبيعته عن طبيعة التجربة . ولقد بين ذلك برغسون بما لا يدع لبسا فاللفظ مادي ذو قرار والتجربة حية متلاحقة متحولة ، فكيف ننقل النفسي المتحول بالمادي الجامد المقرر ؟ لذلك جعل الادباء يعمدون الى تفجير اللفظ، يزيلون حدوده فلا يأخذون من المعنى الا صداه في النفس ، فلم تعد اللفظة خطا وانما ظل ، لم تعد معنى بل جو ، انقطعت عن علاقتها بقاموس الذاكرة واتصلت بحرارة الضمير ، فاصبحت شعرا بعد ان كانت نثرا . ان الخفاش حيوان ذو شكل واوصاف قاموسية محددة ، الا ان دلالتها كما شاهدناها في شعر بودلير اختلفت فجعلت تشير الى تخبط النفس وترديها ، لا تبصر سبيل الامل واليقين او تنفذ الى الضوء. وكذلك الصبح ، مثلا ، فهو في اللغة يشير الى مطل الضوء ، اما في الشعر فيصبح الضوء الذي يزيل العتمة ، الامل الذي يطرد اليأس ، الحياة التي تحيا بعد ركود ، الوجود الذي ظهر بعد طمس معالمه . ولعلنا لن نعدم امثلة اخرى في هذا الشأن لا جدوى من الاطالة نذكرها وانما نود ان نشير الى ان الشعر قد يعمد الى لفظ ذي حدود كواسطة يتوسل بها الى الكلمة الشعرية فهو لذلك يمتزج بين الاثنين يتوكأ على الواحدة ليوفي الى الاخرى

الا ان اللفظة في الشعر ليست ظلا او معنى وانما هي نغم ايضا . ان غموضها في النفس لا يتأتى بفضيلة المعنى بقدر ما يفيض من الطاقة الايحائية التي تنطوي عليها اللفظة في اجراس حروفها وبالتالي في انغامها . ان الحرف في الشعر ، وتر يصدح بنغم يهيل اجواء من قلب الحروف تزكي المعنى وتضفي عليه الظلال والاهداب . لذلك اقتضى على الشاعر بان لا يقصر انتباهه على معنى اللفظة دون جرسها ، وانما يتخذها جميعا في غفلة التعبير وترنحه فيأتي النغم عبر المعنى او المعنى عبر النغم . وهنا تظهر الضرورة الداخلية للموسيقى في الشعر ذلك ان اللفظة تطلعنا على معنى نفهمه ، اما النغم فيبعث حالة لا حدود لمعناها ، يبعث فينا ذهولا تحولا عن النفس الى غيبها ، فاذا ما كسونا اللفظة بالنغم فكاننا نضمرها بالذهول الذي يحيل اللفظ الى جسد حي بعد ان كان دمية او مومياء . فالنغم ضروري اذن ضرورة الذهول الا انه ينبغي ان يكون نغما داخليا ينبعث من صميم الحالة ، ينبغي ان يكون شجوا داخليا متآلفا ينبعث من سيمفونية النفس يضم المعاني العقيمة الواضحة بغلالة القلق والغموض . لذلك احال الرمزيون جوهر الشعر الى موسيقى بعد ان كان قصره البرناسيون على النحت والتصوير .

وربما خيل لبعض القوم ان موسيقى الشعر تنبعث من تفاعيل الوزن في تواتر المتحركات والساكنات ، او تلاحقها . الواقع ان الوزن يفيض بنغم اذ تتفق حروفه على غرار معين ، الا ان آلية التفاعيل تذهب بذهوله الى شيء من الرتابة ، لذلك لا ينبغي ان تتواكل على الوزن لنقل شجو النفس لان نغمه خارجي مستقر فيه ، لا مشاركة للشاعر بخلقه الا بقدر ما يجيز ويتجزىء من تفاعليه فهو نغم سهل لا معاناة ولا ذاتية فيه . بيد انه بالرغم من ذلك ، يبقى لطبيعة الوزن بعض الاثر في تجسيد التجربة لان الوزن مطبوع على نغم يوحي بالشجو او الضجيج ، بالحزن او الفرح بالنوح او الحماسة ، لذلك قلما يصلح الخبب للتعبير عن غنائية النفس كما انه قلما يصلح الخفيف للتعبير عن الحماسة والخطابة ، فلا مندوحة من ان يتوافق نغم الوزن مع طبيعة التجربة ، وان لم يكن من الحكمة ان نعول عليه كثيرا في بث الغموض .

ايلي الحاوي

[التتمة على الصفحة ٦٩]

الكوكب الجديد

٥

أطلقوهُ لكي يدور الفضاءا ويجولَ السديمَ من حيث شاءا
هو عقل الانسان ملءً من الارض وحثَّ الهبُوبَ يطوي السماءا
ما كفاه التحليقُ في الجوِّ حتى راح عبْر الاثير يبغي العلاءا
وأشارت آلاتـه بنداءٍ أترى من يجيب فيه النداءا
ها هم «الروس» بالرؤوس أغاروا أبدعوا في الوجود نجماً تراءى
فأضافوا للشمس كوكب علم عبقريّاً وحمّلوه الرجاءا
حدثٌ أدهش الشعوب وأغرى بكمالٍ وأذهل العلماءا

* * *

أيها البدرُ ما بعُدتَ ، فدعني أتملَّ الدجى لديك ضياءا
طلب الفن فيك احلى خيالٍ فسبيت الغناء والشعراءا
ثملا كنتُ في هواكَ وقلبي ما تخلّى ولا عرفتُ رياءا
لست وحدي المشوق فالارض نشوى والمعاميد يحلمون لقاءا
ان نعِشْ فالمزار اضحى قريباً بوصالٍ تهفو له اسراءا
مركبي كوكبٌ اليك وحسبي أن روحي من قبلُ طافت ولاءا

* * *

يا نجوماً مللتِ مطلع حسنٍ ترسلين اللحاظ والاغراءا
أنت في العاشقات تبدين نجوى هي غمزُ العيون رفّت سناءا
سيزور الانسان حسنكِ حباً وحناناً فلا يصيب عناءا
كان نجم المسا رسولك عندي كلَّ ليل وكم أحبُّ المساءا
ومراحُ النجومِ أرواحُ ولهى ربطوا في ترابهم أسراءا
فك اسر الانسان في الارض فاهتف لك حرية تزيل الشقاءا
غير اني اخشى المصير ليوم صار للمرء في النجوم سباءا
يولد المرء والمطامع فيه وهي تزداد ، ما يزيد رضاءا
خلّني في الثرى فمنه طلوعي وهو ابقى على عظامي وفاءا
واذا ماتَ كلُّ موتٍ فمنذا من ملال الخلود يهوى الفناءا
فابغني منزل « الثريّا » فداري تلك ، من قبل ان احور هباءا

دمشق — زكي المحاسني

قصة سورية

بقلم مظفر سلطان

ضمير الذئب

كانت ليلة قرة ، وكانت فلول الناس في ظلمة الشوارع ، تنحني امام سياط كانون القارسة وتهرول. واندفعت الى اقرب حانة ، الوذ بكؤوس من الخمرة العنيفة ، ادفع بها البرد.. والسأم والزمن .. الزمن خصمي اللدود ، وعدوي الاوحد ..

ولقد ادهشني ان ارى في الزاوية المتوارية من مدخل الحانة ، احد صحابتي القدماء ، الذين كنت وما ازال ، آنس بصحبتهم ، واجد فيها راحة من كان يجلس على مقعد قلق ، ثم اطمأن به مقعد راسخ ...

هذا المحامي النابه ... ما شانه في الاونة الاخيرة .. وما الذي هوى به الى هذه الحانة المتواضعة ؟!..

وقام فاستقبلني بلهفة .. ودعا باكبر زجاجة من الخمرة العنيفة التي كانت ثمالتها ما تزال في كأسه،واقبل يرحب بي مغتبطا وكأنه وجدني ... ثم ختم تحيته متندرا كعادته بقوله:

ـ انت ترى يا صاحبي انني قد انتهيت .. وكدت اضيع .. ولكن ليس الى الحد الذي لا املك معه ما ارتاد به مكانا اكرم من هذا المكان... ولكني لا اكتمك انني اخذت اتردداليه كل ليلة تقريبا ، لانني اجد فيه من لا اعرفه ولا يعرفني من الناس .. واجد فيه نوعا من السلوان ... اوان شئت فقل : النسيان ..

واقبل الغلام بالزجاجة التي كان قد طلبها حين دخلت ، فلقفها من يده، واترع منها كأسين وهاجتين ، وعيناه تسبقان شفتيه الى الجرعة الروية .

واطبق كل مناعلى كأسه فعب منها ما اطاق ... وقلت احاوره محاولا ان اتذكر ما تناهى الي من اخباره :

ـ بلى .. لقد سمعت من بعضهم اطرافا من حديثك .. وانه لفاجع .. ولكن ليس الى الحد الذي يجعلك تتهافت فيه او تضيع .. بل انت في يقيني لاخر من يتهافت ويضيع

فرماني بنظرة رائعة .. لعل فيها قصته .. وقدم لي لفافة فاخرة ، واشعل مثلها .. ونفث من صدره سحابة عريضة من دخان ، وقال يرد على كلامي .. بل لعله بدأ يقص علي قصته الشائقة بغير تمهيد .. ولا تعليل .. ولا مقدمات.. كمن يعترف اعترافه الصادق.. في ساعاته الاخيرة

ـ اما هؤلاء الناس .. فقد ايقنت انهم بشر حقا .. وان كان بعضهم يريد ان يزعم غير ذلك ...واما النسيان .. فنسيان حادثة فاجعة، جرت ملهاة ساخرة .. بدأت تحوكها لي الاقدار .. ثم احوكها انا نفسي حول نفسي منذ شهر وبعضه ، كما تحوك العنكبوت خيوطها حول نفسها اليوم .. لتموت فيها غدا .. او بعد غد .. فلعلك تعلم ان زوجي المسكينة قد قضت نحبها منذ اكثر من شهر و...

ولما حاولت ان اجد كلمة احرك بها لساني معزيا ، لم يمهلني في ذلك، وتابع حديثه قائلا :

اجل .. فقد ذهبت المسكينة ضحية حادث مؤسف .. حادث هو واحد من هذه الفصول العجيبة التي تجعلنا نعتقد ان مؤلفيها صبية عابثون يلهون بكلب غريب مسعور ...

كنا على مائدة الغداء في ذات يوم ، حينما حملت الينا الخادم برقية تقول لزوجي في ايجاز قاطع : « امك محتضرة .. احضري حالا ... »

فامسكت عن الطعام وقد فر لونها وهرعت الى غرفتها تحشر في حقيبة صغيرة ما وجدته بين يديها من ثيابها واشيائها اعدادا منها للسفر ...

ووافقتها انا على السفر حالا .. بداهة وانسياقا مع الجو الواجم الذي صرنا اليه ... ثم ترفقت فاستمهلتها فيه الى صباح الغد .. حذر مزالق الطريق ، ورعونة بعض السائقين، في عماية هذا الليل البهيم ... اضف الى ذلك انني كنت لا استطيع صحبتها بحال ... لانني كنت خصما في قضية هامة ، لا بد ان تجري مرافعتها الفاصلة في الغد ... فرمتني بنظرة الم وعتب .. ولم تنبس ... فقمت الى الهاتف ، وطلبت لها مكانا مستعجلا في اول سيارة ... وفي الساعة الرابعة من مساء اليوم نفسه غادرت المدينة .. وفي الساعة الرابعة من مساء الغد كانت جثة هامدة في احد مستشفيات بيروت ...

فقد غلب السائق الارعن النعاس في بعض الطريق ، فجنحت به السيارة الى واد سحيق .. وتهشمت، وتهشم هو معها ، ونجا من كان فيها من سفر باعجوبة ، ولم تكن زوجتي في عداد الناجين ...

اجل لقد ماتت هذه المراة العظيمة وكانت لي كل شيء .. ففقدت بفقدها كل شيء ...

وغامت عينا محدثي حتى لتهلان. ورفع الكاس .. وافرغها في فيه جرعة واحدة ، واستطرد :

وطرت الى بيروت .. وواريتها مقرها الاخير في بلدها الحبيب ... ثم عدت الى المنزل بعد ايام .. كمن يعود الى كنيسة واجمة بعد عرس

ولعلك تعجب اذا علمت انها ذهبت لتشهد جنازة امها المحتضرة .. فشهدت امها جنازتها بعد يومين وهي ما تزال حية ترزق الى اليوم ..

هذه الحياة العجيبة .. ونحن أعجب ما فيها .. انها تشدنا اليها باعصابنا شدا وثيقا لا مفر منه ولا عنه محيد .. وهي تحبنا وتلهو بنا كما يحب الغلام العابث كرته العزيزة ويلهو بها... وقد يرسلها هنا وهناك وقد يقذفها بعيدا عنه في الفضاء .. ولكنه لا يفعل هذا الا وهو مطمئن الى انها لا بد عائدة اليه ...

ولقد لفني الذهول الابكم في اليوم الاول ... وخيل الي انها لم تمت ، واشهد جثتها بعيني ، واحضر مأتمها بنفسي منذ ايام .. انما انا قد قرات نبأ مصرعها في صحيفة قديمة .. او سمعته في اذاعة عابرة .. وانها ما تزال هنا في المنزل ... وفي كل غرفة من غرفه ، وفي كل شرفة من شرفاته ... تذهب فيه كعادتها وتجيء .. ولكنني لا اراها لسبب لا اعرفه .. سبب أبعد من تفكيري .. واعمق من وجودي.. بل كنت أحس ان وجودي نفسه ، ووجود المنزل بما فيه وبمن فيه لا يتحقق الا بوجودها ... فما دامت هذه الاشياء موجودة فلا بد انها كذلك موجودة.. فأين هي ؟ ... انها هنا .. وانها لا

تلبث ان تقبل علي بعد لحظات .. أو بعد لحظة ... تنقل الي خبرا او تستشيرني في أمر ...

وجاءتني الخادم العجوز الثرثارة ، تعزيني باصوات الببغاء .. وتتباكى لمصابي ومصابها ... وتستأذن في ايام تقضيهامع ابنتها النفساءالمحتضرة ايضا .. فسمحت لها بان تمضي لشأنها باشارة من يدي بلهاء ..وبغير ان أعي ما تريد وما اريد .. ولو اني كنت قد وعيت لمنعتها من المضي لشأنها قطعا او لاستمهلتها فيه حينا . ريثما أعد فيه بعض امري ... فصفية وحدها في المنزل الكبير ... وقد اضطر ان اغيب عنه يوما او اياما لبعض اعمالي ،فتبقى فيه وحيدة مروعة .. وهذا لا يستقيم بحال ..

وصفية هذه ابنتنا بالتبني ... اعني ان زوجي كانت قد تبنتها بعد زواجها بعامين ، وبعدان ايقنت انها عاقر ... وقد كانت صفية في الخامسة او السادسة من عمرها يوم ذاك .. اما اليوم.. اما اليوم.. فهي صبية في الثامنة عشرة من سنيها او تزيد.. صبية ملء العين .. وملء القلب.. وملء لعنة الشيطان ..

ولم استطع ان انصرف الى عملي في الايام الاولى .. وارسلت استمهل في كل قضاياي .. واستسلمت الى نوع من الذهول المتحجر .. غير انني كنت الاحظ ان صفية كانت في هذه الايام هادئة عميقة كبحيرة مستسرة بين قمم لم تطأها قدم انسان .. وانها كانت تحرص بكل صمتها اليقظ على ألا يتغير شيء من نظام المنزل ، ومن مطالبي فيه ، وعاداتي ، ونزواتي ، لو ان الاحداث قد ابقت لي فيه نزوات

وكانت تعد من الطعام الالوان التي تعلم اني افضلها ... فتبقى حيث هي على المائدة لا يمسها احد .. لانني لبثت اعيش على الماء والدخان والذهول اياما .. ثم على بعض كؤوس الخمرة التي غدوت الوذ بها كلما اطبق علي الحزن وطافت بي اسراب الذكريات. اما هي فما لمحتها تأكل مرة .. وما أدري بأي شيء كانت تتبلغ وتقتات.

وكنت المح اثار الارق والبكاء الملح في عينيها العميقتين ... واذكر انها لم تتقدم لتعزيتي بكلمة.. وان كانت تنفلت عني بغتة في بعض الاحيان ، وتلوذ بغرفتها امدا قد يستمر ساعات فاعلم انها قد انفردت بنفسها تطلق لعبراتها العنان ...

وعدت الى المنزل في ذات ليلة ثملا لاول مرة... وفتحت الباب الخارجي بهدوء ... وتسللت الى غرفتي لعلي افقد فيها وعيا لعينا اعجزني ان افقده في كؤوس الخمرة المترعة ... ولكن نشيجا خافتا تناهى الى مسمعي من غرفة صفية ، فسمرني في مكاني حينا .. اتسمع والهث ..

لا مراء في ان الكارثة الاليمة قد امضت هذه المسكينة كما امضتني واشد .. بل لعلها قد نالت من قلبها الصغير ما لم تنله من قلبي المصفح انا الكهل القوي المجرب ... الذي يتشاغل باعماله وعملائه واصدقائه، وكؤوسه ...

وتساءلت بفزع : كيف تبقى في المنزل وحيدة ؟.. هل اطلب اليها غدا ان تغادره ؟... والى أين ؟.. كلا.. وانها لقسوة بالغة لن اقترفها بحال. هل ازوجها من احد عملائي او معارفي ؟.. كلا .. كلا .. فقد يقسو عليها .. ويسومها العذاب ، وهي في عمر الزهرة . وجمالها .. ونقائها .. هل أبعث بها الى منزل احد اقاربي ؟.. ومن هو ؟.. وان احدا لم يطلب انتقالها الى منزله حين جاءوني معزين مواسين ...

وتناهى الى مسمعي نحيبها المخنوق ينبعث من جديد اوضح واوجع .. فعدت ادراجي الى غرفتها، ووقفت حذاء الباب المفتوح ارهف السمع .. والهث ..

كانت تنتحب بصوت ادركت انها كانت تبذل كل جهدها لتخنقه في الوسادة فلا يرتفع ويصل الى مسمعي ، وقد أحست عودتي ولا ريب ... وجاءني نحيبها الاليم عبر الباب المفتوح .. ومن اعماق الظلام المخيم كتأوهات روح صغيرة تتعذب عذابا مبرحا في أعماق واد بعيد .. او كأنغام قيثارة امينة تتقطع اوتارها وترا بعد وتر .. وهي ما تزال تعزف

ورأيتها بعين الخيال منطوية على نفسها في السرير الكبير كهرة دافئة ووجهها بين الوسائد التي تشرب الدموع وتخنق الزفرات ..

ودخلت عليها .. فرأيتها منطوية على نفسها كالهرة الدافئة .. ووجهها بين الوسائد ، وغدائر شعرها الفاحم مبعثرة على بياض الوسادة الناصع كظلال الغابة في ضياء القمر ...

واحست بدخولي فكفت عن النحيب .. ولكن بقي جسدها المتكور امام عيني العاشيتين يرتعش .. فلم اجد بدا من ان اجلس الى جانبها على حافة السرير ، واضع يدي على كتفها الطرية في رثاء غامر .. ولكنه ابكم..

ثم لعلي قد وجدت لساني الجاف حين سمعتني اقول لها مواسيا

ـ لعلك يا بنيتي على حق فيما تحسبين من لوعة وفيما تذرفين من دموع ... بل لعلك اجدر مني بهذا الاسى واعذر ... فانها كانت لك ولا ريب اما رؤوما فقدت بفقدها كل شيء ... ولكن ما حيلتنا في مشيئة الاقدار .. فاصبري يا بنيتي .. وتشجعي .. وثقي بأنني سأحنو عليك وارعاك ما استطعت ، وسأحاول ان اعوضك عن فقدها ما وجدت الى ذلك من سبيل .. كلانا اصبح وحيدا بعدها .. فكلانا في اللوعة سيان ..

واخذت يدي بين يديها، فاذا هما ترتعدان .. واذا ظاهر يدي تلسعه قطرات حارة ... واذا هي تدنو مني شيئا فيلامسني جسدها اللين .. المرتعش .. اما نهداها .. ففرخان دافئان طارت عنهما امهما مروعة فبقيا في العش يرتعدان ويتدافعان.

ورفعت يدي عن كتفها الطرية .. ووضعتها على شعرها الوثير .. وادارت وجهها الي وانا اقول بحنان

ـ اطمئني يا بنيتي ولا تراعي .. فسأكون لك كما تحبين.. وسأحاول جهدي ان اعوضك عن عطفها.. بل عن عطف كل من فقدت من الاهل والاصدقاء .. وسنتحدث غدا عما يؤول اليه امرك ، وعما يكون فيه صلاحك ... اما الان .. فكفي عن هذا النحيب الموجع .. ونامي ..

واضاءت عيناها القاتمتان .. الغارقتان في الدمع كماستين مسحورتين .. وبدا في وجهها الخوف والرجاء والضراعة والخطيئة والغفران .. وجذبت يدي الى صدرها الدافق بابتهال ، وقالت بصوت غريب:

ـ ولم .. يكون ذلك غدا .. ولم لا يكون .. الان ؟..

الان .. أي معان مجنونة لبعض التعابير في بعض الاحيان ...

ونظرت اليها ، فسرت في رعدتها حتى لم اعد اتماسك واخذ رأسي

يعصف عصفا مسعوراً .. وجسدي يتلظى في حمى مخيفة .. فرايتها.. وكاني اراها لاول مرة .. بوجهها المسحور ، ومزق شعرها المبعثرة على الوسادة ، كصبية متوحشة، ترقد في ضياء القمر ، وفي اعماق غابة مدلهمة .. وتدعوني بعينين كماستين سوداوين فيهما الف ضياء .. وجسد يرتعد .. وفم يبتهل.. وانفاس تلفح فأطبقت عليها ، واقبلت علي ، في استسلام شهيد ، وغبنا عن الوعي في لعنة خالدة ...

وبعد ساعات كان الفجر المتهم قد هجم علينا من النافذة العليا السافرة، فتسللت من بين احضانها مشدوها كمن ينتبه مروعا من حلم مزعج يراه في حلم مزعج ..

ومضيت الى غرفتي كالشيطان حين غادر جنته ملعونا الى الابد ... فاذا انا ارى زوجتي تنتظرني على بابها .. ترتدي ثياب السفر التي خرجت بها اخر مرة، وتنظر الي نظرتها الثابتة الثاقبة التي كنت اهابها واعبدها في آن واحد ...

يا للجنون المصمم ... اهي هي حقا .. ام ان العينين العاشيتين من اثر السكر والسهر واللعنة هما اللتان تصوران لي شبح الراحلة الناقمة زيفا وضلالا ؟.. كلا .. كلا.. انها لابر واكرم من ان تدعني اجن على هذه الصورة المزرية .

ولم اجرؤ ان ادخل الغرفة، ومضيت الى غرفة المائدة فشربت نصف زجاجة من الماء المثلج .. وانا لا اكاد اعي اني فعلت امرا او شربت شيئا .. انما هو الحلم المرعب ما يزال يتعاقب مشوشا على اللوح المهشم ...

ثم احسست ان روعي قد تهدأ شيئا ، وان اعصابي الواهية تستطيع ان تعود بي الى غرفتي .. فتسللت اليها متوجسا .. فاذا الشبح قد تولى .. وان كانت النظرة الثاقبة قد بقيت ترقبني من زاوية خفية لا اعرفها ... واذا انا ادخل غرفتي واجف القلب خائر العزم ، واتطرح على السرير الذي لم يمس كجثة حية ماذا فعلت ؟..

ولم استطع رقادا ولا يقظة ... واخذ راسي يدور كصندوق فارغ.. قذفت فيه بعض الاشياء التافهة .. وادرته على اسطوانة طائرة ...

وقمت بعد ساعة فارتديت ثيابي، وفتحت باب الغرفة بهدوء لاتسلل من المنزل ، فاذا صفية .. بشعرها الفاحم .. ووجهها الطفل يعرف سرا خطيرا.. وعينيها الماستين السوداوين المخباتين وراء اجفانها المسبلة ، اذا هي .. تقف امام الباب ، وفي يدها قهوة الصباح المعتادة ..

ولقفت فنجان القهوة من يدها بغير ان انظر اليها وشربت ما فيه على جرعات كبيرة لم اكد اشعر بلذعها.. وهممت بالمضي وانا لا انظر اليها ، فاذا هي لا تنظر الي ايضا ، وتقول بصوت شعرت بانها تحاول جهدها ان ترسله طبيعيا :

- ماذا تريد لغدائك ...

فأجبتها بجفاء ، وانا اتخطاها الى الباب الخارجي :

- لن أعود لتناول طعام الغداء ، فالتمسي انت لنفسك ما تشائين..

وخرجت .. وصفعت الباب من خلفي بما يشبه العنف.. اما الشيطان ... حين خرج من جنته مطرودا الى الابد فلعله قد وجد ثمة من صفق الباب من خلفه ...

ماذا فعلت ؟ ...

سؤال مخبول ظل يتابعني سحابة نهاري ، وانا لا اطيق ان التفت اليه .. ولا املك القدرة على الرد عليه ..

وطواط بشع خرج من دماغي المحطم وراح يلاحقه بالسؤال الملح اينما ذهب وحيثما اتجه ، وهو يداوره ، ويلاحيه ، ويأخذ عليه كل سبيل ...

سم زعاف كان يتردد بين جوفي الملتهب ، ودماغي المرهق مارا بحلقي الجاف كفم قربة مهجورة فلا ادري ما بي .. ولا ما اريد .. ولا اين اريد ... ولا اطيق نسيانه ، ولا استطيع عليه ... آه .. لو استطيع ان اتخلص من حلقي اللعين هذا اذن لتخلصت من كثير من الامي واسترحت

ولم اذهب الى عملي بداهة .. ولتذهب اهم قضاياي الى الشيطان .. ورحت اهيم في الشوارع التي لا يحتمل ان القي فيها من يعرفني او اعرفه من الناس .. ولا اذكر اني دخلت مكانا ابتلع فيه بلقمة ، ولبثت هكذا حتى الاصيل وحتى قادتني قدماي المفككتان الى هذه الحانة ، ووجدتني مع نفسي اخر الامر وجها لوجه ... ماذا فعلت ؟ ...

لقد كنت مجنونا حقا لا اعي ما اقول وما افعل .. ولكنني تذكرت انني فعلت ما فعلت وانا ذاهل مأخوذ كمن تخسف به الارض بغتة فيحس الخطر ولا يستطيع النجاة ... واني اخذت جسدها الدافق الى جسدي المسعور كهر يضرب ضربا مبرحا وهو يبتلع لقمة مختلسة فلا يستطيع التخلي عنها ولا يستطيع النجاة .. وشربت من ثغرها المحرم شرابا عجيبا هو مزيج من لبن الام وخمرة رائعة ليست من صنع البشر...

وتذكرت انها لم تؤخذ .. ولم تعرض .. ولم ترتعش رعشة المباغتة .. بل انني كنت احس انها كانت تقبل علي ، وتنطوي في كالضحية المؤمنة تتقدم بقدميها الى النار ...

هل شربت ياصاحبي في كأس من نار لبن آلام ممزوجا بالخمرة القاتلة ؟ ... هكذا كان ثغرها .. وتلك كانت قبلاتها ...

وكنت قد اعتزمت ، بعد ان شربت الكأس الثالثة ، وثاب بعض وعيي الي، ان اناقش امرها مناقشة حازمة ، وان احاسب نفسي فيه حسابا غير يسير وان اقطع فيه براي حاسم لا البث ان امضي لتنفيذه .. فليس العاجز من يسقط .. ولكن العاجز من يسقط ولا ينهض ...

وتعاقبت الساعات .. وتعاقبت الكؤوس ... وانا لا اكاد اخرج من الدوامة البلهاء التي كانت تلف عقلي حتى عود اليها .. ولا اكاد اقطع براي حتى اعود فاقطع بفساده ... وجاء الرجل ينبهني الى انه لم يبق في الحانة احد سواي ، فنهضت كمومياء ثملة ، وقمت فدفعت له ثمن شرابه ، وعدت الى المنزل بهدى العادة القديمة لا بهدى الوعي المدرك ..

ودخلت المنزل ، فاذا هو كقبر رحيب .. واسترقت الخطى فوقفت على باب غرفتها ، فاذا هي منطوية على نفسها في السرير كهرة صغيرة اليفة ، واذا غدائر شعرها الغهيب مبعثرة على الوسادة كظلال الغابة في ضوء القمر ، واذا انا ادخل اليها واقف على حافة الهاوية مرة اخرى فتنثني الي ، واطبق عليها ، ونهوي معا في لعنة اخرى ..

وتوالت الليالي .. وتوالت اللعنات

.. بل قل لانها اصبحت لعنة كل ليلة ... ولست ادري .. ولا يعنيني ان ادري اين يرسو هذا الزورق الضال يقوده في يوم عاصف ربان مجنون ...

فسألته لاول مرة ، وكأني كنت مأخوذا بحديثه فاستفقت :

ـ وما الذي تنكره من امرك وامرها ، وانت تقول : انك وجدتها ثمرة جنية سقطت اليك قبل ان تمد اليها يدك ؟

ثم استتليت اداعبه مبتسما :

بل ما ذنب من سقطت بين يديه ثمرة ناضجة فأكلها ... ام تريد ان تزعم انه لص ؟ ...

فومض ضميره المروع في عينيه المضيئتين ، واجابني على الفور :

ـ بلى .. فقد كان عليها قبلها.. الا يدخل البستان ...

وجرع جرعة كبيرة من كأسه المترعة واستطرد :

ـ اما ما انكره من امرها وامري فهو ذاك الوطواط اللعين الذي حدثتك عنه ... استيقظ في صباح كل يوم فاذا انا ملاك آثم محطم .. اكد ذهني الكليل للوصول الى حل حاسم ينقذها وينقذني فلا اهتدي اليه ولا أجد اليه من سبيل ... القلق يأكلني والخوف يعصرني ، والعار يفح بين جنبي ... فاعتزم التخلص منها ولو بطريقة هي اخس من فعلتي معها واخسر ... ثم اعود فاجبن وانكص ... ثم اعود فاستجمع واتشدد... ثم اعود فاشفق واتهافت ... حتى اذا ما اعياني الامر .. واظلم الفكر ووهن العزم ، هرعت الى هذه الحانة اللعينة ، فشربت من السم اليومي ما شربت ، وخرجت منها في موهن الليل شيطانا ملعونا سر حياته في سر لعنته ... وعدت اليها .. وعادت الي.. وعادت اللعنات تطوق عنقي من جديد ... حتى بلغت يوم امس الخناق..

فقلت اسأله كالمنكر عليه امره :

ـ فلم لا تبني بها فتريح وتستريح .. فليس ثمة فيما ارى ما يمنع..

فرد علي كالحالم :

ـ كنت افعل لو لم يكن بعد الليل نهار ...

وملأ كأسا ، وعب منها جرعة .. وجرعة .. وقال :

ـ النهار .. النهار .. الا شد ما اصبحت اخاف النهار والعنه .. حتى اني ليخيل الي انني اصبحت رجلا ذا شخصيتين كما يقولون .. او من يدري فلعلها هي امرأة ذات شخصيتين ستقودني احداهما الى الجنون المطبق وستقودني الثانية الى الهاوية السحيقة .. فهي في النهار ابنتنا ... بل ابنتي الطفلة الحبيبة صفية التي افترسها في ساعة من ساعات عاري وسعاري ... وهي في الليل .. بعد منتصف كل ليلة صبية الغابة الوحشية الفاتنة .. التي تمزج لي الجنون بضياء القمر.. وتدعوني.. فاستجيب بغير وعي ولا رغبة في الوعي .. أترى الى اية لعنة مخبولة قد ترديت ؟

ومن عجب انها قانعة راضية لا يكاد يبدو عليها شيء مما اقاسيه واعانيه ... بل لعلها غدت اعلق بشؤون المنزل واقوم عليها ... واشد مما كانت عليه في سابق عهدها دعة ورضى ... وقد يكون في هذا بعض ما انكره من امرها كما تقول ، وقد باغتها في ذات ليلة ونحن في جحيم اللذة اللاهب بقولي :

ـ وذكراها ...

فاخذت السؤال لحظة ، ثم تنهدت وقالت ، وكأن صوتها يأتيني من ضمير عاصفة بعيدة :

ـ ستظل ... ولكن الا ترى ان هناك اشياء اقوى من الموت ...

ولم ادرك ما عنت بقولتها تلك .. وخشيت ان اسألها ايضاحا ، فازداد عماية .. واضل في هداي ... وهصرتها بين ساعدي موجة وليدة من لهف ولهب ، رغبت فيها فماعدت احس بها ...

وتعاقبت الايام والليالي ... وبدأت أحس بأني اسيخ في وحل لزج.. وان كل محاولة مني للنجاة ، كانت محاولة للضياع ... وانني ما كنت قد بنيت بعض المجد في دنيا القضاء على ربحي ثلاث او اربع قضايا ربحتها بجراتي وفطنتي وايماني ، فانني قد قوضت هذا المجد بخساري قضيتين او ثلاثا كنت ارافع فيها خائر العزم ملتاث الفكر .. وكان اخرها يوم امس حين خسرت احدى هذه القضايا بغفلتي واضطرابي وخرجت من قاعة المحكمة بين شماتة الخصم الباسمة ، ودهشة القاضي البالغة .. وهرعت الى هنا ... فشربت في ساعة واحدة ، ما كنت اشربه عادة في ساعات ، وغادرت الحان الى المنزل ، وقد اعتزمت امرا مبرما كان علي ان انفذه لساعته او انتحر ...

وسمعت وانا اهم بدخول المنزل ، وجارتي العجوز التي تشبه ساحرات الاساطير تخرج من منزلها لبعض شأنها ، سمعتها تحدث من معها بصوت مسموع قائلة :

ـ اي زمن هذا ؟!.. لكأن الحياء قد غيض من وجوه الناس ...

ودخلت .. فاذا صفية تستقبلني كما تستقبل الارض العطشى اول القطر واذا انا استقبلها بوجه جلاد لا يلبث ان ينفذ في ضحيته الحكم ، واقول لها في جفاء خسيس .

ـ اسمعي يا بنية ... ان بقاءك في هذا المنزل اصبح لونا من الجنون او ضربا من المستحيل ... وانك اذا كنت تقبعين فيه سحابة نهارك وسواد ليلك فلا يراك احد من الناس ولا تلمحين الزراية في عين احد من الناس ... فانني انا الذي يخرج الى الناس ، ويرى العار والاحتقار في عيونهم كل يوم .. بل كل ساعة. وانا الذي يخسر قضاياه تباعا ويكاد يهوي الى الحضيض .. وانا الذي قد يجن في ذات يوم وهو قريب فيقتلك ثم ينتحر ... والان خذي ثيابك واشياءك جميعا ، ولا تدعي منها قطعة واحدة والا كان مصيرها الى النار ... وهاك هذا المبلغ ، وهو صالح ، تستعينين به على بعض امرك ،

واخرجت لها كل ما كان في محفظتي من اوراق نقدية كبيرة ، ووضعته على مائدة قريبة ، واستتليت:

ـ واياك والتردد او التلكوء ... وانك اذا كنت ترين ان موقفي هذا منك خسيس او غادر .. فان سوء المصير على هذا المنوال ، سيكون أخس واغدر ...

وقبل ان انفتل عنها ، قلت لها بجزم قاطع :

ـ وثقي بانني اذا خرجت من غرفتي بعد ساعة ، ورأيتك في المنزل، غادرته انا ، ولم اعد اليه ابد الدهر.

فتكلمت لاول مرة ، واخر مرة .. وسألت بايجاز خانق :

ـ واين اذهب ؟!...

فصفعني سؤالها .. واختنق

الرد ولم اجد في راسي معنى ، ولا على لساني لفظا .. ثم قلت اردعليها وانا اتحرك الى غرفتي :

ـ الى حيث لا تسمعين .. ولا اسمع انا نفسي جارتك الساحرة القديمة تقول لمن معها منذ لحظات : « لكأن الحياء قد غيض من وجوه الرجال ... »

ودخلت غرفتي: واغلقت الباب خلفي بالمزلاج ، وارتميت على السرير بثيابي وحذائي وعاري الثمل ، وترديت في بحران عميق ...

وانتهيت من بحراني بعد ساعات فاذا الغرفة في ظلام اخرس ... فنهضت براس ثقيل ، وفم جاف ، وحمى آكلة ...

وتسللت الى المنزل افتش في حجراته وشرفاته ... لا حس ولا حركة ولا نامة .. الا الصمت .. انصمت الابله الابكم ؟...

لقد تولت اخيرا ، ولقد اخذت معها كل ثيابها واشيائها وذكرياتها كما شئت ، الا ثوبا واحدا ، كانت فيما ارى قد نسيته او تناسته مغسولا ومنشورا في الشرفة التي تجاور غرفة المائدة ... والريح الرخاء تتقاذفه .. وتعبث به ، كما لا بد ان تعبث بصاحبته الاقدار.. اما المال.. فهوفي موضعه على المائدة..لم يمس.

ماذا فعلت ؟!...

وعاد السؤال السام ، يدور مع دمائي ويقف فيحلقي مرةاخرى ..

اما المنزل المقعد الابكم ... فلو رايته في ساعة الغسق الموحشةتلك، لخيل اليك انه دير قديم ، اختفىكل رهبانه في لعنة رهيبة .. ثم لم يجرا بعدها ان يفتح بابه انسان ...

وهممت بمغادرته .. ولكن الى اين ؟... ثم آثرت البقاء فيه..ولكن ماذا افعل ؟... وكان حلقي جافا حتى لاكاد اختنق .. فملأت كأسا من الخمرة الصرفة ، وانا الاحظ الثوب المعلق في الشرفة يترجح ويتلوى بين يدي الريح الرخاء ...

وتصبب جسدي عرقا على الرغم من برودة المنزل الثلجية ، وشعرت بتخاذل فيرجلي ، وما يشبه الدوار في راسي ، فتهالكت على اقربمقعد، واترعت كأسا اخرى .. وعدت الى ذهولي المتوجس ..

واخذ النسيم الواني يعبث بالثوب المصلوب ... واخذت انامله يخفق ويرتعد في غسق المساء الجهم ... انها هي .. ترتدي هذا الثوبالقديم، الذي ما كنت احبعليها ثوبا مثله.. وتهيم في درب قفر ، وفي يوم عاصف ، تدفعها الريح دفعا .. وتسفعها الانواء سفعا ... فلا تبلغ الغاية ، ولا تملك ان تتريث لحظة.. فلما انتهى الدرب الموحش وكانعليها ان تدور معه حيث يدور ، التفتتالي بغتة ، ورمتني من عينيها العميقتين بنظرة رائعة .. فيها ذل .. وفيها عتب .. وفيها غفران ، ثم دارت مع الدربالقفر حيث يدور.. وغابت..

واخرجت منديلي فمسحت به العرق البارد عن جبهتي المحمومة ، وملأت كأسا ثالثة ، وعدت بنظراتي الى الشرفة ، فاذا هي في ثوبها هذا مرة اخرى ، ولكنها الان في حلبة للرقص مبهمة .. ومن حولهاجموع الرجال يشرئبون اليها باعناقهم متدافعين .. وينظرون اليها فيجوع فاضح ... وهي ترقص رقصات رتيبة بطيئة .. فسريعة اخاذة .. ففاجرة طائرة .. ثم تهوي في عباب الجموع الجائعة وتغيب ...

وامد يدي الى المنديل امسح به قطرات العرق التي تكاد تنهل في الكاس المرتجفة .. والتفت اليها لاراها هي .. في ثوبها هذا ، وقد نكست راسها الجميل على عنقها العاري ، وهي تتقدم بخطى وئيدة نحو منصة عليها مشنقة ، وتصعد درجاتها بثبات .. وتضع في عنقها الحبل ، وتلتفت الي ... فأهب واقفافي ذعر ثلجي ، واقذف بالزجاجة والكاس بعيدا فتتحطمان ... وافتح باب المنزل لانطلق منه ... افتش الدنيا .. واذرع الارض .. وافعل المستحيل .. لاظفر بها .. واعود اليها .. ولاخلد بعدها في اللعنة الى ما شاء الله ...

وما كدت افتح الباب الخارجي حتى رايتها امامي .. انها هي.. هي حقا... ليست في الدرب القفر تهيم .. ولا في الساحة المبهمة ترقص .. ولا على منصة المشنقة تضع في عنقها الحبل ... انها امامي .. بلحمها ودمها .. وذلها وخوفها .. وتوسلها وابتهالها تقول بصوت كسير

ـ لقد كلت رجلاي بحثا عن مكان امين الوذ به فما وجدت ... اما اقرباؤك فما جرؤت ان اطرق عليهم بابا .. فعدت اليك .. لعلك تستبقني الى صباح الغد ...

فافسحت لها السبيل لتدخل الى الابد ... وقد ايقنت انني هالك بها .. وبدونها .. لا محالة ...

وكان الخمار قد نبهنا اكثر من مرة الى انتهاء الوقت ... ثم جاء فسألنا بخشونة ان ننصرف .. فدفع صاحبي الحساب ، وقمنا فخرجنا الى نسيم الشارع القارس .. وقلت احاوره ، وقد انعشني ثلج النسيم :

ـ اذا كان الخيال يا صاحبي للشعراء نعمة .. فهو نقمة للحقوقيين امثالك ... انك تنفخ كرة المطاط بملء فيك ، ثم تخاف ان تنفجر في وجهك ... بل لعل صاحبتك اسلم منك اعصابا واحصف رأيا .. انها تعيش وتعرف كيف تعيش ، اما انت فتعيش وتموت ولا تعرف كيف تعيش .. ولا كيف تموت .. انت رعديد دخل مقبرة في ليلة مظلمة ففزع الاموات لفزعه .. زوجها من غيرك ان اطقت ، او فتزوجها انت ان اردت .. وسترى ...

فنهرني مقاطعا .

ـ وسارى انني اخيط كفنيبيدي ... واشد السهم الذي سيخترم قلبي على عصبي ... اما انت فانك لم تفهم عني شيئا ابدا .. ولخير لك ان تنصح المحتضر الا يلوث وسادته بجرعة الدواء الاخيرة .. فاذهب الى الشيطان ...

وانفتل عني بغتة ، وقال وهو يلوح باوراق كانت معه .. ولعلها ملف قضية خاسرة من قضاياه :

ـ والى اللقاء .. واذا ما بدا لك ان تستعرض قصتي هذه في ذات مرة ، فلا تنس ان تتساءل معي هذا السؤال اللعين الذي يئست من الرد عليه :

ـ للذئب مخالب حادة .. وانياب قاطعة .. ومعدة تاكل وتتضور .. افينبغي بعد هذا ان يكون للذئب ضمير ؟ ...

ومضى عني يترنح .. وما هي الا لحظة حتى توارى عن عيني في احد المنعطفات ، وتركني اردد سؤاله في ذهول مطبق ولا استطيع تناسيه ولا املك الرد عليه ...

حلب **مظفر سلطان**

افعى

٥

شهقت في الظلام شهقتها الحرّى وراحت بلابل الشوق تصدح

وارتمت فارتمى جحيم شهيّ يتنزّى بالمغريات وينضح

مارجٌ أشهب يؤج لهيباً واشتهاء على الغوى يتلمح

صحت لما تعلقت بضلوعي وانتشى مارد الهوى وترنح

يا ذراعيّ زغردا للتلاقي وتمتع يا قلب بالشم وامرح

هي أفعى وهل أحاذر أفعى تمطى، بعهرها تتبجح

أنا حاوٍ على يديه الافاعي تتلوّى كأنها تتأرجح

اتلهّى بها وأشبع حسي ثمراً يانعاً واخسر لوّح

* * *

مقلتاها كهفا ضلال أطلت منهما شهوة الخنى تتفتح

حمأ الشهوة المريرة يغلي وفحيح الغرائز السود يلفح

أقطار ينساب من شهوات راع قلبي هذا القطار المجنّح

راح يجتاحني هضابا هضابا وطيوف الامال في الجو تسبح

هات يا كهف من صنوف الافاعي كل ناب له بجسميَ مطرح

انا كهف من الافاعي ودنيا من خطايا تعج فيّ وتسرح

مصطفى محمود

من اسرة الجبل الملهم

الشعر العربي في لبنان بين الحربين العالميتين

بقلم سامي مكارم

ماجستير في الادب العربي

○ ○ ○

ناصيف اليازجي

ولم يقتصر الامر على هذا الحد فقط ، وانما ظهر عندنا شاعر اخر هو الشيخ ناصيف اليازجي ١٨٠٠ — ١٨٧١ . وبظهوره الى عالم الادب ارتفع مستوى اللغة عن ذي قبل ارتفاعا عظيما فاستقامت التراكيب ومتنت العبارة لقد اطلع اليازجي على دقائق اللغة فلانت له واصاب منها ما لم يصبه معاصروه من الادباء . قرأ الحريري فدبج على غراره المقامات وطلع على الناس بكتاب سماه « مجمع البحرين » جمع فيه ستين مقامة مملوءة بالغريب والشوارد وقرأ ابن مالك فاراد ان يكون له بدل الارجوزة اراجيز فاذا به ينظم ارجوزتين في الصرف هما « الخزانة » و « لمحة الطرف في اصول الصرف » وارجوزتين في النحو هما « الباب في اصول الاعراب » و « جوف الفرا » وارجوزة في البيان هي « الطراز المعلم » وارجوزة في الطب هي « الحجر الكريم في الطب القديم » وارجوزة في علم العروض هي « الجامعة » . ولو مد الله في عمره لما كان وفر التاريخ من ارجوزة او عدة . هذا اذا استثنينا كتبه النثرية في الصرف والنحو والبيان والمنطق وغير ذلك « كالجمانة في شرح الخزانة » و « طوق الحمامة » و « نار القرى في شرح جوف الفرا » « وعقد الجمان في علم البيان » الخ ...

واقبل ناصيف اليازجي على الكتب القديمة من نحو ولغة وشعر يستعيرها من الاديار والمكاتب القديمة ليحفظ زبدة بعضها وينسخ بخطه بعضها الاخر (١) فحفظ القرآن بتمامه ووعى من الشعر القديم شيئا كثيرا ولا سيما شعر المتنبي لشدة اعجابه به (٢) . وقد اتصل في شبابه بالامير بشير الشهابي فقربه اليه وجعله كاتبه ولكنه لم يتفرغ الى مدحه كيلا يزاحم شاعر الامير الخاص بطرس كرامه . وبعد ان زالت دولة الامير بشير سنة ١٨٤٠ انتقل ناصيف اليازجي الى بيروت حيث انقطع للمطالعة والتأليف والتدريس (٣) ، فكان لذلك ، كما يقول الدكتور محمد نجم « اثره في تنبيه النفوس الغافلة وتأليف القلوب المتنافرة على حب العربية واهلها » . (٤) وكما قال جورج انطونيوس: « كان يدعو الى بعث الادب القديم بالحاح لا يفتر حتى اوجد عددا كبيرا من اشياع هذه الفكرة الذين يعتقدون ان اخلاصهم لا يتم الا بهذا البعث وحده . » (٥)

كان هم ناصيف اليازجي ان يجاري الاقدمين وخصوصا المتنبي شاعره المفضل ومن هم على غراره ، كان يقرأ الكتب القديمة ، ويستوحي معانيه منها ، لا يهمه في ذلك ان كانت تناسب الزمان والمكان ام لا ، حسبه ان يكون قد حاكى فطاحل الشعراء .

ولقد غالى ناصيف اليازجي في ذلك وظن ان بعث اللغة يكون بالاعتناء بالالفاظ فقط واخذ يركز جهده على ذلك فاذا هو ينظم الاحاجي والمعميات ويأتينا «بالمعجزات» عله يجاري في ذلك الاقدمين . لقد التزم ابو العلاء ما لا يلتزم ، فاذا ببطرس كرامه يلتزم اكثر مما لا يلتزم فيأتينا بمعجزة الخال ولكن لا ابو العلاء ولا المتنبي ولا ابو تمام ولا غيرهم تلاعبوا كل التلاعب بالالفاظ فلانت لهم ، او تحكموا بالقريض فدان لهم بالطاعة والاذعان . وانبرى اليازجي يرصف الكلمات ، ويتعمد المعميات ليفوق بذلك الاولين ، كأن التفوق يتأتى من اللفظ المرصوف والكلام المعمى ، فاذا به يتفنن في ذلك بشتى الفنون فينظم تارة ابياتا لا حرف فيها معجم ويسميها الابيات العواطل كقوله :

الحمد لله الصمد　　حال السرور والكمد
الله لا اله الا　　الله مولاك الاحد
لا أم لله ولا　　والد لا ولا ولد
اول كل اول　　اصل الاصول والعمد (٦)

وينظم طورا ابياتا كل حرف فيها معجم ويسميها الابيات المعجمة كقوله :

بشجي يبيت في شجن　　فتن ينتشين في فتن
شيق تيق تجنب في　　نفق ضيق بقي ففني

وينظم حينا ابياتا شطر منها مهمل وشطر معجم ويسميها الابيات الملمعة :

اسمر كالرمح له عامل　　يغضي فيقضي نخب شيق
مسك لماه عاطر ساطع　　في جنة تشفي شج ينشق

وحينا ابياتا كلمة منها كل حروفها مهملة وكلمة كل حروفها معجمة ويسميها الابيات الخيفاء كقوله :

ظبية ادماء تغني الاملا　　خيبت كل شجي سالا

وحينا اخر ابياتا حرف منها مهمل وحرف معجم ويسميها الابيات الرقطاء كقوله :

ونديم بات عندي　　ليلة منه فليل

ويشتط به الامر اخيرا ، ويمعن في هذه الصناعة التي يشبهها باللؤلؤ والمرجان(٧) ، فينظم ابياتا من عاطل العاطل ، وهو الحرف الذي لا نقطة فيه ولا في حرف من اسمه كالدال والواو والحاء ويقدم لهذه الابيات بقوله : « هيهات ذلك مما يخال ، ولا يقال ، حتى يصاغ من الخاتم خلخال . » (٨) ثم يقول :

---

(١) امين الحداد : مقدمة ديوان ناصيف اليازجي ، النبذة الاولى ، ص ب. (٢) المرجع نفسه : ص ث . (٣) المرجع نفسه : ص ش ـ ت.
(٤) محمد نجم : القصة في الادب العربي الحديث ، ص ٢٧ .
(٥) جورج انطونيوس: يقظة العرب، ص ٤٠. (٦) راجع مجمع البحرين
(٧) مجمع البحرين ص ١٢٢ . (٨) المصدر نفسه ص ١٢٢ . (٩) المصدر

حـول در حـــل ورد   هـل له للحـر ورد
لحصـور حلـو وصـل   ورده للصحـو طـرد
وله صـول وطـول   ولـه صـد ورد
دهـره حـر صـدور   هـل لـه للـه حـد

ويظن اليازجي انه قد بلغ في ذلك غاية القول ، وفاق الاولين والاخرين فيقول : « فلما اعتبر الجماعة ، سر تلك الصناعة ، تكأكأوا عليه (اي على قائل هذه الابيات) من الامام والخلف ، وقالوا رب واحد يعدل بالف . »(٩)

ولو كان اليازجي قدوجد في الابجدية غير الشين والغين حروفا معجمه ومؤلفة اسماؤها من حروف معجمه لما كان توانى ان ينظم منها ابياتا كتلك الابيات السابقة .

اما التاريخ الشعري والاحاجي وما شابهها فقد ملأت من اليازجي العقل والقلب واللسان وخاض فيها كل بحر

تلك كانت صفات الشعر الجيد عند ابناء القرن الماضي: تلاعب في اللفظ ، وتفنن في الزخرف والصناعة ، واجترار لما اتى به القدماء . ولقد اختص اليازجي كما قلنا من قبل بالمتنبي فحفظ ديوانه عن ظهر قلب واخذ معانيه يسكبها باسلوب متنبئي ايضا ، فجاء شعره صورة مصغرة لابي الطيب فقل الابداع ، وغدا شعره تقليدا واتباعا .

وظهر أثر المتنبي اكثر ما ظهر في الحكم التي كان ينتزعها الشيخ رحمه الله انتزاعا ، ويحشرها في شعره حشرا ، ويخرجها – كما يقول مارون عبود – « اخراجا بطيئا كانه مشي الشيوخ الاجلاء . انه لا يقذفها قنابل كالتي كان يرمي بها المتنبي الناس . » (١٠)

لقد كانت الحكم عند المتنبي نتيجة اختبار طويل وروية ، اما عند اليازجي فقد كانت نتيجة تنقيب في آثار ابي الطيب واضرابه . لقد نظم اليازجي الحكمة نظما ، فجاءت فاترة . اما المتنبي فقد أحسها احساسا عميقا ، فاذا هي شعر لا نظم .

وهكذا افسد التقليد والتكلف شعر اليازجي ، وزادته فسادا تلك الصناعة الممسوخة . لقد اتخذ اليازجي الشعر وسيلة لاظهار حذقه ومقدرته ، فساء . اذ ان الشعر هو غاية في ذاته لا وسيلة . ولوان اليازجي انصرف عن هذه الاشياء الى التعبير عن شخصيته ، والتعبير عما يحسه ويشعر به ، لكان أتى لنا بشعر غير ذلك النظم المهلهل .

ولنسمع الان ما ذكره عن حالة الادب في القرن التاسع عشر قنصل فرنسا في ذلك الوقت هنري غيز ، قال : « اما اليوم فالادب لا يزال حيث تركه الكتاب السابقون . واذا عد هنا وهناك بعض مفكرين ، فان هؤلاء جميعهم من الشعراء الصغار . اننا نجد من هؤلاء مسيحيين في الجبل ، هما ناصيف اليازجي وبطرس كرامه . وفي حمص الشيخ حسين الجندي (يقصد امينا الجندي) الذي لاقت ازجاله واناشيده رواجا كبيرا . » (١١)

تلك كانت الحال في ذلك الوقت ، على اننا يجب الا ننحي باللائمة على ناصيف اليازجي واضرابه . فتلك كانت عقلية العصر ، قلت الثقافة فقل الابداع .

ومهما يكن من امر فلقد كان لناصيف اليازجي فضل على العربية وآدابها عظيم . جاء في وقت غلبت الركاكة والرطانة على اللسان ، فأحيا العربية ، وعمل على اعادة مجدها بما الفه من الكتب التي تبين عن ثروة هذه اللغة ، وحببها الى نفوس اهليها ، وأراهم ما هي عليه من الغنى والليونة ، فكان ولا شك حجر اساس في بناء النهضة الادبية الحديثة . ذلك ان مادة الادب هي الكلمة . فان لم تستقم الكلمة لا يستقم الادب . وكان من ناصيف اليازجي ان قوم الكلمة واحياها ، ولا بأس بعد ذلك على الفكر ، فانه يأتي مع الزمان .

ان الادب ، ككل كائن حي ، يسير بدائرة : ابتدأ في الجاهلية بتعظيم الكلمة ، وانتهى في عصر الانحطاط بتعظيم الكلمة . فلا عجب ان يبتدىء من جديد في القرن التاسع عشر بما انتهى به ، وعسى ان يطول بنا الامد قبل ان نصل الى عصر انحطاط ثان .

احمد فارس الشدياق

غير ان الامر لم يدم طويلا على حالة الادب تلك ، اذ قيض الله للبنان رجلا قفز بالادب العربي قفزة رائعة الى الامام ، فما كاد الامر يصل بنا الى اواخر القرن التاسع عشر ، الى عام ١٨٨٧ ، عام توفي احمد فارس الشدياق ، حتى كان للبنانيين بل للعرب اجمع ذخيرة ادبية تركها لهم هذا الجبار هي بحق ذخيرة عالمية خالدة .

حاول احمد فارس الشدياق التجديد فنجح في اكثر الحالات . كان مجبولا على النقد ، مطبوعا على الثورة ، ثار على الدين ورجاله ، وثار على المجتمع ، وثار على الاساليب القديمة ، ولم يكن همه سوى الاصلاح والتجديد ، وكثيرا ما كان يخالط جده الهزل ، فيزيده ذلك رونقا وجمالا ويزيده فعالية . فتهكمه على خفة ظله مرير لاذع فعال في النفوس . ومما يلفت النظر كلفه العظيم بالتجديد ، لقد اصبح الشعر عنده كلاما عاديا خاليا من الزخرف والصناعة ، فكانه في نظمه يتحدث تحدثا ، وذلك أقرب الى الطباع ، وافعل في النفوس . من ذلك قصيدته في رثاء حماره . قال ، وقد ظهر التهكم اللاذع :

راح الحمار وخلى القيد في الوتد   وما ارى اثره في الناس من احد
فهل انا راكب من بعده وتدا   أم مجزئي قيده لو كان من مسد
أم كيف ادخل دارا كان لي سكنا   فيها وانزل عندي منزل الولد
سرهدته بيدي كالطفل من شفق   كالطفل من شفق سرهدته بيدي

لم يتوان عن الترديد ما دام يصور اللهفة ادق تصوير ، تماما كما يفعل الشعراء المحدثون :

سرهدته بيدي كالطفل من شفق   كالطفل من شفق سرهدته بيدي

ويمضي في رثائه الى ان يقول وقد ظهر تهكمه واضحا :

يفديك كل حمار ند من بطر   او ضج من لغب او خار من جهد(١٢)

وقد بلغ به حبه للتجديد مبلغا جعله يحاول التحرر من القافية فينظم يوما أربعة ابيات مختلفة القوافي على ان تكون فاتحة ديوان كامل وصرح لنا انه فعل ذلك « تهافتا على احداث شيء غريب » . غير ان عدم تمكنه من التخلص من وحدة البيت حال دون نجاح هذه المحاولة . اما الابيات فهي :

ساعة البعد عنك شهر وعام   الوصل يمضي كانما هو ساعة
أتنجم الليل الطويل صبابة   وتنجمني لنجوم ذي تفليك
ويخفق سني القلب ان هبت الصبا   ويذكرني البدر المنير محياك
ألا ليت شعري كم يقاسي من النوى   وانحائه قلب يذوب تجلدا (١٣)

نفسه ص ١٢٣ . (١٠) مارون عبود : رواد النهضة الحديثة ، ص ٦٨ .
(١١) هنري غيز : بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن ، تعريب مارون عبود ، الجزء الاول ، ص ١٢٤ . (١٢) احمد فارس الشدياق : الساق على الساق فيما هو الفارياق ص ٢٢٣–٢٢٤ . (١٣) المصدر نفسه ، ص ٢٧٠

الينبوع

نحن الذين لا ننامْ
نبدع الاحلامْ .

عيوننا خيط الذُرا ،
والريحِ ، والاوهامْ

قلوبنا متاحف
للشوق ، والآلام ..

★

ننسج حلم حلمنا
ارجوحةً زرقاء

نعمّق في الأبعاد ،
والألوان ، والأضواء

نهتزُّ في شراع حرف
موعداً وضَّاء ..

نلقي بدرّنا الى
ماردنا الجبارْ

نلقم شِدْقَ الليل
حتى فجرنا الزخّار .

ونمسح الرموس ،
والقفار ، بالافكار !

★

فتوحنا قصيَّةٌ
مجذافها الافهامْ

وجداننا أجنحةٌ ..
بواحنا الهام

نحن الذين لا ننامْ ،
نبدع الاحلام !

حلب — علي الزيبق
« من الاصدقاء »

ورأى ان عمله ذاك لم يكلل بالنجاح فكف عنه وعاد الى نظم القريض على النمط القديم .

كان الشعر في ذلك الزمان لا يزال محافظا على قدسيته . فلم يكن قد حان الوقت بعد لاعمال التجديد فيه الى حد بعيد . فهو ما زال حديث العهد صغير السن، لم يبلغ رشده لكي يتصرف على هواه . كان الشعر لا يزال تحت كنف عقلية القرن التاسع عشر المستمدة من عقلية عصور الانحطاط . ولذلك صرف الشدياق نظره عن التجديد فيه ، ورضخ الى مشيئة العصر ، وانصرف الى اشباع غريزته التجديدية في النثر حيث المجال اوسع .

وهكذا نراه يعود في الشعر الى الاقتداء بالاقدمين ، فيقف على الطلول ، ويبتدىء بالغزل ، ويمدح ويهجو ويرثي وينظم في كل فن ، ولكن على قسط وفير من الذاتية الاصيلة التي كانت تظهر اكثر ما تظهر في الهجو حيث يتسع المجال للشاعر ليعبر عن كوامن ذاته : ينتقد ويثور ويتهكم ، فتشبع غريزته المطبوعة على تلك الاشياء .

ومهما يكن من امر شعره فان الشدياق كان داعية التجديد . وقد وجهت كتاباته النثرية الادب وحررته شيئا فشيئا من نير التقليد . فلقد انتقد اساليب الشعراء والكتاب في زمانه ، وحمل على شعراء المناسبات ، وما اظنه الا غامزا من قناة شعراء الامير الذين مر ذكرهم . قال مثلا في « فارياقه » موردا بعض الشعر في مدح « السري » وقد بالغ في السخرية والتهكم والكلام البذيء حتى اننا لا نستطيع ان نورد الا القليل كقوله :

قد اسهل اليوم السري فكلنا — فرح ففي اسهاله التسهيل
فاستبضعوا خزا لديه مطرزا — وتسابقوا ان البطيء قتيل

والشدياق ، مع ما هو عليه من التقليد في شعره ، فانه قد اكره على ذلك اكراها ، وحمل عليه حملا ، علّه يكسب به قوته ، ويصلح من عيشه . فما هو الا وسيلة اضطر اليها اضطرارا ، فاسمعه يقول :

من يكن مثلي رفيع الدرجات — فهو اولى بمفاعيل السراة
من معاطاة فضول الشعر في — فاعلات فاعلات فاعلات

او يقول :

راوا دخان قميني صاعدا فجرى — بالماء قوم ليطفئوا سورة اللهب
فقال بعض افين انت قلت نعم — افين شعرا وعندي معمل الكذب

وكثيرا ما انتقد اولئك الاتباعيين المحافظين ، داعيا الى التجديد وكتابه « الساق على الساق في ما هو الفارياق » خير دليل على ذلك .

وهكذا كان احمد فارس الشدياق خير موجه للادب ، وخير مجدد فيه في ذلك العصر حتى اذا ما جاء القرن العشرون اخذ التجديد يذر قرنه في البلاد كما سنرى في العدد القادم .

سامي مكارم

مغيب

O

علـى حواشي المغيبْ
تحفـُّــز" للنحيـب
وفوق ُشمٍّ الـذُّرى
ماذا ارى ؟
اني ارى الغيهبَ الكئيبْ
يغشى الورى

★

في الزُّرقة الغائمه
كالمقلة النائـمه
أرى خيال الهلالْ
بين التلالْ
يسري كروح الاسى الهائمـه
عبر الظلالْ

★

وفي احتراق الغمارْ
شاهدت مثل الجمّارْ
غيماً بلـون الـدماء
ناراً وماء
هولاً مهـدداً بالدمـار
َصرْحَ السماء

والنجمةُ الحائـره
تهتـزُ فـي دائـره
مما يحوك السحابْ
َعرْضَ الرحابْ
أشجى المدى اذ هوت غائره
همسَ انتحابْ

★

والرعدُ َدوّى فهـاجْ
بالحـقد قلبَ الاجاجْ
ولعلـمَ البـرقُ فـي
جوٍّ خفي
والنورَ يهمي على اللّجاج
كي ينطفي

★

هل للضياء انقضـاء
في لاتناهي الفضاء ؟
وما هوى من بدورْ
مما تدورْ
هل ينتهي كلُّ ما أضاء
غورَ الصدور ؟

نبيـه صقـر

اهمية الكتلة الاسيوية الافريقية في هيئة الامم المتحدة

بقلم الدكتور منذر الدقاق

o
o o

ولادة ونشوء الكتلة الاسيوية الافريقية

يقوم في هيئة الامم المتحدة ، نوع من التجاوب السياسي في المعترك الدولي يقسم الدول الاعضاء الى كتل وجبهات ... وفي السنين الاولى لهيئة الامم المتحدة تآلفت اصوات بعض الدول الاسيوية والعربية خلال ابحاث هيئة الامم واتفقت وجهات نظر هذه الدول على كثير من القضايا الدولية ... وكانت الدول العربية الست الممثلة في هيئة الامم قبل عام ١٩٥٠ وهي سوريا ، مصر ، لبنان ، العراق ، المملكة العربية السعودية ، اليمن ... كانت هذه الدول تتآخى مع سبع دول اسيوية وافريقية في النقاش والتصويت وهذه الدول الاسيوية السبع هي الهند ، الباكستان ، بورما ، افغانستان ، اندونسيا ، ايران ، الحبشة ... وكان هذا التآخي الاصل في تكتل دولي داخل المنظمة العالمية ، ولم تبدأ هذه الدول بتنسيق نشاطها وتوحيد اهدافها وتوجيه اعمالها الا في دورة عام ١٩٥١ في باريس حيث اتخذت موقفا موحدا في قضية مراكش ثم تذاكرت في قضية تونس الى ان رفعتها الى مجلس الامن ... وكانت هذه الدول متفقة على رأي واحد حول القرارات التي صدرت عن الهيئة في تلك الدورة ، مما عرقل الكثير من التطبيق الاميريكي المعتاد لاعمال منظمة الامم .

كانت دول الكتلة الاسيوية الافريقية في عام ١٩٥١ وعام ١٩٥٢ تتبادل الاراء حول مختلف القضايا المعروضة على هيئة الامم ، ويتذاكر مندوبوها في الموقف الذي يحسن اتخاذه ، ثم ما لبث ان تبلور نشاطها في عام ١٩٥١ على اساس تكوين جبهة واحدة ... وصدر كثير من القرارات في ذلك الحين مخالفا لما اراده الاميريكيون والروس على السواء ... وكانت اصوات الكتلة الاسيوية العربية كافية في أكثر الاحيان لعرقلة اكثر التوجيهات الاميركية في الهيئة فاجمعت الاوساط الدولية الرسمية والصحافية في ذلك الوقت على التساؤل : « هل افلتت هيئة الامم من قبضة الولايات المتحدة ؟ » وكان نشاط الكتلة يتجاوز الدورة السنوية اذ يتابع مندوبو دولها الاتصال بصورة مستمرة دائمة للبحث في اجتماعات دورية عن القضايا التي تخص اسيا وافريقيا والعالم ، وقد دعا نشاطها هذا كافة عناصر المنظمة العالمية الى اقامة الحساب دائما لكتلة واحدة كانت مؤلفة من (١٣) عضوا ... وفي البدء ، كانت جهود الكتلة تنتهي الى الفشل في كثير من القضايا التي خاضتها ... ولكن هذا العنصر السلبي لم يؤثر في نفوذها الادبي ، وعلى العكس فان متابعتها العمل رغم السياسة الغربية المعاكسة المنظمة قد جعل الدول تؤمن اخيرا ان الكتلة الاسيوية العربية عازمة على التأثير بما لها من نفوذ ، ورأينا الدول الغربية تذعن لتأكيدات الكتلة في كثير من المواضيع .

ثم جرى اول اجتماع لاعضاء الكتلة العربية الاسيوية خارج نطاق هيئة الامم وذلك في القاهرة في اواخر عام ١٩٥٢ ، وكان هذا الاجتماع لبحث الاسس التي تراها الكتلة ملائمة لمتابعة سياستها الرامية الى خلاص افريقيا الشمالية من الاستعمار الافرنسي ... ونال هذا الاجتماع اذ ذاك صدى كبيرا في الاوساط السياسية الغربية وعلى الاخص الاميريكية منها واتضح ان نشاط الهيئة الدولية الجديدة يعدو نطاق هيئة الامم الخاضع لانظمة دولية عامة وانه يتمتع بذاتية خاصة لا تعود الى جدران المنظمة العالمية

وتطور دور الكتلة الاسيوية الافريقية واتسع نشاطها منذ ان دخل هيئة الامم في العام الماضي اعضاء جدد ... وكان قبول عدد من الدول الاسيوية والافريقية في المنظمة سببا في تقوية نفوذ هذه الكتلة العالمية ، وهو ما اضعف بصورة غير مباشرة كتلة امريكا اللاتينية التي تعد عشرين دولة والتي لا يمكن ان تزيد . ففي عام ١٩٥٧ اصبح عدد اعضاء الكتلة الاسيوية الافريقية (٢٨) بعد ان كان ثلاثة عشر في بدء تكتلها ... فاذا ما تم قبول مانغوليا والملايو وغينيا الجديدة والساحل الذهبي فان هذه المجموعة الاسيوية الافريقية تصبح اقوى كتلة اقليمية في هيئة الامم وتسيطر على الكثير من اتجاهاتها . فدخول اكثر من عشرين عضوا دفعة واحدة الى المنظمة في عام ١٩٥٦ اضاف اليها عنصرا عاما حمل الكثير من الصعوبة الى سياسة التواطؤ التي اعتادتها بعض الكتل في هيئة الامم .

ولقد تعمدت الكتلة الاسيوية الافريقية ابعاد اسرائيل والصين الوطنية عنها ولهذا الابعاد مغزى بعيد فهو يعني ان الاكثرية العظمى من سكان الارض لا ترضى عن اسرائيل وهذا يعني ايضا ان هذه الاكثرية لا تعترف باية سلطة دولية للصين الوطنية في مضمار السياسة الاسيوية .

ولقد كانت الكتلة الاسيوية الافريقية قبل عام ١٩٥٥ تجامل الكتلة الغربية في كثير من الاتجاهات السياسية فرأينا مصر والهند تقفان موقفا معتدلا للغاية في القضية الكورية ، الا انه مع ازدياد اعضاء الكتلة الاسيوية الافريقية، ازداد الاتجاه نحو موقف حيادي وسط بين المعسكرين واصبحت هذه الكتلة اقل مسايرة للسياسة الاميريكية واكثر قبولا لجمع اصواتها مع الكتلة الشرقية في كثير من القضايا التي تخص العالم الاستعماري الغربي .

فبعد ان بلغ عدد اعضاء الكتلة الاسيوية الافريقية (٢٨) صوتا ، اصبحت تتمتع باصوات اكثر وبنفوذ اقوى

من الكلمة الاميركية اللاتينية التي لا تعدو عشرين دولة .
كان التطور العددي الجديد واتساع الكتلة الاسيوية الافريقية قد حمل الى موقف الولايات المتحدة الكثير من الضعف .

وكان من جراء هذا التطور ان اصبح الاتجاه في هيئة الامم نحو نشاط الهيئة العامة وابعاد جل القضايا في مجلس الامن حيث يلعب الفيتو دوره وحيث لا تتمتع الكتلة الاسيوية الافريقية بأي نفوذ عملي لاقرار سياستها.

اهمية وفعالية الكتلة بالنسبة للكتل الاخرى :

كي تدرك مدى فعالية الكتلة الاسيوية الافريقية ، لا بد من مقارنتها مع فعالية الكتل الاخرى ، فالكتلة السوفياتية متماسكة متضامنة الا ان اصواتها التسع (الاتحاد السوفياتي ، اوكرانيا ، روسيا البيضاء ، بولونيا ، تشيكوسلوفاكيا ، رومانيا ، البانيا ، هنغاريا ، بلغاريا) .

لا تحمل الى هيئة الامم اي تأثير نهائي ودورها الخاص ينتهي عند الخطب والاقتراحات الفاشلة غالبا ...
اما الكتلة الاميركية اللاتينية فهي قليلة التضامن والتعاون الا انها فعالة مؤثرة ... وما تقدمه من توصيات يلقى اكثرية في اكثر الاحيان وهي تتلقى توجيهات الولايات المتحدة في أغلب المواضيع . ثم تأتي الكتلة الاطلسية وهي مجموعة دول حاف الاطلسي وقد تالفت فيما بينها الى حد بعيد ورأيناها غالبا تفوص في خضم تجاهل وهضم حقوق الشعوب المستعمرة وعرفت هذه الكتلة بعض التنابذ والاختلاف وذلك ابان العدوان المثلث على مصر وقيل ان الاختلاف مصطنع وان الكتلة تقر ضمنا العدوان .

وكان من نتيجة قبول اعضاء جدد اغلبهم من اسيا وافريقيا ، في المنظمة العالمية ان ضعفت الكتلة اللاتينية وتبعثرت الجهود الموجهة للكتلة الاطلسية وقويت الجبهة الاسيوية الافريقية المناوئة لكل سياسة استعمارية .

وفي كل بحث لمشكلة تخص السياسة الاستعمارية للكتلة الغربية ، ينضم الى الكتلة الاسيوية ، اصوات الكتلة السوفياتية وهي تسع وصوت يوغوسلافيا واصوات اسكندنافيا وهي اربع : السويد والنروج والدانمارك وايزلاندا ويضاف الى ذلك صوت فنلندا التي لن تعاكس الروس في السياسة العالمية لانها ترى ضرورة المحافظة على حسن الجوار .

وهكذا فان اصوات الكتلة المناوئة للاستعمار تبلغ اثنين واربعين صوتا من اصل ٨١ (٢٨ كتلة افريقية اسيوية ٩ كتلة سوفياتية + ١ يوغوسلافيا + ٥ اسكندنافيا وفنلندا) وهو كاف لادخال أية قضية في جدول الاعمال ... واذا ما اراد هذا التكتل الشامل التصديق على توصيات او قرارات فانه يحتاج الى اكثرية لا تقل عن الثلثين أي ٥٤ عضوا وهذا يعني ان لا بد له من الاستعانة ببعض اصوات الكتلة الاميريكية اللاتينية لجمع ٥٤ صوتا أي الثلثين .

ومن طرف اخر ، فان اصوات الكتلة الاميريكية اللاتينية مع الولايات المتحدة اذا ما أضيفت الى اصوات اوروبا الغربية واصوات الدول البيضاء في الكومنولث البريطاني ــ حسب تعبير الصحف الاميركية ــ ان هذه المجموعة تعدو الثلث اي ان باستطاعتها ايقاف القرارات ومنع التصديق عليها في هيئة الامم اذا ما ارادت ذلك .

ولكي تدرك الولايات المتحدة غايتها السياسية في هيئة الامم ، نراها مضطرة للتآخي مع قسم من دول الكتلة الاسيوية الافريقية ، وهو ما يضطرها الى صيغة التوصيات والقرارات بشكل معتدل يقبله هذا القسم ، وهذا ما وقع حين وضع قرار هيئة الامم الخاص بهنغاريا .

اما ازدياد قوة الكتلة الاسيوية الافريقية في الهيئة فهو يعني ازدياد قوتها في دعم الحركة المناوئة للسياسة الاستعمارية ما دامت الدول الاسكندنافية ودول المعسكر الشرقي والقسم الاكبر من دول امريكا اللاتينية تشارك الكتلة الاسيوية الافريقية شعورها المناهض للاستعمار ، اذ يجب ان لا ننسى ان عناصر وجود الكتلة الاسيوية الافريقية تعود الى العديد من قضايا المستعمرات التي بحثت في نطاق الهيئة فكان يقف اعضاؤها ضد الدول الاستعمارية التقليدية ، بعد ان عرفت اسيا وافريقيا اذى هذه الدول الاستعمارية بشكل بالغ في القرنين التاسع عشر والعشرين وكان هذا الشعور الشامل جامعا لاهدافها وغاياتها .

ولئن يحسب المعسكران الغربي والشرقي حسابا لوجودها واتساعها ونشاتها فلان الكتلة تمثل الاكثرية المطلقة لشعوب الارض ، والهند واندونسيا وعدد نفوسهما يقرب من نصف مليار نسمة ــ تشكلان حجر الزاوية في هذه الكتلة المترامية الحدود ، وهاتان الدولتان تحسان الى حد بعيد ما هو الاستعمار وما هي فنونه وقد ذاقتاه اربعة قرون ثم ان بعض الشخصيات الدولية التي تدعم الكتلة كالبانديت نهرو مثلا قد فرضت على المعسكرين احترامها ، ونهرو هو من المع الشخصيات السياسية في العالم التي تتمتع باصفاء اقطاب المعسكرين الكبيرين على الاقل .

وكان اهم ما اعتقده المراقبون الدوليون ان العامل الديني يسود هذا التحالف الاسيوي الافريقي الكبير وان تألف الدول الافريقية والاسيوية يقوم على رابطة الدين الاسلامي حتى ان بعض التصريحات الرسمية قد تضمنت لفظة (اسلامي) بدل (عربي) او (اسيوي) ويشاء هؤلاء ان يتجاهلوا ان لا صلة للسواد الاعظم في الهند بالدين الاسلامي وان الحبشة وبورما ترتبطان بصداقة وتاريخ الاسلام فقط وان كره الاستعمار عنصر اول في هذا التحالف الكبير .

الروح السياسية للكتلة الاسيوية الافريقية

واننا لنلاحظ من تتبع نشاط هيئة الامم ، انه قد اطيح نهائيا في توجيهات الهيئة وتوصياتها بالمصالح الاستعمارية وان الدول المستعمرة ستبقى في موقف صعب حتى تتم تصفية قضاياها المعلقة ... وقد يصعب على الدول الاستعمارية ان تفهم التآخي الذي يجمع الهند والباكستان او افغانستان والباكستان في مثل هذه المواضيع بينما تثور بينهم مشاكل لا حد لها حول بعض المصالح الاقليمية ، ولكن الشعور العميق الذي لازم الاسيويين في كره الاستعمار يعلل هذا التآخي الذي تعجب له الاوساط الاستعمارية الغربية .

وقد تبلغ فعالية الكتلة الاسيوية الافريقية في هيئة الامم ، انها قادرة على رفض أي قرار لا يناسبها وهذا يعني انها تملك عمليا نوعا من انواع حق الفيتو في الهيئة العامة

على مستوى أقوى مما تملكه الدول الكبرى الخمس في مجلس الامن، فأصواتها بالاضافة الى اصوات دول الكتلة السوفياتية تفوق الثلث وهو ما يكفي لرد كافة التوصيات التي لا توافق عليها

ولئن تعددت دول الكتلة الافريقية الاسيوية، فقد توازعت العمل في هيئة الامم بتناسق بعيد، فهي تتقاسم تقديم الحجج والبراهين والادلة في كل شكوى، فلا نرى اي ترداد في خطب مندوبي دول الكتلة، بل اختص كل منهم بناحية يوليها عنايته وتحليله، ومثل هذا التنظيم اثار اعجاب كافة المعلقين في اروقة هيئة الامم واصبحت دوائر المعسكر الغربي ترى ان لهذا الواقع الدولي حسابا في كافة المشاريع والترتيبات الغربية فيما يخص الشرق الاوسط واسيا.

اثر الكتلة في السياسة الاميركية

لم يغب عن الدوائر السياسية الدولية اثر هذا التطور الخطر على سيادة الولايات المتحدة في المنظمة العالمية، ولذا شاهدت هيئة الامم نشاطا بعيدا مباشرا وصل ما بين الوفد الاميركي فيها ووفود الكتلة اللاتينية، وقد اصبح وفد الولايات المتحدة على اتصال دائم بمندوبي اميركا الجنوبية يباحثهم خلال اجتماعات غير رسمية بكافة القضايا المطروحة على بساط البحث، ولا تخلو هذه الاتصالات من توجيهات سياسية غايتها اقصاء كتلة اميركا اللاتينية عن كتلة الدول الاسيوية الافريقية ما امكن.

ويمكن تلخيص موقف الولايات المتحدة الرسمي من الكتلة الاسيوية الافريقية بانه موقف حذر لا ينطوي على شيء من الترحيب.

واذا عدنا الى دور هذا الحلف الاسيوي الافريقي في اتجاهات السياسة الاميركية في اسيا، نجد ان واشنطن قد وجدت في هذا التطور العالمي حقيقة مرة، وهي تعمل على تكييف مقتضيات سياستها معها، وقد تساءلت صحيفة (كريستيان سيانس مونيتور) الصادرة في بوسطن والتي تعتبر اقوى صحيفة اميركية في بحث الشؤون العالمية اذا كانت الكتلة الاسيوية الافريقية قد اساءت كثيرا الى المخططات السياسية العديدة التي تضعها وزارة الخارجية الاميركية للشرق الاوسط.

والتضارب بين التأثير الاوروبي والتأثير الاسيوي الافريقي على السياسة الاميركية وضحت معالمه، منذ عام ١٩٥٢ ... والدول الاوروبية في هيئة الامم تشعر ان الكتلة الاسيوية الافريقية تلعب دورا خطرا، وانها تستخلص منها الدور التوجيهي الذي تمتعت به دائما، ولذا فان نشاط هذه الكتلة الجديدة معرض لعرقلة «منظمة» شديدة من الدول الاوروبية التي لا ترضى بمثل هذا النمو الاسيوي الافريقي الايجابي القوي ... وتعمل هذه الدول الاوروبية الغربية على اتهام الكتلة الاسيوية الافريقية بالتعصب الاعمى، وليس لنا الا ان نقرأ تعليقات الصحف الاوروبية الغربية لنقف على ذلك ... وقد رأت جريدة لوموند الافرنسية في هذه الكتلة عند انطلاقها عام ١٩٥٢ « طابعا اعمى يقوم على الدين » وتتحدث صحيفة (لوبوبل) ــ الشعب ــ البلجيكية عن الكتلة انها « عنصر شيوعي تستفيد منه الكتلة السوفياتية » والديلي تلغراف البريطانية ترى ان « الكتلة الاسيوية الافريقية تعمل على انضاج الطعام الروسي » ومن خلال هذه الصور الخادعة التي تفتقر الى كثير من الحقيقة، تفهم الشعوب الاوروبية الكتلة الاسيوية الافريقية التي جمعها حب الحرية وسعادة الانسان الضعيف

واذا عدنا الى أثر الكتلة الاسيوية في السياسة الاوروبية وجدنا ان الدول الاوروبية تستقبل هذا النشاط الاسيوي الافريقي بكثير من التأفف، وهي تعلم ان اتجاه العالم للواقع الاسيوي والواقع الافريقي يخفف كثيرا من حدة اهتمامه بالواقع الاوروبي ومثل هذا النشاط يجعل اسيا واوروبا وافريقيا على صعيد واحد في مجرى الحوادث الدولية ازاء البيت الابيض وهذا ما شاهدنا تتابع حلقاته منذ انتهاج عبد الناصر سياسة دولية تحريرية خاصة ... فتطلع سياسة واشنطن كثيرا نحو اسيا وافريقيا يخفف من اعتنائها بالتطورات الاوروبية، فالكتلة الاسيوية الافريقية تعمل الان على اخذ ما اختصت به القارة الاوروبية من توجيه اولي وتحكم استئثاري خلال اربعة قرون على مسرح السياسة العالمية.

فالكتلة الجديدة الكبرى تود ان تبرهن ان القسم الاسيوي الافريقي في العالم لم يعد بقرة حلوبة كما ارادته الدول الاوروبية حتى الشطر الاول من القرن الحالي ولذا فان سياسة الكتلة ترمي الى نبذ التدخل الاوروبي او الاميركي مهما تعددت اشكاله.

وعلى الرغم من ان الولايات المتحدة ما زالت تتمتع بنفوذ كبير في هيئة الامم، الا ان التكتل الذي يقسم اعضاء المنظمة قد اضعف هذا النفوذ وهذه المراقبة العالمية على احداث العالم ـــ وقد اتضح من الدورة الاخيرة لهيئة الامم التي عالجت خلالها الكثير من احداث الشرق الاوسط فيما يعود لمصر وفلسطين، انه قد يكون من الصعب على الولايات المتحدة في ايام الازمات الحصول على اكثرية في هيئة الامم تقف الى جانبها. وحتى في قضية هنغاريا، فقد رفض عشر دول اسيوية مجاملتها في قبول التوصيات والقرارات المقترحة.

موقف الاتحاد السوفياتي من الكتلة

اما اذا استعرضنا موقف الاتحاد السوفياتي وكتلته من هذا التطور الدولي وجدنا ان سياسة الكرملين ازاء الكتلة الاسيوية العربية قد لاقت كثيرا من التبدل.

ففي المرحلة الاولى لانطلاق الكتلة كان الاتحاد السوفياتي ازاؤها سلبيا اكثر منه ايجابيا وعلى الرغم من ان الديبلوماسية الروسية قد ايدت الكتلة الكبرى في اكثر المشاكل التي تقدمت بها الى هيئة الامم فلقد كانت تعارض اتجاه الدول الاسيوية العربية الدولي خلال حكم ستالين ... ففي القضية الكورية سلكت الكتلة الروسية سياسة مناهضة للدول الاسيوية ورفضت شتى مقترحاتها ونعتتها بانها تعمل في خدمة الاستعمار الامريكي وقامت الصحف الروسية الكبرى بحملة شديدة عليها في ذلك الوقت وكانت قد كتبت (البرافدا) الصحيفة الرسمية السوفياتية ان الكتلة العربية الاسيوية تساير الاستعمار الاميركي وعلقت مجلة (نيوز) الصادرة في موسكو باللغة الانكليزية على نشاط الكتلة في اول عهدها فوجدت انها لا تعمل للشعوب الاسيوية التي ترزح تحت نير الاستعمار، ويصح ان نردد ما اشار اليه بعض المعلقين الدوليين ابان الحكم

الستاليني من ان الاتحاد السوفياتي الذي يود ان يكون (السيد الموجه في اسيا) لا يرحب كثيراً بكتلة جديدة لها سياستها الاسيوية التحريرية الخاصة .

وكان ان قضى ستالين نحبه وتغير تكتيك الاتحاد السوفياتي في السياسة الدولية واصبح على العكس يغذي الكتلة الاسيوية الافريقية بالنشاط والتأييد ويدعم سياستها في الحياد الدولي ويؤيد اتجاهاتها في مصارعة السياسة الاستعمارية الغربية في العالم .

الكتلة بين هيئة الامم ومؤتمر باندونغ

والكتلة الاسيوية الافريقية تعني في الواقع كتلة مؤتمر باندونغ وجل اعضاء هذا المؤتمر قد اصبحوا الان في عداد المنظمة العالمية واكثرهم يعمل بوحي روح مؤتمر باندونغ هذه الروح التي تنقم على كل ما يعود للفكرة الاستعمارية الغربية والتي تعتقد ان العالم قد هضم حقوق اسيا وافريقيا وانه ما زال يعمل على استغلال هاتين القارتين دون ان يقدم لها ما يعوض هذا الاستغلال المزمن الذي يعود الى اربعة قرون .

ومما لا شك فيه ان الكتلة الاسيوية الافريقية قد نمت في هيئة الامم قبل مؤتمر باندونغ وانها كانت النواة الحقيقية للمؤتمر الذي جاء فيما بعد ليوطد اسس كيانها ونفوذها وسياستها كهيئة عالمية تقع بين الشرق والغرب طالما اطلق عليها المعلقون الدوليون اسم القوة الثالثة او المعسكر الثالث او الكتلة المحايدة .

عناصر التناقض في الكتلة

وثمة اهمية تختص بها الكتلة الدولية هي وجود بعض التناقضات فيها ، مما لم يسجل مثيله تاريخ المخالفات ، فالخلاف بين الباكستان والهند على قضية كشمير ما زال في الاوج والنزاع بين الباكستان وافغانستان على مناطق الحدود مستعر الرحى وبعض الدول العربية تختلف مع شقيقاتها في اتجاه السياسة الدولية بالنسبة للشرق والغرب وليس من تآزر كلي يجمع اليابان وجاراته في سياسة الشرق الاقصى وبالرغم من كل هذا فان كافة هذه الدول تعمل في نطاق واحد لاهداف واحدة تعود الى الشعوب العربية بصورة خاصة مما دعا معلق صحيفة (الواشنطن بوست) الى التساؤل عما اذا كان التحالف العفوي يعود الى ظفر سياسي ديبلوماسي عربي في اجتذاب دول متنافرة فيما بينها ، لتتفق على العمل معا لصالح القضايا الاسيوية الافريقية وجل هذه القضايا هي عربية حتى الان .

وكان مما قاله الدكتور شارل مالك وزير خارجية لبنان امام الجمعية العمومية للامم المتحدة في شباط الماضي انه ربما كانت الدول العربية مختلفة على مواضيع معينة في السياسة الدولية الا انها متفقة كل الاتفاق على طلب جلاء اسرائيل عن اراضي مصر وقطاع غزة .

وعلى الرغم من تجاوب خاص لدى اعضاء الكتلة الاسيوية الافريقية في كل ما يعود لاسيا وافريقيا ... فان بعض اعضاء هذه الكتلة يبقون في اكثر القضايا التي تتعلق مباشرة بنظام المعسكرين الشرقي والغربي الى جانب الدول الغربية كالفيلبين وتركيا والباكستان والتايلاند .

واليابان ما زالت في سياستها اقرب الى الولايات المتحدة ، وسيلان والهند والباكستان دول ما زالت في مجموعة الكومونولث البريطاني ولاوس ما زالت تنظر الى فرنسا في سياستها الخارجية ...

ان هذا التناقض الداخلي في الكتلة الاسيوية الافريقية قد جعل بعض الاوساط الغربية تتأمل بعض التصدع في هذه القوة النامية ... وفي مناقشة القضية الهنغارية في هيئة الامم وجدنا انقساماً واضحا في اتجاهات الكتلة. فلقد صوت اكثر من نصف اعضاء الكتلة الاسيوية الافريقية الى جانب المعسكر الغربي في استنكار التدخل الروسي .

ويرى المستر هاملتون المختص بشؤون هيئة الامم في صحيفة النيويورك تايمس ان « الخلافات الداخلية التي تكمن في الكتلة الاسيوية الافريقية تفسر عجز الكتلة عن تقديم برامج ايجابية واضحة ومقبولة حين تناقش هيئة الامم القضايا ذات الطابع الغير استعماري ... اذ ان تاريخ الغرب الاستعماري في افريقيا واسيا هو الرابطة التي تقوم عليها الكتلة الاسيوية الافريقية .

ويبدو لنا بوضوح بعض اشكال التفكك في هذه الكتلة اذا ما عدنا الى موقفها في قضية قبول الصين الشعبية في هيئة الامم .

وحتى الان ... لم يعترف بالصين الشعبية سوى ثمانية وعشرين دولة من اعضاء هيئة الامم وهذا ما يجعل امر قبولها صعبا ... ما دامت الولايات المتحدة تعارض في ذلك .

فاصوات امريكا اللاتينية التي توجهها الولايات المتحدة واصوات دول حلف الاطلسي كافية لمنع قبول الصين الشعبية وان حصلت هذه على تأييد الكتلة الاسيوية الافريقية والكتلة السوفياتية .

ففي الشروط الحالية ، ليس من اهمية قصوى للكتلة الاسيوية الافريقية في فرض قبول الصين الشعبية على العكس فان هذه الكتلة تحمل الى الموضوع بعض الضعف ما دامت بعض الدول الاسيوية تعارض في هذا القبول .

وباية حال فان الممانعة في دخول الصين الشعبية هيئة الامم ، تدبير ديبلوماسي امريكي يزداد الاشمئزاز منه في المنظمة العالمية باستمرار . وفي كل عام يحاول فيه الاتحاد السوفياتي عرض القضية ، نلاحظ ان الاصوات التي ترتفع لتؤيد قبول الصين الشعبية تزداد بتتابع وقد لا يأتي العام المقبل الا وتحتل الصين الشعبية مقعدها في مجلس الامن وفي هيئة الامم وعندها تجابه الولايات المتحدة على الصعيد الدولي العالمي اشتدادا في مقاومة سياستها وايحاءاتها التقليدية في أروقة الندوة العالمية .

ويرى بعض الاوساط الديبلوماسية المطلعة ان الهند خاطئة في الدعوة بالحاح لقبول الصين الشعبية اذ انه على حد زعمها ، ستحتل الجمهورية الصينية الزعامة المعنوية والمادية للكتلة الاسيوية الافريقية بدل الهند التي تحمل الصدارة الان في الكتلة المذكورة ... ولعل الخطأ يكتنف هذا الراي اذا علمنا ان حياد الهند بالنسبة للمعسكرين هو الاصل في مركزها الدولي الهام في حين ان الصين الشعبية

دولة غير حيادية تعود الى المعسكر الشرقي وهو ما يجعلها بعيدة عن الدور الذي تقوم به الهند .

عناصر القوة وعناصر الضعف في الكتلة

تطوى الكتلة الاسيوية الافريقية في جوانبها عناصر قوة وعناصر ضعف... والقوة فيها ان لا بد من الاعتماد على اصواتها في هيئة الامم لتقرير كافة المشاريع، والضعف فيها ان اصواتها لا تكفي لانهاء اي بحث تريده ، ولا بد لها من التحالف مع الكتل الاخرى لادراك اي نجاح . ودور الولايات المتحدة في اظهار هذه القوة ذو اهمية خاصة اذ ان تأييد الولايات المتحدة لما تريده الكتلة الاسيوية الافريقية يعني تأييد بعض دول امريكا اللاتينية وبعض دول حلف الاطلسي وهو ما يكفي لنجاح اي مشروع او اقتراح تتقدم به الكتلة الاسيوية الافريقية ... واذا ما تراجعت الولايات المتحدة عن هذا التأييد ، لا تتمكن الكتلة الاسيوية الافريقية من احراز اي نصر ديبلوماسي اذا لم تلق دعما ما لا يقل عن عشر دول من الكتل الاخرى التابعة للمعسكر الغربي ... على انه باية حال ، باستطاعة الكتلة الاسيوية الافريقية عرقلة قبول ما لا تريده ان يقع .

وقد قدمت اعمال هيئة الامم في السنوات الست الاخيرة التي رافقت نشوء وتطور الكتلة الاسيوية الافريقية الكثير من المشاكل الدولية وارتبطت هذه القضايا العالمية بالكثير من اتجاهات الكتلة الاسيوية الافريقية .

اعمال الكتلة في هيئة الامم

لقد بدات الكتلة الاسيوية الافريقية اعمالها من خلال عرض قضيتي تونس ومراكش على هيئة الامم في عام ١٩٥١ وكان بحث القضيتين في كل دورة من دورات الهيئة يكسب المزيد من التوصيات والتوجيهات التي تريدها الكتلة القوية، حتى تم ان اذعنت فرنسا امام واقع الامر ونالت تونس ومراكش استقلالهما عام ١٩٥٦ وفقا لارادة الكتلة الاسيوية الافريقية .

اما في القضية الفلسطينية ، فلقد توفق العرب منذ قيام الكتلة الاسيوية الافريقية الى منع اصدار اي قرار او توصية لا يقع في صالح القضية العربية في فلسطين .. ولو ان الكتلة هذه قد وجدت في عام ١٩٤٧ لما صدر قرار التقسيم اصلا ولبقيت فلسطين في وضع سياسي احسن مما هي عليه الان بكثير وفي دورة عام ١٩٥٢ قدم الفيلبين خدمة مثلى للدول العربية من خلال لعبته البارعة التي قام بها في الجلسة العامة لهيئة الامم حينما اراد انصار اسرائيل التصديق على قرار يتضمن تجاهل كافة التوصيات السابقة الخاصة بفلسطين فلقد اتاح قرار قدمه الفيلبين احد اعضاء الكتلة ورفضه انصار اسرائيل ان يبعد التصديق على اي قرار يذهب بالمشاريع الخاصة بالتعويضات واللاجئين واستطاع مندوب الفيلبين ان يبرهن ان اسرائيل غير صادقة النية في كافة وجوه القضية وهذا ما دعا بعض الدول الحيادية لتغيير موقفها والتصويت الى جانب الدول العربية

وتبين لنا قوة الكتلة الاسيوية الافريقية اثناء مناقشة قضية العدوان المثلث على مصر واستطعنا ان نستخلص ان للكتلة المذكورة كل السلطة في دعم مشيئتها وارادتها وقد فرضت الحلول على دول العدوان المثلث على مصر وكانت في كل مرة تتقدم فيها بمشروع قرار ... تلقى اجماعا من الدول الاعضاء على تأييدها وكانت قضية القنال اهم ما صادفته الكتلة الاسيوية الافريقية من قضايا عالمية واستطاعت ان تثبت ان لها الدور الاول في توجيه اعمال الهيئة وفق مبادىء العدل والانصاف .

واختلف الوضع كثيرا ابان عرض القضية الهنغارية ورأينا عناصر التناقض والضعف واضحة في صفوف الكتلة الاسيوية الافريقية خلال مناقشة التدخل الروسي في هنغاريا ... وانقسمت الكتلة المذكورة في قسم يتألف من احدى عشرة دولة رأى الحياد افضل اتجاه في هذا النزاع فامتنع عن التصويت على كافة القرارات التي تتعلق بالموضوع ومن هذا القسم الهند ومصر وبعض البلاد العربية .

وقسم ثان لم يتردد ان يظهر عداءه للاتحاد السوفياتي في مناسبات عديدة ، وقد صوت مؤيدا لقرار استنكار التدخل الروسي ومن هذا القسم بورما وسيلان وهما دولتان اوضحتا في مناسبات عديدة حيادهما بين المعسكرين كما امتنع عن تأييد الاتحاد السوفياتي في سياسته في هنغاريا العدد الاكبر من دول الكتلة الاسيوية الافريقية .

واذا كانت بعض دول الكتلة الاسيوية الافريقية تعلن قبولها لسياسة الكتلة الغربية واتجاهات السياسة الاميركية كالباكستان والفيلبين ، فان البعض الاخر يميل الى مسالمة روسيا والابتعاد عن اغضابها بل السعي نحو كسب صداقتها كافغانستان مثلا .

وفي بحث قضية قبرص والجزائر في الدورة الاخيرة لهيئة الامم ، تجلى لنا قوة وضعف الكتلة الاسيوية الافريقية في آن واحد ، ففي الوقت الذي تمكنت فيه الكتلة من رد مشروع افرنسي بريطاني، فانها لم تتمكن من فرض مشروعها الخاص مما دعاها الى تقديم مشروع شكلي غامض لا يحمل بريطانيا وفرنسا اي الزام الا ان بحث المشكلة الجزائرية قد شمل كافة نواحي الموضوع على الرغم من ان فرنسا قد عارضت مثل هذا البحث بحجة انه ليس من اختصاص المنظمة العالمية .

ولئن ربحت الجزائر قرارا توجيهيا بسيطا ليس له اي مفعول عملي فان توارد البحث في كل عام لا بد وان يؤدي الى نتيجة عملية مفيدة للجزائر على نحو ما تم من خلال بحث قضية مراكش وتونس .

وكان المظهر الاخير لصلابة موقف الكتلة الاسيوية هو نجاحها في فرض انسحاب اسرائيل من غزة وخليج العقبة وتهديدها المنظم بالمصادقة على قرار يفرض العقوبات الاقتصادية على اسرائيل ... وعلى الرغم من ان بعض الاحراج السياسي للولايات المتحدة قد لازم هذا التهديد فان الكتلة كانت قادرة على بحث مشروع العقوبات وتصديقه وكان شعور اسرائيل بنجاح الكتلة الاسيوية الافريقية المرتقب سببا دفعها على الرغم منها لان توافق على توصيات الهيئة العامة وتنسحب من قطاع غزة ومن خليج العقبة .

وهكذا نرى ان قوة الكتلة الاسيوية الافريقية تظهر

جلية في بحث شتى القضايا التي تخص الاستعمار ومفهوم الاستعمار وان ضعف الكتلة الاسيوية الافريقية يظهر جليا في بحث شتى القضايا التي تخص خلاف المعسكرين الكبيرين والتي تتعرض للمذاهب الاجتماعية والمبادىء السياسية .

دور الكتلة في السياسة الدوليـة

من هذا العرض التحليلي الواسع ندرك الدور الدولي الذي تختص به الكتلة الاسيوية الافريقية في هيئة الامم والعالم ... والكتلة التي تضم اكثر شعوب الارض قد شقت طريقها للحياة بصعوبة ... وكان كلما اتسع دورها العالمي في طورها الاول ... اشتدت مقاومة الكتلة الغربية والكتلة الشرقية لها وفي المرحلة الاولى لتكونها ... خشيها المعسكر الغربي وخشي اتساع نفوذها ... واضطرب لها المعسكر الشرقي وتصورها اداة للاستعمار الغربي في العهد الستاليني ...

وكانت الفعالية التي قدمتها الكتلة الاسيوية الافريقية في مجال السياسة العالمية خلال السنتين الاولى والثانية من حياتها ... صورة هزيلة لمولود جديد يشق لنفسه الحياة بصعوبة امام تيارين متعاكسين وراءه ولكن متفقين على مزاحمته وتبديد حياته في وقت مبكر ... وكانت الاحلاف الغربية الاسيوية : حلف بغداد وحلف شرقي جنوبي آسيا ، ولم تمنع هذه الاحلاف نمو واتساع نفوذ الكتلة الاسيوية الافريقية .

وعلى الرغم من قوة المعاكسة في بدء نشوءها فلقد بدات الكتلتان العالميتان ترسمان الخطط وتضعان المشاريع الدولية تبعا لمفهوم اسيوي جديد وذلك منذ عام ١٩٥٣ .

وكان ان اتضح للمعسكر السوفياتي ان الكتلة الاسيوية الافريقية لا تعمل بوحي الدول الاستعمارية كما خيل له في بادىء الامر بل انها كتلة تسعى ان تثبت حيادها امام خلاف المعسكرين وان تثبت نفوذها امام شطط الدول الاستعمارية وعندها توقفت الكتلة السوفياتية عن معاكسة نموها ووجدنا من سياسة الاتحاد السوفياتي في السنوات الاخيرة ما يساعد على توطيد دعائم الكتلة الاسيوية الافريقية في مجال السياسة العالمية ، وكان ذلك بعد وفاة ستالين وبعد التحول المعروف في التكتيك الروسي في مضمار السياسة العالمية .

اما الولايات المتحدة الاميركية فقد توقفت عن معاكسة نشوء ونمو الكتلة الاسيوية الافريقية منذ عام ١٩٥٤ حين ادركت انه تطور دولي لا بد منه وعندها سعت كثيرا ان تنفذ الى سياسة الكتلة . ومن طرف اخر فقد سعت الى مؤاخاتها ومجاراتها في كثير من القضايا الدولية وعلى الاخص في قضية قنال السويس وانسحاب اسرائيل من قطاع غزة وخليج العقبة .

واهم ما يمكن ان نستخلصه من اهمية الكتلة الاسيوية الافريقية في مجال الاندية الدولية وفي مجال السياسة العالمية ان نجاحها في اصدار قرارات وقف القتال في منطقة القنال وسيناء ثم قرارات الانسحاب من القنال وغزة وخليج العقبة يعني انه بامكان مجموعة الدول الصغرى وبالتالي بامكان هيئة الامم المتحدة ان تفرض ارادتها على الدول الكبرى في العالم .

حاول غربيـة للحد من اهمية الكتلة

امام هذه القوة المتزايدة التي انفردت بها الكتلة الاسيوية الافريقية وامام افلات هيئة الامم المتحدة من التوجيه الاميركي التقليدي الذي عرفناه في الخمس السنين الاول للمنظمة العالمية ... تزداد المحاولات الان لتغيير النظام الداخلي للندوة العالمية ولتعديل قانون التصويت الحالي الذي يجعل صوت ليبريا مثلا يعادل في فعاليته صوت الولايات المتحدة او صوت الاتحاد السوفياتي ... وقد اتضح من معالجة مشاكل الشرق الاوسط اخيرا في هيئة الامم ان نظام التصويت الحالي قد قضى على نفوذ الدول الكبرى في المنظمة ونقل هذا النفوذ الى الكتل المختلفة في المنظمة ... فبعد ان كان الاتجاه الاول يحدو نحو الدول الكبرى وهم خمس اصبح الاتجاه عمليا يحدو نحو الكتل الكبرى في الهيئة وهم خمس ايضا الكتلة الاسيوية الافريقية وهي اهم الكتل ، الكتلة الاميركية وعلى راسها الولايات المتحدة ، الكتلة الشيوعية وعلى راسها الاتحاد السوفياتي ، كتلة اوروبا الغربية وهي كتلة حلف الاطلسي واخيرا الكتلة الاسكندنافية التي تتنقل باصواتها من مجموعة الى اخرى وفق التيارات السياسية الخاصة .

وقد اعلنت الدوائر الرسمية البريطانية ان نظام التصويت حاليا في الهيئة العامة لمنظمة الامم هو غير واقعي وغير حقيقي لانه على حد زعمها لا يعكس توزع القوى والمسؤوليات في العالم ...

وكان المستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة قد وضع كتابا في عام ١٩٥٠ تحت عنوان (حرب او سلام) تناول فيه شتى مواضيع الساعة في حقل السياسة العالمية ، وقد اعيد طبع الكتاب في هذا العام بعدة لغات فكتب المستر دالاس مقدمة جديدة للطبعة الجديدة وفيها اشار الوزير الاميركي باسهاب الى اقتراح له بدعوة خاصة لهيئة الامم المتحدة ، تناقش فيها ميثاقها بحيث تصبح المنظمة اكثر فعالية في خدمة السلام العالمي .

وقد ذكر المستر دالاس قارئيه ، انه في عام ١٩٥٠ كان قد دعى الى نظام تصويت يتناسب مع اهمية الدول الاعضاء ... وقد رأى ان دعوته قد زادت اهمية بعد ان ازداد عدد الاعضاء واتضح ــ على حد قوله ــ « عدم ملائمة وسائل التصويت في الهيئة العامة وفي مجلس الامن »

الا ان المستر دالاس لم يوضح في مقدمة كتابه الحل الذي يرتأيه للمشكلة التي يعتقد انها موجودة وهي ان الصوت الواحد للدولة الكبيرة لا يتناسب مع نفوذها ومسؤولياتها بل يريد لها اكثر من صوت .

هذه هي الحقيقة الدولية التي تقدمها الكتلة الاسيوية الافريقية في المضمار العالمي وعلى الرغم من ان قوتها المادية اذا ما قورنت بالكتلة الغربية او الكتلة الشرقية لا تساوي شيئا كثيرا الا ان قوتها المعنوية والادبية قد فرضت على المعسكرين الاهتمام والاحترام ... ولم يتنفس العالم الصعداء من حمى الحرب الباردة الا حين انطلقت الكتلة الاسيويـة الافريقية في المجال الدولي تتوسط صراع الكتلتين العالميتين الكبيرتين ... وكان موقفها الوسط بمثابة عازل يمنع الاحتكاك وبالتالي يحول دون الحرب .

دمشـــق   منـذر الدقـاق

مـوتي

٥

اذا شئتِ ان تأتي الى عاشق احضاني

مُـوتي

فيسقط القلم من يدي ويهتز كياني

ويستسلم ريشي الى الريح

قولي لي : اموت ان فعلت كذا

فأفعل ما لا يكون في بالكِ واموت عنكِ .

ذكريني بأنك ستموتين غداً .

لا بل ذكريني بأنك ستذهبين بعيدا عن وحدتي

فأحفر من تحت قدميك الارض بجبهتي

واعلمك كيف يمكنني الانحدار الى النهاية

حتى يعود اليك الفرح ...

في الموت نهاية الحكايات

نهاية كل حكاية هو الموت ،

وانت حكاياتي

وعلى الموت ان يذهب من مرجنا

فحكاياتنا ننسجها فيه

وما دام ذكر الموت على لسانك فلسانك سيدي

وانا عبد ينحني ظهري حتى الموت

فـلا اشعر

لان الموت الذي على شفاهك هو الموت ،

ولا موت الاه

قولي لي بل لتقل في الصمت لي عيناك: سننطفىء

فالهب امامنا الجبال كلها لتأخذي من نارها النور

وقولي لي : في ليلة باردة ارحل عنك

فتستوحش وحدك ويلفك الخوف وينهشك الاسى

فأحملك عن هذه الارض الى ما ينسيك الامك

واصنع لك من خنوعي مركبة في الريح .

ابعدي عنك رائحة الموت فابعد عنك

انسي الحاج

قصة سورية

الغريب

بقلم علي بدور

ooo

احس بنفسه انه في ساحة مزدحمة بالناس .. السينما توشك ان تطفىء انوارها لحفلة الصباح ، وروادها في زحمة لا تصور ، والفتيات الجميلات يرفلن في ثيابهن التي تكشف المفاتن وتخفي العيوب ، وبائع الصحف ينادي باعلى صوته عن اجد الاخبار واروعها ، وفي الزاوية اليمنى من الساحة المربعة تجمع خلق كثير ، امام دكان يبيع الدخان والبوظا والكوكا كولا والمملحات والمشروبات وكذلك المجلات والكتب !!

وسدد خطاه نحو الدكان ، لشراء مجلة .. اية مجلة . كان يشعر بوطأة الجو الصاخب ، وبالضجيج فيكاد يصهره ، فاراد ان ينفلت من عقال الزحام الى الطرق المقفرة من الناس ، يقلب صفحات المجلة ، يقرأ خبرا هنا .. ويتأمل صورة هناك ، ويضحك للنكتة في الصفحات التي يتوزعها الاعلان ! !

اخذ المجلة .. وصعد بضع درجات مؤدية الى شارع ثانوي ومشى في الظل مشيا وئيدا .. فشاقه بحث طريف [كيف تعيش مرفها بدون دراهم ؟] فانهمك في قراءته بنهم ..

كان يحمل محفظة جلدية سوداء فيها بعض الكتب وكذلك عدة سانداويشات وقميص خارجي جديد وفردة حذاء قد جالت فيها ابرة مصلح الاحذية ، جولات موفقة .

انه في مدينة يراها لاول مرة . هكذا خيل اليه . هو قد شاهد مدنا عديدة ، واستطاع ان يحكم على ان الناس هم الناس في كل مكان .. الشوارع .. دور اللهو .. الرجال والنساء ، طابع واحد يطبعهم جميعا حتى لكأن الحضارة التي هبت ريحها منذ قرن او قرنين ، قد شملت اكثر بقاع العالم ، فقد تختلف الشوارع ضيقا او اتساعا والعمارات ارتفاعا او ضخامة انما روح العصر تسري في كل ما تسرى به الارواح .

حاول ان يتذكر متى حمل الحقيبة واشترى المجلة ؟ فلم يتذكر قط .. غير مهم ان يتذكر المرء متى ابتدأ ، ما دام لا يعرف بالضبط متى ينتهي .. انه انسان ما دام يستطيع ان يعي اللحظة التي هو فيها . انه يعلم قطعا انه في بلد ليس بلده . هناك يعرف وجوههم ويعرف اكثر نسائهم ... وفتياتهم ، وشوارع بلدته لا تشبه هذه الشوارع بحال من حيث النظافة والاستقامة والاتساع ، لعله غريب اذن ؟ هذا ممكن !

شاقته في المجلة ، صورة فتاة على الشاطىء تتشمس ، وتنظر الى البحر ، نظرة مبتسمة ، فتوقف لعله يستطيع ان يشاركها سرورها فكاد يحس ان قدميه توشكان ان تبتلا بالماء .. وشعر بحرارة الرمل الناعم .. وتعالى من حوله همس لا حد له ، وحلقت فوق رأسه نجوى تريد ان تبل حواسها بماء البحر لتزداد ظمأ ، ولكنه في هذه اللحظة التي فاضت فيها نفسه ، حبورا ، انتابته هزة لم تلبث ان اشعرته بالتعب فخيل اليه ان الطريق طويل ، ومن ثم فهو لا يدري الى اين سيذهب ، فرفع رأسه عن المجلة ، واجال ببصره فيما حوله ، فابصر درجا عاليا خارج بناية متوسطة الحال ، وحرك الظل في اقصى الدرج مرحه العميق ، فجذبته الدرجات اليها حتى انتهى في اخرها ، فوضع حقيبته بجانبه ... ومدد رجليه .. واسند ظهره الى الجدار .. وخيل اليه انه استراح ...

ولكن من يقطن هنا ؟ انه لن يعرفهم بحال .. واجال الطرف في مظاهر البناء فخيل اليه انها عائلة على ما يعتقد .. حيث تتعالى صيحات امراة عجوز ، وفتاة شابة ، وثياب حمام تغطي حبل الغسل ، وكذلك فقد شم رائحة زيت تتصاعد من نافذة المطبخ .. ورأى طبقا قد عرض للشمس ممتلئا بشرائح الكوسا ، المنتظرة دورها ، لتغوص في الزيت حتى اذانها .

واتته افكار قلقة ، مضطربة .. ماذا يعمل هنا ؟ لم لا يذهب ؟ وهذه المجلة كيف تلهيه عن اتمام طريقه ، ونظر في الحقيبة فتأمل الحذاء والقيمص والكتب والساندويش وساءل نفسه ، امسافر هو ام عائد ؟

وبينما كان يتناول سندويشة ويعد نفسه لاستماع الجواب ، فتح باب المنزل ، وملاته امراة بدينة في الاربعين من عمرها .. كل جمالها قد التقى في وجهها ، وفي عينيها بالذات . انها ترحب به ترحيبا حارا ولكنه لا يعرفها . حاول ان يتذكر اين لقيها .. فاخفق لقد عصر ذاكرته عصرا ، فلم تستجب اليه . انها اذن امرأة ترحب بشاب تلقاه لاول مرة .. ولكنها حدثته عن صديقه بشير الذي يدرس الرسم في باريس .. يا له من انسان مخلص .. وسألها عن سبب معرفتها به .. فأجابته :

— لقد مكث عندي اسبوعا قبل ان يسافر .. ولا تزال رسائله ترد !!

وعاود مرة ثانية ، ملامسة هذا الخيط الدقيق الذي ربطه بصديقه المسافر وبنزوله عندها ، وبمعرفتها به ، فلم يستطع تلمسه ، وان كان قد اطمأن بعض الشيء ونظر اليها ببلاهة كانه طفل بينما كانت تدعوه الى المنزل ، مفسحة له المكان ، مرحبة به ، مسمعة اياه ما رق وعذب من الكلام الجميل ، الذي يوحي لسامعه بان متكلمه قد اتقن مهنته ! !

في الممر الضيق ، توقف لحظة ، واستبدل سترته بمنامة صيفية كانت معلقة ودلف الى الداخل ، خلفها ، بخطى مسرعة ، فادخلته غرفة فيها سريران .. وفي ابان دخوله الغرفة وبينما كان يلقي نظرة فاحصة ، خطر له ان يعود الى الممر ، ليضع حافظة نقوده في جيب المنامة ولكنه خجل ، والهاه الترحيب الحار واسكرته عبارات التودد ، وزاده ذلك الوجه الجميل وهاتان العينان اللهمتان ، ذهولا عن واقعه .

كان في ركن من الغرفة فتاة ، تستعد للدخول الى الحمام ، حيث كان ثوب الحمام ذو القلنسوة يغطي مفاتنها ، ان كان ثمة مفاتن . اما وجهها فقد كان دون الوسط انها قد تلقى انسانا يتزوجها . ولكن عليها

ان تنتظر صابرة دون برم !

واندس تحت لحاف رقيق ، فانتابته قشعريرة باردة اوشكت ان تكون منتظمة ، ولكن المراة البدينة ذات الوجه المفرط في الجمال ، صرفتها عنه ، واخذت تحدثه احاديث لا معنى لها ، لم يفهم منها كلمة واحدة .. لم يعها .. وكانت احاديثها تترى بينما كان يستنشق الخوف بل ويكاد يسمعه ، مضافا اليه ذلك الهواء المحصور الفاسد ، وزادته خوفا عبارة وردت على لسانها ، في سياق الحديث ، عن زوجها الشرس الذي يغتسل في الحمام وعن طباعه الغريبة في لقاء الضيوف والاعتداء عليهم في بعض الاحيان :

ـ انه وحش . وحش مفترس !

ـ الى هذا الحد ؟

ـ بل واكثر .. ولكن سوف اعمل المستحيل ، لئلا يدخل هذه الغرفة فيراك !!

اراد ان يغادر الغرفة مسرعا الى البهو ، حيث يختطف سترته وحقيبته ويهرب ، انه في بيت غريب .. اللصوص هم ام انهم باعة مسرات ؟ تبا له اذن من مغفل .. كيف يدخل منزلا لا يعرف اهله ؟ وما صنعتهم ؟ ما هي اسرارهم ؟ وما هي نظرة الذين يعرفونهم تلك التي يلقونها على المنزل كلما مروا وابصروا الدرج الطويل المؤدي الى حيث يسجن هو الان رغما عنه ؟ !

خيل اليه ان الحبل يضيق حول عنقه شيئا فشيئا . ان زوجها الشرس سوف يدخل اخر الامر ، وقد يدخل بعد قليل استجابة لدعوتها اياه ليبطش به .. وعندها من يعرف انه هنا ؟ صديقه في باريس ؟ ولكنه قد لا يعود بعد ثلاثة اعوام اخرى ، وهل من الضروري ان يعود توا الى هنا ، فيمكث اسبوعا اخر كي يسألها عنه ؟ هذا مستحيل ! ايخبرونه هم اذن بصديقه الذي عرفه ؟ غير معقول ان يورطوا انفسهم فيما لا يفيدهم ، بل فيما يضر بهم ابلغ الضرر . سوف يقتلونه وسياخذون امواله واغراضه ، وعندها من يدرك من المارة الذين يعبرون الشارع الهادىء ان جريمة قتل تحدث .. او قد حدثت في هذا المنزل الوادع ذلك الذي تنطق ملامحه بالرتابة والهدوء ، مضافا اليها ثياب الحمام التي ملات حبل الغسيل .. ورائحة الزيت التي تنطلق من نافذة المطبخ ، وشرائح الكوسى التي تتشمس في دعة ؟ لا احد يظن اطلاقا .. لا احد يظن !!

ومن النافذة المطلة على الصالون الصغير ، شاهد رجلا ضخما اسود او مائلا الى السواد ، واضخم ما فيه هذا الراس المخيف !! لقد خرج من الحمام اذن ؟ بلى .. واخذ يدور في ارجاء الصالون كالدب وبينما كان الرجل المخيف يحدق في النافذة المشرفة على غرفة النوم ، كان هو يندس تحت اللحاف ويحاول ان يذوب ، حتى يخيل للمتامل من الفراش انه فارغ وليس فيه احد .

قامت المراة الماكرة ، تحاول فيما يبدر منها ، ان ترد عنه نظرات زوجها على ما يعتقد .. وحدثته حديثا قصيرا لا معنى له ، بالقياس اليه ، لعل زوجها قد فهم كفايته .. ولكن هو لم يبق فيه ملكة للفهم .. لقد ذهب الخوف بتوازنه وبفكره فظن انه هالك لا محالة .

عادت المراة البدينة الى جلستها المعتادة على حافة النافذة المطلة على الشارع تحدثه برقة ولين ، وتفيده ان زوجها على وشك الخروج .. ها هو يستعد ، كانت عيناها تحدقان في الصالون ، وترصدان كل مايجري فيه ، وكان فمها يصف التطورات اولا باول .

ـ لقد خلع ثيابه البيتية بعد ان لبسها اثر استغنائه عن ثوب الحمام .. وها هوذا يرتدي قميصه .. و.. و..

وتذكر قميصه في الحقيبة ، وسترته المعلقة في الممر ، فخاف من ان يراها هذا الدب الكبير فيمزقها فوق راسه .. ام انه من الغفلة بحيث لا تلفت انتباهه بحكم العادة ؟ ان ذلك محتمل ، وعاودته اطياف نقوده التي ضمتها الحافظة وتمنى لو انها معه ولكن ماذا ستفيده فقد يموت توا ؟ لا باس .. سيتقبل الموت راضيا ، شريطة ان يموت فتكفنه دراهمه .. ولكن تلك البدينة سوف لا يهتم بها .. سياخذها في طريقه ، وهي بعد ، لعلها قد جلست قبالته في النافذة لتسد عليه طريق النجاة ! ولكنه نفض عن مخيلته هذه الخواطر جميعا ، اذ انى له ان يهرب ، وحركته مشلولة بل ومعدومة ؟ !

ها هي ذي الفتاة تخرج من الحمام وتملا الغرفة برائحة النظافة . كان وجهها ورديا .. ليته يدوم كذلك ، انها ستكون جميلة وستتزوج بسرعة حاول ان يسألها بادب جم ، ان تحضر له حافظة نقوده .. ولكنه تراجع .. الا يعتقدون انه يسيء الظن بهم ؟ ثم من يستطيع ان يقنعه انهم يتربصون به الفرص ليبطشوا به ؟ ولم يستطع ان يتبين الى اي حد تكون فيه هذه التصرفات التي ينتوي اتيانها مع الفتاة ، مرادفة تماما ، لقلة الذوق وسوء التصرف ؟

سأل الفتاة ان تحضر له حافظة النقود من جيب بنطاله الخلفي ، حيث فيها صورة وصلته حديثا من صديقه الذي يدرس فن الرسم في باريس .. ايلعن صديقه الى الابد ؟ لعله يستحق اللعنة في الحال ! انه اولاه .. ولولا انه سمع اسمه يتردد على شفتي الام ، لما دخل هذا المنزل قط .. كان يستطيع برغم الحاحها ان ينتحل الاعذار ، وينزل الدرجات بخطى قليلة .. ولكن معرفة هذه الماكرة لزميله ، جعلته يانس بها ، ويعتقد انها على الرغم من الاعوام التي على كتفيها ، فان وجهها جميل ، وان عينيها جذابتان . وقد خيل اليه ان الفتاة قد استجابت له .. فخرجت من الغرفة وانعطفت نحو البهو .. ولكنها لم تعد .. لقد دخل هو بدلا منها ، براسه الضخم وبجثته العريضة المخيفة .. وسدد نحوه الابصار ! !

كل ما يذكره ، ان الرجل اخذ يعوي كالذئب ويدق الارض برجليه كدب مخيف قد هاج .. بينما كانت الماكرة ذات الوجه الثعلبي ، تعاونه في الصراخ والدبيب .. اهي معه ام عليه ؟ انه لا يدري بالضبط !! وانتظر عودة الفتاة برغم كل شيء .. ولكنها لم تعد .. لعلها قد ظلت في المطبخ تراقب الخادم التي انهمكت في قلي شراح الكوسا .. بينما ساعة المدينة تدق دقاتها الاثنتي عشرة ظهرا ! !

حلب **علي بدور**

بقلم سيمونز

الحركة الرومانسية في الشعر الانكليزي

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

ο○ο

يعرّف كوليردج النثر بقوله : « انه كلمات متسقة في نظام حسن »اما الشعر فيقول عنه « هو كلمات منتقاة في أحسن نظام » . ومع ذلك نرانا بحاجة الى تبرير الاسباب الموجبة لمثل هذا التصنيف . وفي ظني ان الايقاع الموسيقي وحده ، في صورته المستمرة ، هو الذي يميز الشعر عن النثر . ومن اراء كورثو ، استاذ الشعر في اكسفورد ، ان ابيات مارلو التي تتناول البحر ومايطفو عليه من سفن تلوح كالاعلام ، لا بد لها ان تختلف ـ في مادتها ـ عن الشعر . اذ من المؤكد ان مارلو استطاع وصف ما يريد وصفه بالاستناد الى جرأته السامية ، وابتعاده عن حدود اللغة الاعتيادية ، وذلك من طريق استعارته ، التي تنسجم بالحركة الجمالية المنبعثة من الايقاع والوزن. ولكننا يمكن ان نرد على هذا القول بما يفعله كل كاتب من كتاب النثر الرفيع ، من اضراب ملتن او رسكن ، ففي وسع اي من هؤلاء ان يقول نثرا ما قاله مارلو شعرا ، مع الاحتفاظ بجمال هذا النثر وروعته ، فثمة خيال ، وفكرة ، واطار بديع ، اما الشيء الوحيد الذي نظل مفتقرين اشدالافتقار اليه فهو ذلك الكيان الرائع ، واعني الكيان الشعري ، الذي هو ـ في الاصل ـ مادة شعرية تختلف عن الشعر في الصورة ، ولكنها تصبح الشعر نفسه بتأثير حاسم يفرضه عليها الايقاع الموسيقي .

وحين يعلن وردزورث عن رأيه في مقدمة (القصائد الغنائية) بقوله: « انه ليس من فرق جوهري بين لغة النثر والقصيد الموزون » يكون قد اصاب كبد الحقيقة ، ولكن الامر خلاف ذلك بالقياس الى كوليردج ، فهو مخطىء ابلغ الخطأ عندما يقول : « انا اكتب بلغة الوزن ، لانـي احاول استخدام لغة على طرفي نقيض من لغة النثر .» وعند هذا الحد ينسى الكاتبان المضمون الشعري ، الذي اذا تيسر وجوده ، ضاقت الشقة بين النثر والشعر ، وغدا الانسجام بينهما وشيك الوقوع ، سهل الاتمام . ولما نرى تفضيل كوليردج لقصة (اليس فيل) النثرية ، وصواب مذهبه ، وجودة نقده ، ندرك بيسر ما يعنيه من نقده للانشـاء (الموزون) وتتضحلنا التخوم الفاصلة بين مملكتي النثر والشعر

ولا شك أن في بعض النثر شيئا من الايقاع ، اذا اجيدت صناعته ، ولكن هذا لا يعني انه كامن فيه ، واذا ما وجد مثل هذا الايقاع ، فهو اقل تماسكا وتناسقا مما هو في الشعر ، ولذا فهو غير مقيد بالحدود الشكلية ، وهذا يشبه الاصوات المختلفة المعبرة عن جملة معينة يراد ترديدها في وقت من الاوقات . وعلى هذا فالنثر في مرحلته البدائية ، لا يعدو كونه كلاما مسجلا ، وكما يمكن لاحدنا ان يتكلم نثرا طوال حياته من غير ان يعرف ذلك ، كذلك يصح القول بان شكل الشعر المدرك من قبلنا ، كان له اصالة القديم (واعني بذلك الكلام المقيد بالقوانين الشعرية ، من حيث هو جزء لا ينفصم عن الموسيقى) . ولا بد من مرور مرحلة معينة من الحضارة، حتى يكون في الامكان الاحتفاظ ببعض الخطب في بطون الطروس . ومن هنا فان الشعر كان له حظه الوافر من حيث استظهاره ، بعكس النثر ، ويعود السبب في ذلك الى ترديده ، وسهولة حفظه ، وهذا ما جعل كل ما له قيمة جمالية (كالاغاني والمدائح) او ما له قيمة نفعية (كالقوانين) يكتب شعرا ويستظهر على هذا الاساس . وقد يكون للشعر دوره في التنبوء بعصرالكتابة، في حين ان هذا الدور لا يكاد يبدو ظاهر الاثر بالنسبة الى النثر . ولا يزال الشاهد على ذلك قائما الى يومنا هذا كانه وثيقة مكتوبة تدل على تجسد هذه الحقيقة .

اما الايقاع الشعري ، ذلك الايقاع الذي يميز بين الشعر والنثر ، فلا يزال مجهول الاصل ، على وجه التحقيق . واما الشعور بالجرس الرتيب ، فكامن في طبيعتنا ، ولو انه لا يدل على ما يعرف بالقافية ، وهذا امر ممكن ملاحظته دائما في اغاني الاطفال ، والحركات التي يقومون بها حين يلعبون ، والظاهر ان اللذة التي نستخلصها من النبضات الشعرية مستخفية في افعالنا الفطرية ، وهذا ما نجده في حساسية الاطفال الموسيقية ، ومصداق ذلك ما تفعله المهود والترانيم في تهدئة خواطرهم واضطرابهم ، ولكن النثرلا يحتمل تبعة هذا الارث العظيم من الحساسية، فيما يبدو عليه ، بسبب طبيعته وفطرته الخاصتين به ، ومن هنا ينفصل وجوده عن الشعر ، فيصبح كيانا اعتباطيا

وعلى هذا يصح لنا القول بان اصل النثر ، لا علاقة له بالفن ، وهو لم يكن يوما ما فنا ولن يكونه في المستقبل ، كما هي الحالة بالقياس الى الشعر والرسم او الموسيقى . وهذا ما نراه واقعا ، ذلك ان النثر وجد قابلياته تدريجيا ، وكشف عما هو مفيد في ذاته ، مدربا اياه على وفق اصول الجمال، وتعلم ان يضع الحدود لما هوغيرمحدودمن كفاءاته ، متتبعا عن كثب بعض القوانين الشعرية . ثم طور تدريجيا قوانينه الخاصة ، على ما في هذه القوانين ، من حيث طبيعة وجودها ، من ابتعاد عن التحديد الدقيق ، ونأي عن الشكل المنظم ، بخلاف ما هو عليه الشعر من ضبط ودقة.

ومن هنا ، فكل شيء يمس الادب كأدب ، يؤثر في النثر ، لانه اصبح الجزء الاكبر مما ندعوه ادبا عادة . وكما ان انتفاء الحدود في مملكة النثر يعد خطرا يهدد هـذه المملكة ، فهو لا شك فضيلة من فضائلها. والمحتوى الشعري نفسه هو تركيز لقوى (ابداعية) يمكنك ان تجعله اكثر مرونة للاستيعاب كلما اردت ذلك . في حين ان النثـر ، بانحداره المباشر من الكلام ، وعدم اتصافه بالاتزان ، يميل بطبيعته الى الارتجال والاعتساف ، والتعنت، وهذه الحرية

التي يتمتع بها ، وبخاصة فيما سف من الافعال ، هي التي جعلتنا نتعجب ، اذا ما تفضل النثر فعرض لنا شخصية جدية تحاول ان تتقيد بالقوانين والانظمة بصورة مضبوطة، والشيء الوحيد الذي لا يستطيع النثر فعله هو انه يعجز عن الغناء . وهذا التمايز بين الشعر الغنائي والنثر بارز حتى في مفردات اللغة المستعملة ، فهنا (أي في الشعر) تستخدم الكلمات على وفق جرس معين ، كما هي الحال في (النوتات) الموسيقية . وقد أحسن جوبيرت في التعبير عن ذلك حين قال : « ينفرد الاسلوب الشعري بتماوج كل كلمة من كلماته ، وهو بهذا يشبه صوت قيثارة محكمة النصب ، تاركا خلفه العديد من النغمات العذاب . » قد تكون هذه الكلمات محافظة على مواقعها من غير تغيير كبير، او ربما تكون اسهل موردا ، واقرب مأخذا ، ولكن الايقاع حينما يتدخل في جو هذه الكلمات ، يصيب هذا الجوبنوع من التكهرب ، هو وليد الموسيقى ، ولكنه ليس الموسيقى بالذات ، سم هذا التأثير سحرا او اي شيء اخر ، فانت لا بد ان تقول مع جوبيرت : « ان الاشعار الجميلة هي اصوات رائعة ، وطيوب عبقة » وعلى هذا فنحن لن نستطيع ان نقول شيئا عن ذلك التحول العجيب الذي يصيب النثر حين يغدو شعرا ، مع قدرتنا على التمييز بين هذين الضربين

ومرة اخرى ، فان جوبيرت هو الذي نطق بفصل الخطاب في هذا الصدد عندما قال : « ان الشعر الذي لا يسحرك ليس شعرا ، ومن هنا فالقيثارة اداة مجنحة » والحق ان النثر قد يثيرنا محلقا بنا في الاعالي ، ولكن اجنحته تختلف عن اجنحة الشعر . ذلك ان هذا التحليق الذي يحملنا عليه النثر ، فيه شيء من الثقل يجذبنا الى الارض . ومع انطلاق النثر وقوته في هذا الشأن ، فانه يمكنا من القول بان اجنحته مقصوصة في غالب الاحيان. ولذا فان المادة (الفكرية) ذات اهمية كبرى في النثر بخلاف الشعر ، ومن هنا نعرف السبب الذي يجعل كتاب النثر من اضراب سكوت وبلزاك ، كتابا عظاما ، وروائيين مشهورين ، ولكنهم — في نثرهم — ليسوا من هذا الطراز. فهنا ، كما في أي مكان آخر ، يقوم النثر باحتلال مناطق جديدة من الارض ، وتثبيت حدود هذه المناطق بسبب وهن طاقة التحليق والاعتلاء. فالمسرحية النثرية، والقصة، جاءتا الى الوجود شاذتين ، لان مخترعيهما اناس غير قادرين على كتابة المسرحية شعرا ، او نظم الملاحم المعروفة، ومتى ما تمكن المغتصب من الاستيطان في بلد من البلدان، اخذت سلالته بالتوالد والتكاثر ، والاصطباغ بالصبغة الشرعية ، كما هي حالة الدنيا المعلومة .

فالنثر ، اذن هو لغة ما ندعوه الحياة الواقعية ، ومن اجل ذلك فهو وحده الذي يرينا زيف الحياة ، في مظهرها الخارجي . ولك اذا شئت ان تقارن بين مسرحية لشكسبير وقصة لبلزاك لتعلم الواقع ليس فقط فيما يحيط بهما ، كالشعور بالزمان والمكان ، بل بوجود شخصية البطل ، وبتطور العملية ذاتها ايضا . ولم اختر بلزاك من بين الروائيين ، الا لان ذهنه اقرب الى ابداع ذهن الشاعر ، ولان اسلوبه الصق باسلوب الشاعر ، بعكس سواه من الروائيين ولنضرب لذلك مثلا الملك لير والاب غوريو ، وقد كان الاخير يمثل لير في جوهره وحقيقته ، ذلك انه كابد العذاب والاهانة اللتين كابدهما لير ، وفي حين ان لير كان يحلق في الاجواء كغمامة ظليلة ، وعلامة على الكآبة والضنى ، كان غوريو ينحدر الى اسفل الارض ، ليثبت جذور نفسه هناك متدثرا بالغبار الذي غطى جميع اوتار حياته . ومن هنا ، كانت جدته ، لصيقة بنا ، معروفة لدينا ولعل لير من السذاجة بحيث يستعيض عن تاجه بالعوبة ، من غير ان يفهم عنها شيئا . بينما ان غوريو يفهم قيمة اي صك تسرقه بناته منه. وبهذا التحديد، فان التدقيق، والعاطفة، يتطلبان ادراكا واعيا ومسئولية ، تكمن فيهما قوة النثر .

فالمسرحية والقصة ، قوتان مهمتان ، من حيث الخيال والجاذبية ، وفيهما تبدو لنا سطوة النثر ، وتأثيرها في عالم الكتابة . وكذلك المقالة فانها تتلائم مع الشعر التأملي، في نوع معين من التعبير ، وهل ينسجم الغناء مع التشابه الفكري في النثر ؟ كلا ، انني لا اعتقد بمثل هذا التماثل في الشكل ، ولو انه موجود في بعض التأوهات كما صدرت عن دي كونزي ، وربما كانت هذه الاهات اقرب الى الغناء ، واشد علاقة بالايقاع الموسيقي الشعري منه الى النثر الاعتيادي . وعلى هذا فان النثر العلمي ، والفلسفي وحتى التاريخي ، له صلة يسيرة بالادب ، او بالنثر كفن جميل . وعندما يكون العلم ، ليس مجرد تأمل ، بل اقرب ما يكون الى الحقائق العارية ، او النظريات المتعلقة بها ، وحين تكون الحقيقة نفسها مهمة جدا اكثر من كونها تعبيرا عن مكنونات نفسها ، او كشفها باسلوب مشرق عندئذ يغدو الادب تافها لا موضع له . لقد كان الفلاسفة في حلم اغلب الاحيان ، بينما كان الشعراء متقلبين دائم الاوقات .

وهكذا فان الجمال الواقعي ، كان ينحصر في الفكر المجرد ، ولكن معظم الفلاسفة عدوا النثر كما يعده علماء الجمال في منطقة الجسد ، كأي من متعلقات الجسم ،بمعنى كونه ضرورة من ضرورات الشر . وعلى هذه الصورة اصبح النثر ذا اهمية كبيرة بالقياس الى المؤرخين ، ومع ذلك فانه لم يكن اقل اهمية بالنسبة الى الروائيين . ومن هنا فان المؤرخين يهتمون برجال العلم ، لانهم يعنون بالناس الذين يبحثون عن الوقائع وحقائق الحياة ، ولانهم يأخذون على عواتقهم اخبارنا عن وقائع التاريخ التي مرت بنا . وعلى هذا ، فهم حين يغمزون من قناة القصاصين ويحاولون دراسة علم النفس ، انما يفعلون ذلك ككتاب يتناولون الادب بحرية وصدق واخلاص . ومن هنا فان الكثير من الادب الرفيع كتب تحت اسم النقد . ولكن الناقد الناقد الذي يستهدف نقد الادب ، لا بد له ان ينتقص من قيمة النقد كنقد . وفي هذه الحال ، فان النقد يفقد صفته التي يعرف به ، من حيث كونه نقدا .

ففي القصة وحدها ، وكذلك في المسرحية النثرية ، يغدو النثر حرا في الابداع ، حرا في التطور الى اقصى حدود طاقته . وبضمن الرواية يمكنني ان ادخل السيرة الشخصية Autobiography كشكل من اشكالها القابلة للاقناع. وفي هذه الصور جميعا نجد النثر مؤثرا تأثيرا مباشرا في الحياة . يقول ريمي دي غورمون في هذا الصدد ما يأتي ذكره: «ان الشعور بالجرس في النثر لا صلة له بالاحساس الموسيقي ، ذلك بانه احساس فسلجي . فنحن نلائم مشاعرنا على وفق الايقاع الموسيقي بصورة غامضة ، كما نفعل بصرخاتنا الطويلة سواء أكان ذلك في معرض السرور ام الحزن وعلى هذا فكل شيء له ظلاله الوارفة البديعة،

من حيث التكيف بالنثر او الشعر ، ومن حيث الانسجام بالفكرة المطلوبة .» وعلى هذا ايضا فبالنثر يصح للناس ان يعترفوا بما في نفوسهم من مكنونات في اخلاص دقيق (وصراحة لا تشوبها شائبة) ومن هنا كانت (اعترافات) روسو مكتوبة نثرا . ومن هنا ايضا ، فان احسن ما كتب في الرواية ، من حيث السرد ابقصصي او الدرامي ، يعد ضربا من الاعتراف الشخصي او الغيري . وبكلمة اخرى ، فان العامل الشخصي موجود في كل ما كتب بهذا الصدد ، اذ انه ليس من قاص او درامي يسعه ان يؤلف شيئا واحدا حيويا ، ما لم يلحظ بنفسه الشعور الذي انتابه ، ومن غير ان يمارسه ممارسة فعلية آنية .

ففي الشعر لا يستطيع فيون(1) نفسه ان يعبر ادق التعبير عن « أحاسيسه بالقوافي » كما كان يصنع روسو بنثره . وسبب ذلك ان المحتوى يحمله حملا على عرض مشاعره ، على وفق اسلوب خاص معدل لا بد من احتذائه (ليكون بينا جليا) . هذا من جهة ومن جهة اخرى ، يمكننا النثر من ان نفكر بالكلمات بسهولة ويسر . ولعل افضل مزية من مزايا النثر ، كونه يستطيع ذلك . ذلك بان اي شكل من اشكال الفن ، ما هو الا محاولة لاقتناص الحياة ، وابداع حياة جديدة . ولكن الفن في الشعر ، لكونه فنا رفيعا ، دقيقا في مضمونه ، يبدا عمله بالتحويل والتغيير . والواقع ان هذا ما تفعله الرواية النثرية ايضا ، فهي لا تستطيع ان تقف سدا مانعا قبالة هذا الاتجاه ، ولكنها قادرة على تتبع هذه الخطة الى نهايتها باسلوب يعجز الشعر عن مواكبته الى الحد المطلوب .

يقول بو في هذا الشان : « ان وسائل الايقاع الشعري عقبة كأداء في تطور مختلف وجهات الفكر او التعبير ، هذه الوجهات التي كان لها اساسها في صلاتها الحقيقية بالحياة وبالايجاز يصح لاحد القاصين ان يوفق بين مختلف الاساليب الفكرية والتعبيرية (من حيث انها على صلة وثيقة بالسخرية والفكاهة) وعلى هذا فهي تتناقض اشد التناقض مع طبيعة القصيدة ، في مجالها المعلوم ، والانكد من ذلك انها تتنافى مع أيسر متطلباتها ، وطبيعي اننا نشير بذلك الى الايقاع في محتواه العام . »

والواقع ان هذه الظاهرة البينة ، هي التي تسبغ قوة خاصة على النثر ، من حيث كونه اداة رصينة نادرة الوجود . ومن هنا فان النثر يصيخ السمع على ابواب المشاعر جميعا ، فيعيد ذكر ما ينصت اليه بالنغمات انفسها . ولكن الشعر ، كما يقول بودلير « هو اقرب شيء الى الموسيقى ، وابعده عمقا في الروح الانسانية من طريق علم العروض ، ولذا فهو يفضل اي نظرية كلاسيكية في مدلولها .» والشعر يبدا حيث ينتهي النثر ، والخطر الرئيسي الذي يواجهه انه يسرع في هذا الشأن متخذا الوسائل الى ذلك . والضمان الوحيد الذي يصح للشاعر ان يلجا اليه قوله حين يخاطب نفسه : ما استطيع كتابته نثرا لن ابيح لنفسي ان انظمه شعرا ، من اجل اضفاء اي نوع من القدسية على المادة التي اريد صياغتها . وكلما استطعت ان اوسع من نطاق نثري ، يضطر شعري الى تضييق حدودي . وعلى هذا ، فان منطقة الشعر ، هي دائما ابعد من اي منطقة مرتبكة ، قد تفرضها المصادفة علينا ، في حالتي اطلاقها ، واحتمال مواجهتها لنا ، في وقت من الاوقات .

الأديب



*

لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩

Tél. Direc : 23819 — Dle. : 25139

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير أديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

ولنقبل الان الى النقاد او مؤرخي الشعر ، فهم عـادة معنيون بكل شيء بخلاف ما له مساس جوهري بالشعر . ومن هنا نراهم يعالجون الشعر ، كانه عـادة تاريخية ، لها اهميتها الخاصة بها . وهذا ما يجعلنا نجد شيئا من الاهتمام ب (طراز المعيشة) في العهد الفكتوري، لا لان هذا الطراز جميل بحد ذاته ، بل لان الناس ظنـوه يومئذ كذلك هذا ، في حين ان الشعر حقيقة واقعة ، لا يصح تبديلها ، بما يطرأ عليها من تبدلات آنية ، ومن هنـا فان عمل الناقد يقتضيه ان يبحث عن الجوهر الذي يسعى للعثور عليه ، لا كما يفعل الناس عندما يدعون انهم وجدوه في سهولة وبساطة . كما ان على الناقد ان يدرك الاهمية التاريخية ادراكا صحيحا ، من حيث كونها تكيفا لعـادة قديمة الاثر ، تجعل من الشعـر الرديء شعرا جيدا ، او بالعكس ، كلما تطلب الامر ذلك .

ومن النظريات السائدة في الوقت الحالي نظرية تذهب الى ان الشعر ، في تطوره العام ، لا بد له ان يدرس في كل حقل من حقول الحياة، لا على انه نتاج فردي شخصي. ولقد لخص هذه النظرية ريمي دي غورمون في مقالة تناول فيها دراسة الكاتب فردينناند برونتير فقال : « ان التاريخ الادبي لم يعد صورا متعاقبة متسلسلة ، تتصل بحيوات الاشخاص ، والمسالة النابضة بالحياة الان تتطلب منـا معرفة الشعر او التأريخ ، لا الشعراء او المؤرخين ، وعلى هذا ينبغي دراسة المؤلفات من غير ان نضفي كثيرا مـن الاهمية على مؤلفيها ، كما يجب علينا ان نتعرف على هذه الكتب وكيف تتكاثر بالضرورة الطبيعية فتنتج الاغاني ، في مختلف صورها، بتأثير من المحيط، من غير ان تفقد ميزاتها الاصلية ، على ما في هذا الامر من تغيرات وتحولات ، لا بد ان تجري ببلاغة مبدعة . »

وقد أعرب كورثوب عن وجهة النظر هذه حين حدثنا قائلا : « ليس من الفلسفة في شيء ان نعتقد ان أيا مـن الشعراء في وسعه ان يحول فن الشعر الى الاتجاه الـذي يريده بدافع عبقريته الخاصة ، اذ ان اعظم الفنانين هـم هؤلاء الذين يدركون احسن الادراك الميول المتناقضة في عصرهم ، ومع ان هؤلاء قد يحلقون في اجواء الصدق المطلق الا انهم يعكسون ، في نتاجهم ، صورة هذه الميول . » او بعبارة اخرى علينا ان نعتقد بان العربة هي التي تسحب الحصان ، أي ان ذوق العصر هو الذي يبدع الشاعر ويخلق وجوده . كما ان الشاعر نفسه يخلق هذا الذوق ايضـا بعبقريته . وكل ما يستطيع (صراع الميول) ان يفعله بالشاعر مساعدته من حين الى حين على صياغة المحتوى الـذي يبغيه ، اي تقديم القيثارة اليه او ايصاله الى المسرح الذي يريده . وقد يكون محظوظا ، كشكسبير ، بما فطر عليـه من عبقرية درامية ، فيجد المسرح حيا ينتظره بتشوق ، او قد يكون سيء الطالع بعض الشيء كغوته ، اذ تحتـاج عبقريته الدرامية الى مسرح لتعبر عن نفسها اكمل التعبير ، ومن هنا يحمل على وضع مؤلفات فردية ، يعوزها التطور العضوي الكامل ، مهما كانت عظيمة الاهمية . ولم يكن اي من الشعراء العظام مدينا ، في جزء مهم من عبقريته ، الى عصره ، ولكنه قد يكون مدينا لعصره بالفرصة المؤاتية التي ساعدته على الانتاج السهل .

ولنضرب لذلك مثلا تشاترتن « فقوة رجولتـه الاقناعية » هي احدى القوى الابداعية الرائعة في ادبنـا ، ومع ذلك فهي لم تتأثر كثيرا بالقناع الذي اراد تشاترتن ان يضعها فيه . ذلك بانه لم يكن « بحاجة الى متطلبات الذوق العام » لتقوده « في طريق التعبير الشعري العظيم » فهو قد وجد بنفسه « المنفذ التعبيري » الذي يريده ، وجـده في قصاصات الورق التي حولها الى شعر حي ... وكانت نزوته المسيطرة عليه تقتضيه ان يبدع لغة من اجل التعبير عن احسن ما في دخيلة نفسه ، لغة تكون الصق ما تكـون بكلام العصور الوسطى، وهذه اللغة هي التي قدم لهافروض الولاء والتقديس ، في العمارات القوطية ، والمخطوطـات القديمة الاثرية . يمثل تشاترتن بداية الحركة الرومانسية الحديثة ، بصورة شعورية على انها فن منجز ، وليس من الضروري ان نتذكر انه مات في عمر ، حين لم يتمكن اي من الشعراء الانكليز ان يبزه ، وبخاصة بما امتاز من خيال خصب ، ونتاج رائع ، وهذا ما يجعل لمكانته في الشعـر الانكليزي اهميتها الكبيرة . فوجود تشاترتن ، في الوقت الذي واكب حياته ، برهان على ان رجل العبقرية ليس من مستوى عصره ، بل هو فوقه .

اما الشاعر الذي يصح ان نعده انموذجا للقرن الثامن عشر فهو بوب ، لا لانه كان شاعرا بالمعنى الدقيق من الكلمة، بل لانه وقع ضحية تحت تأثير العصر الذي ولد فيه ، وعلى هذا كان شعره لا يتعدى النثر الجيد ، ولو انه عاش في جو القراء العباقرة ، لاضطر الى الانزواء في مكان منعزل . وعلى هذا يسعنا القول بان شعر هذا القرن لم يكن على صلة وثيقة بسائر الشعر الانكليزي ، ذلك بان ثمة فجوة عميقة تفصل بين هذا التراث وبقية النتاج الشعري . ومع ذلك ففي مؤلفات كولنز بعض الاشارات الشعرية الخالدة . وهذه الحقيقة (المؤلمة) هي التي دفعت بالنقاد الى الاعتراف بعمق هذه الهاوية . ثم ان مبادىء الشعر مبادئ خالدة ، والحوادث المقدسة التي شهدت مولد كرستوفر سمارت وتوماس تشاترتن ، في عصر نأى فيه « الذوق الوطني » عن مثل هذه المبادىء ، هذه الحوادث دلائل كافية لاقناعنا بانه ليس من ضغط يمكنه ان يعيق الشعراء (المجيدين)عن التعبير عن مكنونات انفسهم بالاسلوب الذي يرتأونه .

يعترف ساوذي بهذا الامر بصراحة حـين يقول : « يمكننا ان نستخلص اتجاه الذوق العام من الشعـراء اللامبالين ، خيرا من الشعراء المفلقين ، اذ ان الاوائل يكتبون لمعاصريهم في حين يكتب الاواخر للاجيال المقبلة . » ثـم يستشهد ساوذي بالشاعر المغمور بومفريت مؤلف قصيدة « الاختيار » التي كان لها في وقت نشرها ضجيج غمـر المجتمع يومئذ . ولكن هذا الشاعر غدا الان اثرا بعد عين . ثم ان تأثير الشعراء في امثالهم امر مفروغ منه ، واهميته واضحة للعيان ، الا ان هذا الامر لا ينبغي ان يبعدنا عـن واقع الشاعر نفسه . ومن هنا يصح لنا ان نقدر الصلات التي كانت بين وردزورث وكوليردج ، وما كان من تأثير مطالعة العصر الاليزبثي في كيتس. وفي هذا الضوء ينبغي ان نقيم الثورة الفرنسية من حيث صلتها بالشعر الانكليزي وكذا الحال مع بايرون وشيلي(1) ».

---

(1) هو ابو الشعر الفرنسي ، وقد اوردنا سيرة موجزة عن حياته في كتابنا المترجم (شعراء خالدون) .

والميزه التي ينفرد بها الشعر ، في بداية القرن التاسع عشر ، هي الخيال وهذا ما نراه جليا في ضرب من الجو (العاطفي) الذي يضفي الغرابة على الجمال ، وهذا الشعر هو الذي يمثل الحركة الرومانسية بعض الشيء . فما الذي يظهر جو المناظر الانكليزية ويعبر عنها ، وبذا يميز الشعر الانجليزي عن غيره من القصيد الرفيع في العالم ؟ انك يمكن ان تشاهد هذه المناظر الطبيعية فتشعر بجمالها وروعتها وجلالها ، ولو انك احسست بعراء بعضها، الا ان الشعراء الانكليز يستطيعون ان يحولوا الحقائق الشعرية العارية على حسب ما يشتهون ، باسباغ جو بريطانية الواقعي عليها . . فالشعور بالبيئة والتبديل الخيالي للحقيقة ، صفتان بارزتان من صفات الشعر الانكليزي منذ بداية عهده ولكنهما متناثرتان هنا وهنا . اما احسن ما نظم في القرن التاسع عشر ، فهو يتفق في جوهره ـ مع احسن ما أتى به الشعراء في اي فترة من فترات التأريخ باستثناء القرن الثامن عشر . صحيح ان الشعر الرومانسي لا يخرج على التقاليد المألوفة ، ولكنه يتقيدببعض الحدود ، التي تفرقما بين الممكن وغير الممكن . ومن المعروف انه قلما تمكن احدهم من ان يبز جوسر ، في صفاء شعره ورقته ، كما لم يتطاول اي من الناس على سبنسر ، في موسيقاه ونبل مقصده ، غير ان شعر جوسر لم يتعد سرد القصص ، اما سبنسر فكان جل همه رسم الصور ، واللجوء الى الاقاصيص الرمزية .

اما العهد الاليزابتي فقد عني بالحياة ، وكل عمل من اعمال الارادة ، والذهن والروح . . . في حين التجأ الشعراء (الميتافيزيقيون) ـ الذين ظهروا في القرن السابع عشر الى هبات (الماجي) فجلبوا ذهبا ابريزا ، كان بعضه تفوح منه رائحة البخور والمر . الا ان الشعر الذي واكب مطلع القرن التاسع عشر ، تمكن من الحفاظ على جوهره بادراكه العميق لقوة تأثير البيئة في الخيال . وهذا الخيال الشعري هو الضيف الذي لم يتقبله القرن الثامن عشر ، وقد لمح الى هذا الشاعر كرستوفر سمارت ، بصرخته المدوية التي تعالت من البيمارستان الذي كان فيه . ثم جاء دور برنز ، فكانت قدماه بعيدتين عن كلا هذين القرنين ، اذ انه يمثل شعلة الروح الانسانية ، حين تنطق مرة او مرتين فيالعالم (مدى دهور) . وفي ظني ان الرومانسية نبتت على ضريح تشاترتن ، كما انحدر الشعر من مكمن برنز ، فلم يعد عبدا للنثر او الصقل الرتيب . وحين افاق الشعر من سباته ، لحقه الدين وبدت الحرية في ثوب انيق من الرشاقة واللطف . وقد قام كل من لي هنت وساوذي بما في وسعهما لتحرير الشعر . وحتى بايرون نفسه الذي كان يتفق مع التقاليد ، لم يطق ان يبقى في مكانه اذ حول الكثير من هذه التقاليد الى اشياء جديدة ، بعضها يمتاز بالدعوة الى الهدم ، بدلا من البناء والانشاء . وفي هذه الفترة برز الى حيز الوجود الشعراء وردزورث ولاندور ، وشيلي ، وبليك ، ومع اختلاف هؤلاء في مشاربهم ومسالكهم ، الا انهم يتفقون جميعا في الرجوع الى مصادر الشعر الخالدة بصورة غريزية .

وقد استعمل واتس دنتون عبارة اصبحت شهيرة، وهي « بعث التعجب » في التعبير عن « حركة الاحياء العظيمة التي تناولت روح الانسان ، في مجالها ، بعد فترة طويلة من التقبل الرتيب لجميع الاراء ، وبضمن ذلك الادب والفن » وهذا ما يمكن ان ندعوه بكثير من الحذر كدليل ممثل للحركة الرومانسية . وبالايجاز فان هذا الادب كان له منحاه الخاص في شأن الادب عامة وقيمته الخاصة به ، شانه في ذلك شأن عبارة ماتيو ارنولد « نقد الحياة » . وكما اضبحت تلك العبارة الشكلية مثلا يحتذى به في معرض الاراء والافكار ، كذلك فان هذه الفكرةالموجزة غدت خطرا يهدد الناس من حيث التعميم ، او الاختصار ولكن هذا الخطأ يمكن تصويبه من طريق تعريف زرادشت، الذي غالبا ما استشهد به واتس دنتون ، حين قال : « ان الشعر هو صور ظاهرة لحقائق خفية . »

ولكن المسالة المهمة الان ، ليست في ان توجد هنالك ثمة حقائق غير ظاهرة ، بل هل ثمة حقائق غير واضحة ، يمكن ان تكون كذلك ، على الرغم من التأييد الذي يحققه لها الشعراء ان ضمنا او صراحة . وهذه الحقائق امور ثابتة الوقوع بالقياس الى الشعراء اصحاب الخيال الواسع، وهذه القضية بالذات ، وليس التعجب بها هي التي تهمنا في هذا الصدد . ومن الظاهر ان الموقف الرومانسييتطلب نوعا من الغرابة لا شك فيه ، وبينما يجعل سيريل تورنر هذه الغرابة مجرد دهشة ، فهي حقيقة مقدسة لدى شكسبير . فالخيال ليس ضربا من الغرابة ، بل هو منظر يرى رؤية العين ، لا من حيث الامكان والاستطاعة ، بل من حيث الواقع والعيان .

ومن هنا فالشعراء العظام ، ومشاهير اصحابالرؤى، كانوا يبصرون الاشياء بوضوح وجلاء ، وهذا ما فعله الكثيرون من اضراب دانتي . والواقع اننا لا نعني باسم الحركة الرومانسية شيئا غير اليقظة المتجددة في الخيال ، والشعور بالجمال ، والغرابة في عناصر الطبيعة وفي جميع نوازع الذهن والاحاسيس . ولم تكن هذه اليقظة مدركة تمام الادراك دائما . وعلى هذا تمكن كراب من اقصاء الخيال عن خاطره ، ولكنه عجز عن هذا الفعل بالقياس الى الطبيعة . وفي هذا الوقت بالذات ، خرجت الطبيعة عن نطاقها الضيق مستصغرة الشخوص الانسانية ، واضعة اياهم في اماكنهم الجديرة بهم . وهذا ما جعلالموضوعات المنعزلة ، التي لا يحيط بها جو معين ، ترى واضحة في صفاء ونقاء من قبل وردزورث ، وهذه الموضوعات هي التي اصطادها كيتس ، واضفى عليها شيللي اضواء القمر اما كوليردج ، فهو رومانسي و (طبيعي) فيالوقتنفسه ، الا انشيللي لم يكن(طبيعيا)الا بالمعنى الرومانسي من الكلمة .

ومجمل القول ان الرومانسية تستهدف تحريرالعالم والذهن الانساني والتعبير الشعري من قيود الوقائع الاعتيادية ، والافكار السائدة ، والتقاليد والعادات الشكلية، وما لم يتم انجاز هذا التحرير لا يجد الخيال مجاله في الذهن (٢) .

العراق ـ بعقوبة — **يوسف عبد المسيح ثروة**

---

(١) لخصنا هذا الفصل المطول في الاصل تيسيرا للقارىء الكريم ، وابعادا للملل عنه ، المترجم .

(٢) في المقال الاصلي تعليقات ، اوجزنا ترجمة المهم منها خوف الاطالة ، غير الضرورية ، المترجم .

القصيدة الحزينة

O

احفر قلبي ..
احفر في الضلع الثاني..
فلعل اذا أنت حفرت هنا تلقاني !
وانبش ثلج الليل وفجِّر بركاني ..
وألمس بالفأس الازرق احزاني ..
احفر .. احفر .. هل أنت تراني ؟
واذا دوى صوت الفأس بوجدانك
اسأل نفسك : هل تسمعني ؟
هل تسمع وجداني ؟ ؟
واذا أنت حفرت ..
هل ينمو الماضي ثانية في شطآني ؟
احفر قلبي .. وانزع منه ترابي ،
علّ بذور شبابي
ان أنت حفرت تراها
لم يأكلها دود الليل .. لعل الصمت رعاها
احفر ... احفر علّ عذابي
ألمحه ثانية يأكل فأسك !
احفر .. احفر عليّ ألمح نفسك
والعرق الازرق
يساقط منك على حفرات ضلوعي !
فلرب امتزجت بالعرق الازرق
أمطار دموعي ..
فاحفر قلبي حتى آخره
لا تترك شبرا .. علك فيه تراني !

القاهرة **مجاهد عبد المنعم مجاهد**

قصة سورية

الدمية

بقلم فاضل ضياء

غمز الجرس مرتين ، فلم تفتح له الباب . غريب !.. اين هي اذن ؟.. هو يعرف انها لا تترك البيت الا بصحبته . فهي غريبة عن البلاد ، عن الناس ، غريبة حتى عن لغتهم وعاداتهم . انها المانية تزوج منها هناك ، حين كان يدرس في جامعاتهم فن الاصبغة والكيمياء الصناعية .

أن يشك باخلاصها ؟.. معاذالله! فلطالما امتحنها ، واستجلى حقيقتها خلال شهور ستة ، هي عمر زواجهما السعيد . ولكن لماذا لم تفتح الباب ؟ خزيت يا شيطان .. انك لا تعدم الى الصدور طريقا !

ومد يده الى الجرس يغمزه للمرة الثالثة بقوة . وما ان سمع وقع خطاها خلف الباب، حتى اطمان خاطره كانت قبلة المساء تلك التي استقبلته بها عند الباب . فضمها اليه في لهفة على عادته كل يوم .

كان في صدره سؤال يشغله . انه ليود من كل قلبه ان يعرف معنى هذا التلكوء — غير المعتاد — في فتح الباب . لعنة الله عليك يا شيطان ! لماذا لم يفكر حتى اليوم بمفتاح ثان للباب ؟! على كل حال ، فالمجال ليس للتساؤل والندم ، فلسوف يأتي كل شيء في أوانه . الا انه ما زال يريد ان يعرف سبب التلكوء في فتح الباب . ولكن دموعها التي بللت وجهه عندما بادلها القبلة ، واحمرار عينيها الزرقاوين ، منعه من طرح السؤال ، فكبته وتروى .

ومضت فترة ، كان قد بدل فيها ثيابه ، وغسل وجهه ، ثم سألها وهو يهم بالجلوس :

— ولماذا تبكين يا دورا؟.. ماذا حدث؟

فما كان منها الا ان عادت الى البكاء من جديد !..

لم يستغرب ذلك ، لانه يعرف — بمحض تجربته — معنى هذه الحالة الشعورية التي طالما عاناها وهو طفل يتيم صغير . يوم كان ابناء الحي الاقوياء يتهجمون عليه ، فيقاتلهم مدافعا ، ويقاتلونه متجبرين . بيد ان دمعة واحدة ، واحدة فقط ، لم تكن لتنذرف من عينيه آنذاك . حتى اذا مر به احد الرجال الطيبين ، فانتزعه منهم ، ووبخ اولئك الاشرار ، ثم ترفق بالمسكين ، فسأله عن سبب هذا الشجار .. عندها كانت الدموع المخنوقة في جفنيه ، تتخذ الى الانحدار طريقا .

بلى . انه ليعرف كل ذلك . لهذا فقد سكت ، ولم يعد يطرح عليها سؤالا . بل تركها وشأنها .. تركها تفرغ ما بنفسها من الالم ، وتخفف ما بصدرها من طاقة الانفعال . حتى اذا مرت عليها فترة ، اخذته من يده الى مخدعها لتقول في عصبية وألم :

— انظر .. انظر ما فعل الزوار بـ [موتسلي] !

ونظر الى حيث اشارت ، فاذا بموتسلي ملقى على السرير ، وحالته تدعو الى الرثاء . لقد كان رأسه مفصولا عن بدنه ، ورجله اليمنى مخلوعة تتأرجح في الهواء ، لتصف عنف ما الم به من قسوة وتعذيب . اما طوقه الاخضر الجميل ، فقد بات مزقا منثورة هنا وهناك . والجلجل الصغير الانيق ، يا الهي!... ان اسنانا لا تعرف الرحمة قد عجنته عجنا ، فطمست معالمه الفاتنة ، وضيعت صوته المرنان .

لم يتمالك نفسه . وأنى له ذلك ، وهو أعرف بمنزلة موتسلي من سواه ؟.. حقا .. ان نظرتنا الى الاشياء لتتغير كثيرا حالما يدرك المرء شيئا من اسرار وجودها ، او يتعرف الى ملابسات هذا الوجود . فقد يكون الشيء لا قيمة له ابدا حين يراه البصر لاول مرة . انه ليبدو شيئا عاديا ، بل تافها ، كتلك القطة التي نعبر بها الطريق ، والتي لا تثير في نفوسنا حتى ابسط لفتة من لفتات الانتباه . ولكننا اذا ما تبنيناها ، واصبحت فردا من افراد الاسرة ، او قطعة من اثاث البيت ، سرعان ما تتغير فيها نظرتنا ، فتسمو بمعناها ، ويزداد رصيدها من التقدير . ولا تسل عن الدمع الصبيب ، والآه الجريح ، عندما يصيبها مكروه ! بلى .. هذا ما يفسر لنا اختلاف وجهات النظر ، حين يعرض الناس الى تقدير امر من الامور .

وهكذا كان شأن موتسلي بالذات . الا ان موتسلي ، دمية من قماش خاص .. تمثل دبا صغيرا ، ولكنه حلو، رشيق، على غير ما هو معروف في عالم الدببة ! وقد يميل اليه حتى الذين لا يطيقون عالم الدمى ابدا . كان في جوفه نوع من الآلة الصائته ، فكان كلما قلبه الانسان في يديه ، أخرج صوتا هو أشبه شيء بالصوت الطبيعي لهذا الحيوان . ومن اجل هذا ، فقد كان يسر الاطفال، ويلهيهم عن الشغب والبكاء . انه موتسلي الذي اصبح — فيما بعد — واحدا من افراد اسرته الصغيرة التي لا تتجاوز الاثنين ، هو ورفيقته . لقد عاش معهما هذه الاشهر الستة كأحسن ما يكون العيش الهانىء الرغيد . كان تسلية رفيقته الوحيدة ، بل عزاءها الاوحد اثناء غيابه .

لقد كانت حياتها — في بلاده — جديدة وقاسية معا . جديدة ، لانها تختلف كثيرا عن حياتها في الوطن الذي حضنها زهاء عشرين عاما . وقاسية ، لانها لم ترزق منه ولدا حتى الان . ولهذا ، فقد جعلت من موتسلي ابنها الوحيد الذي يؤنس وحشتها ، ويضفي على حياتها لونا من السلوان استعذبته على مر الايام .

قال وهو يتطلع الى موتسلي اشلاء مبعثرة على السرير :

— وكيف حصل ذلك ؟

فجعلت تقص عليه والاسى يقطر من نبراتها :

ـ زارتني جارة في الصباح ، وهي تجر اولادها الاربعة .. ولما بكى ابنها الصغير ، ناولته موتسلي ليلهيه عن البكاء ... ثم كانت مني التفاتة ، فاذا بموتسلي قد تبعثر اشلاء !..

فقال لها في دهشة :

ـ الهذا تبكين ؟.. غدا اشتري لك موتسلي اخر !..

فتغيرت لهجتها فجأة حين شرعت تبين علاقتها بدميتها العزيزة :

ـ ارجو ان تفهمني جيدا . انك لا ترى في موتسلي الا هدية عادية ، قدمها الي والدي ليلة زفافنا هناك. ومهما تعمقت ، فلن ترى فيه اكثر من تسلية لامراة وحيدة ، لم ترزق طفلا تتعزى به .. ولكن الامر أعمق بكثير مما يبدو عليه !

ـ قال : اذن فلموتسلي قصة ؟!

ـ واي قصة ! لقد اخفيتها عنك حتى الان ، لاني لم اجد مناسبة لذلك.. ولكنني اليوم ، لن اكتم هذه القصة عنك. وطفقت تحدثه في شرود

كانت طفلة صغيرة ، يوم كانت تلعب مع اترابها من بنات الحي. فكانت تنظر الى شتى الالاعيب في ايديهن ، دون ان يكون لها شيء من ذلك غير النظر . ولكنه ، قط لم يتفق لها ان فتنت بشيء من دنيا الالعاب ، بقدر ما فتنت بهذا الدب الصغير .. موتسلي . اما رفيقاتها ، فلم يكن لاحداهن ان تسمح لها بمشاركتها فيه . فكانت تعود الى البيت مكسورة الخاطر ، لتنكب على سريرها باكية معولة ، طالبة دمية مثل موتسلي . وامها لم يكن ليسعها ـ حينذاك ـ الا ان تلاطفها مرة فتعدها ، وتقسو عليها فتتوعدها مرات .

وتوالت الايام قاسية . اذ كانت الحرب العالمية الثانية ، في ذروة حدتها . فترعرعت على الخوف ، والبؤس ، والحرمان . ثم عملت مضطرة ـ وفي سن مبكرة ـ في احد المكاتب لتساعد اهلها . وشيئا فشيئا ، بدات تفهم لماذا حرمها ابوها من تلك الدمية التي سكبت من اجلها دمعا لو صح بيعه في سوق العطف والحنان ، لاستطاعت ان تبتاع به معامل موتسلي برمتها آنذاك .

كان ابوها من ذوي اليسار ، فزاره الحظ العاثر يوما ، حين سقطت على متجره العامر قنبلة ، أتت على ما فيه من متاع الحياة . وتعاقبت السنوات السوداء صعبة ، شاقة ، فيها المضض والشقاء ، وفيها اليأس والقلق . فلم يكن في وسع والدها ان يقدم لها ما ارادته . فكانت تسلو رويدا رويدا تلك الرغبة الجامحة التي عجت في صدرها يوما من الايام لانها بدات تدرك ما يدور حولها . انها لم تعد طفلة كما كانت ، بل انه لم يعد من المناسب في شيء ، ان تطلب موتسلي كدمية في الوقت الذي اصبحت فيه شابة يافعة . ونسيت كل شيء ـ حتى موتسلي ـ امام طموح الحياة ، وهموم العمر ، الا هاتيك اللحظات التي كانت تمر فيها باطفال صغار ، يلعبون في ظلال جدران الحي ، وقد امسك بعضهم بموتسلي صغير يتسلى به .

فكانت تشعر بشيء يدغدغ قلبها ، تحسه بقوة .. فلا تملك الا أن تهز رأسها ، وترسل زفرة ، وتتم الطريق!

وما ان وصلت بقصتها الى هذا المكان ، حتى تركته فجاة ، وطلبت الحمام لتزيل آثار الدموع . تركها تفعل.. ثم التفت الى نفسه في حديث:

« وي !.. أيكون موتسلي كائنا حيا عندها ، ولا يعرف عن ذلك شيئا ؟.. اذن هي تعيش موتسلي ، وموتسلي يشاركها العيش ؟! الا ما اكثر المرات التي بثته فيها شجوها وحبورها ! وما أبلغ ما كان يتم بينهما من تجاوب وتعاطف ! انها اصوات جوفاء اذن ، لا ، بل رنات جلجله في اغلب الاحيان ! لك الله ايتها النفس البشرية ، ما اعجب ما يعتمل فيك من احساس !.. »

لم تطل غيبتها حين عادت اليه نشيطة من جديد ، فأخذت مكانها بقربه، ثم جعلت تعتذر عما بدر منها. ولكنه كان لطيفا معها ، رفيقا بها ، فما شاء لها أن تسكت دون اتمام القصة.

ـ قالت : لعلك ما نسيت بعد ليلة زفافنا حين قدم لي والدي هديته المفاجئة .. موتسلي . يا الهي !. ما كان اروعها من هدية ، وما أقدسها من مفاجأة ! كنت ـ وانا ادور بموتسلي فرحا ـ المح ابتسامة خفيفة هازئة ، ترتسم على شفتيك لهذا « الجنون » الذي انا فيه . ولكنني عذرتك من كل قلبي ، لانك لم تكن لتعرف لهذه الهدية معنى ، يوم طفت ـ عندي ـ على هدايا الاهل والاصحاب . واني لك ان تعرف معناها ، او تدرك يومئذ قيمتها ، وانت لا تعرف من سرها الدفين شيئا ؟!

لقد كنت أقرأ في عينيك انك تحدث نفسك فتقول « لله ما اقل عقول الناس !.. » كما خيل الي ، ان والدي قد فهم ما دار بنفسك ، لما اشحت بوجهك عن المائدة المنصوبة ، لتخفي ضحكة راودتك . نعم .. هذا ما يفسر لك اليوم ، مغزى تلك الدمعة الحائرة التي طفرت من عيني ابي ، وبقيت معلقة على الاهداب !

انه لمن العسير على المرء ، ان يدرك مفهوم امر ما ، اذا كان بعيدا عن كنه ذلك الامر ، وما بلغه من اجواء !.. ذلك هو موتسلي يا حبيبي ، وتلك هي حكايته .

كان غارقا في سجاته ، ساهما في الافق البعيد ، عندما اخذت تدنو اكثر فأكثر . لقد كانت تخشى ان تفسد عليه امسيته الغالية . فما كان منها الا ان اراحت رأسها على صدره ... فعاد الى نفسه باسما. ثم تركته ، وقامت الى موتسلي تجمع اشلاءه ، وتقبلها قطعة فقطعة .

حلب **فاضل ضياء**

باقة بنفسج

رنتْ بعين عليل ... مكحولة بالسقامِ
وللندى عبرات ... المضنى بجنح الظلامْ
عين يشفك منها ... ما جاش من آلام
وكنت تقرأ فيها ... فواجع الايام
أكمامها كجفونٌ ... ترفُ من أوهام
تفتحت عن أمانٌ ... مشبوبة بضرام
وللرؤى أصداءٌ ... تحكى ورجع كلام
وتمتمات مشوق ... علوية الانغام
تلقى البنفسج ألقى ... الى الاسى بزمام
ومال يطرق شجواً ... من صبوة وهيام
ألوى برأس كئيب ... مشتت الاحلام
وساورته ظنون ... تحز حز حسام
وعاودته أمان ... أحيت رسيس أوام
أجفانه مترعات ... بالدمع والاسقام
عين تفيض لنجوى ... ومقلة لغرام
وساقه من نحول ... كطارق الاوهام
ترى البنفسج دقت ... أوراقه كغمام
رقت كمعنى دقيق ... في اللبس والابهام
كأن ليلاً تجلّى ... بها بهيم اللثام
يجيش شبه عباب ... بغارب الاظلام
وماج عن أعلام ... منشورة وقتام
والنفح في الإكمام ... كملهم الانغام
يُسقي النفوس بجام ... من نشوة الاحلام
أحبب به من عبير ... بفوح بالالهام
عيناكِ شبه عباب ... من البنفسج طام
يموج عن شهوات ... مكبوتة وسقام
والليل أسدل فيه ... ملاءة من ظلام
عين أطالع فيها ... صبابتي وهيامي
وكنت أقرأ فيها ... فواجع الايام
تفتحتْ عن أمان ... مشبوبة بضرام
وللرؤى أصداء ... تحكى ورجع كلام
وتمتمات مشوق ... علوية الانغام

دمشق — عدنان مردم بك

الادب والجنس

بقلم باسم حمودي

ooo

« في بعض اللحظات احس باني امسيت كالوحش الذي افلت من عقاله بعد طول سجن واحس بان رغبة ممتزجة بارادة قاهرة تريد مني ان اهجم على اقرب امراة كي افترسها » .. هذا كلام شاب مثقف يشرح فيه ـ على طريقته ـ قوة غريزته ومقدار تحكمها به . وهو طبعا ليس الوحيد في هذه الدنيا الذي مر او يمر بهذه الحالة فكلنا قد مررنا بمثل حالته وكلنا شعر بميل شديد غريب نحو نصفه الثاني ، فمنا من يندفع في غمرة الهاوية ويسلك طريقا مظلما فيصبح وكانه قد ارتدى حذاء من المطاط يسير على ارض مبللة بالماء والصابون فلا بد ان ينزلق وان يقع ، ومنا من يكبت غرائزه صابرا بانتظار (الفرصة الشرعية) ، ومنا من يكون بين بين .

ومن ذلك نستطيع ان ندرك اهمية الدافع الذي حدا بالعالم النفساني سيجموند فرويد ان يقرر بان « الدافع الجنسي عند الانسان هو الذي يتحكم فيه اكثر من سائر الدوافع الاخرى » ولئن عارضه تلميذه ادلر الذي ركز على دافع طلب المنزلة الاجتماعية ، ولئن عارضه ـ كذلك ـ علماء الفلسفة المادية الذين ركزوا على دافع الرغيف فان ذلك لا يمنع من ان كلامه يجب ان يؤخذ بنظر الاعتبار وان كان متطرفا بعض الشيء . وفي رأيي ان النزعة الجنسية عند الانسان ليست كل شيء الا في فترة المراهقة والسنوات القلائل التي بعدها ، وهي فترة حرجة شائكة في حياة كل انسان اذ يعيش على اعصابه المتوترة الحساسة ويرى الوجود كله امراة ـ والامر صحيح عكسا بالنسبة للفتاة ـ ولكن ذلك يخف تدريجيا ويصبح شيئا عاديا بمرور الزمن واعتياد الانسان على حالته وبعد اجتيازه دور المراهقة . وهذا الكلام ينبغي الا يؤخذ كقاعدة فما هو الا رأي شخصي وقد تفنده بعض الاعمال والاتجاهات الشاذة ولكنها ليست سائدة في عالمنا هذا .

وقد تبدو هذه المقدمة طويلة بعض الشيء ولكنها مهمة لشرح علاقة الادب بالجنس ، فقد كان الخوض من قبل الكتاب والشعراء في المواضيع الجنسية في العصور الوسطى امرا محرما تماما من قبل الفئة الحاكمة ورجال الدين فتتفتق حياة الشاب او الشابة في الفترة الحرجة ومختلف القيود الدينية والاجتماعية تقيده وتحدده وتحول بينه وبين فهم المحركات والحوافز الجديدة التي بدأت تسير حياته وتتحكم فيه شعوريا ولا شعوريا فيعيش في ظلام دامس من الناحية الجنسية وعلاقة كل ذكر بانثى .. وعشرات من الاسئلة المتراقصة في دماغه تتعلق بهذا الاحساس الغريب الجديد الذي بدأ يغور في دخيلة نفسه ، وهو يحس بان شعوره الجديد هذا قد اصبح قيدا ضخما يغله ويحيط به وعليه ان يضعفه ويفككه بحذر وبدون ان يدع مجتمعه الصارم يعرف ذلك ومن هنا نستطيع ان نتصور هذا الانسان بانه يسير على اكوام من الاشواك الموضوعة في طريق دامس وعليه ان يحك دماغه ليعرف الطرق الضيقة الخالية من الاشواك وقد استرعت هذه الحالة نظر رجال الفكر من ادباء وغيرهم فحاولوا مقاومتها وتوضيح طريق الانسان في هذه الفترة الحرجة فمنهم من فشل ـ وهم الاكثرية في ذلك الوقت ـ ومنهم من استمر ولكن بكثير من الخوف والحذر .

وما ان حدثت الثورة الصناعية وغيرت الكثير من القيم الاجتماعية حتى خفتت الشدة والصرامة في هذا الامر وتسنى للادباء والكتاب الاجتماعيين ان يتنفسوا الصعداء ولو بعض الشيء فقاموا ببعض المحاولات الناجحة في هذا الصدد الا ان القيم ما زالت لها هيبتها القديمة المحنطة وما ان جاء القرن التاسع عشر حتى خف الوطء اكثر فاكثر وظهر عدة كتاب امتازوا بصراحتهم التامة في قصصهم حول العلاقة الخالدة المستمرة ابدا حتى يفنى هذا العالم وحول مسألة الغريزة الجنسية ... ومنهم اميل زولا الكاتب الفرنسي الذي اشتهر بذلك مما اقام عليه المجتمعات المحافظة ولم يقعدها مطلقا ومنهم د. ه. لورنس الذي تبنى مبدأ الصراحة التامة في كتاباته الادبية ذات الطابع الجنسي في انكلترة .

ومهما كانت الدوافع الخاصة التي حدت بلورنس الى العمل في هذا السبيل فلسنا ننكر مطلقا خدمته هذه ونجاحه في سبيل تفتيح اعين النشء الصاعد بصراحة تامة مما وقع به الكتاب الذين جاءوا بعده الى الاستمرار في ذلك فكثرت الكتب والقصص الادبية التي تعالج هذه المشاكل وكثر اقبال القراء عليها بكثير من اللهفة والرغبة ودفع ذلك علم الاجتماع خطوات الى الامام (وينبغي ان نؤكدها ان علم الاجتماع لم يكن آخذا شكله الحاضر وان هذا العامل الذي ذكرته عاملا من جملة عوامل اخرى لست في صدد بحثها الآن) فاخذ الدافع الجنسي عند الانسان يخص باهتمامهم ـ اقصد علماءه ـ شأنه في ذلك شأن الدوافع الانسانية الاخرى بعد ان عاشوا قرونا طويلة في خيال تام وبعد عن المشاكل الحياتية . ومن الطبيعي ان يؤثر ذلك في ادبنا العربي ولكن التأثير جاء متأخرا مع الاسف تكتنفه شوائك عديدة . ومن الذين تبنوا مسايرة هذا التأثير والكتابة الادبية الصريحة في مصر مثلا الاستاذان يوسف السباعي واحسان عبد القدوس ولكن صراحتهما يشوبها شيء من الخبث الادبي ودغدغة العواطف البكر واستشارتها ولا ينكر انهما نجحا في ذلك وان كتبهما تطبع بالالاف وعدة طبعات . كل ذلك نتيجة لهفة الشبان والشابات في سبيل تفهم طبيعة افكارهم التي تراودهم والتي لا يستطيعون ـ او يظنون انهم كذلك ـ التعبير عنها وفهمها الا بهذه الواسطة

وكانت النتيجة ان استرعى الامر انتباه الادباء الاخرين سلبا وايجابا فمنهم من سايرها ومنهم من وقف او حاول الوقوف حجر عثرة في هذا السبيل ومن هذه الفئة الاخيرة توفيق الحكيم وغيرهم ممن فكروا بكثير من الاشفاق في طبيعة رد الفعل الذي يرتسم على صفحة نفس المراهق الصافية غير الملوثة بعد بادران الحياة عندما ينغمر في قراءة هذا الادب المكشوف . ولعل الادباء والمربين شعروا بذلك فقد ارسل احدهم ـ وهو من معارفي ـ رسالة الى احسان عبد القدوس قال له فيها : « انا مؤمن باصول التربية الحديثة ، وان اولادي يجب ان يربوا تربية صحيحة

لارنولد ريتشاردز — ترجمة عصام الدليمي

العاطفة

ooo

العاطفة هي احزان صامتة تقطع اوتار القلب وعند التلميح الى الـ Cœnesthesia اقتربنا من التقرير عن العاطفة كعنصر من الوعي (الوجدان) .

ان الوضعيات المنبهة ينشأ عنها انعكاسات امرية واسعة النطاق في جميع الجسم ويشعر بها كالوان واضحة من الوجدان . وهذه النماذج من الاستجابة العضوية هي الخوف والحزن والسرور والغضب والحالات العاطفية الاخرى . وهي تنشأ غالبا عند تسهيل او احباط نزعات الفرد الدائمية او الموقتة بصورة فجائية . وبذا فهي تعتمد على طبيعة المنبه الخارجي اقل بكثير مما تعتمد على ظروف حياة الفرد الداخلية حين حدوث المنبه ، وهذه الحالات العاطفية من سرور وحزن تتميز عادة بعنوان الشعور من الاحساسات التي تعتمد في تمييزها على نوع منبهها وبذلك فالاحساسات تصنف كعناصر تتعلق بنوع المعرفة اي تتعلق بمعرفتنا للاشياء اكثر مما تتعلق بوضعنا او سلوكنا نحوها او بعواطفنا تجاهها . فالسرور والعاطفة لها في نظرنا نظرة معرفية .

فهي تعطينا المعلومات في حالة السرور وعن كيفية سير فعالياتنا سواء أكانت بنجاح ام بالعكس في حالة المعرفة عن وضعياتنا .

الا ان العاطفة يمكن ان تزودنا بمعلومات اكثر انها لحقيقة تستحق الملاحظة من ان الاشخاص ذوي الاحساس الخارق بالالوان يحكمون حسبما يظهر حكما مضبوطا ان كان اللونان متماثلين أم ان كان احدهما لا علاقة له بمتناسقة ثابتة مع الاخر وذلك دون حاجتهم الى امتحان وانتباه ومقارنة بصرية ويكفيهم لذلك العواطف العامة او الاعمال المنعكسة العضوية التي تثيرها الالوان عند مجرد النظر اليها ، وهذه طريقة غير مباشرة لمعرفة النوعية للعالم الخارجي وبرغم ذلك فهي طريقة لها قيمتها ، وربما يشبه ذلك ما يتصف به بعض الاشخاص من حكمهم على سجايا الاشخاص الذين يقابلونهم لاول مرة وكثيرا ما يكون هذا الحكم سريعا وناجحا (اي مصيبا) وربما يعجزون عن ذكر اي وصف للملامح بحيث تصلح لبناء حكمهم على ذلك الشخص ومع ذلك فهو تمييز خارق العادة وان الحساسية المشهورة التي يبديها الرضيع تجاه امه لهي مثال يلفت الانظار .

ان الدور الذي يلعبه هذا النوع من الحكم في التقريرات الاخلاقية لا حاجة به الى التاكيد . ومما يستحق الذكر ان الفنانين يكونون غالبا ماهرين متفوقين في هذا النوع من الحكم .

والموضوع يبحث تحت العنوان الواسع الغامض (البديهة) وهو عنوان من شانه ان يخير ويزيد المسألة غموضا لان هذه الاحكام ليست بأبسط واكثر مباشرة واكثر تعقيدا .

ولهذا السبب فهي طريقة ليست اقل بدائية بل بالعكس فان طرق التفكير المبسطة انما هي نتاج متقدم . ان للشخص السريع البديهة ان يستعمل الاحساس كما يستعمل الكيميائي كواشفه وكما يستعمل العالم بوظائف الاعضاء مقياس الكهرباء .

وكما ان الاحساسات التي يثيرها منبه الالوان يمكن تمييزها بالبصر فلا يمكن ملاحظة أي فرق ولكن هناك فرقا في الواقع ويصبح هذا الفرق واضحا اذا لاحظنا الفرق في الاعمال المنعكسة العضوية .

والطريقة هي مجرد اضافة علامات اكثر دقة وهي تشابه اضافة عتلة التسجيل الى البارومتر .

ان الفروق بين الاشخاص الحساسين وسريعي البديهة والمتفرجين يمكن ان تكون على نوعين فيمكن ان تكون تلبية اعضاء الشخص الحساسة دقيقة مرهفة .

وهذا الامر تقريره صعب . فالحقيقة هي ان اهم فرق يحتمل ان يكون فرقا هو في الاشتقاق .

وينطوي على الحقيقة ان الشخص المتفرج لم يتعلم

صريحة من الناحية الجنسية ... ولكن احد اولادي قد بدأ باجتياز مرحلة المراهقة وقد رايته يوما ما يقرأ احدى قصصك فحاولت ان اختطفها منه ولكني احجمت لي لا ينشأ عن ذلك رد فعل سيء فيقرأ الكتاب والكتب الاخرى من وراء ظهري حتما . والان ما رايك .. أادعك تدغدغ عواطفه وتفتح امامه افاق عجيبة بالنسبة له وغير مأمونة ؟ اني اخاف ان يعمي نور الحقيقة الصارخة عينيه فيندفع في طريق شائك » فاجابه احسان : « دعه يا سيدي يكتشف الحقائق في هذه السن قبل ان يكتشفها بطريقة سيئة وبدون علمك او توجيه منك » .

والان ما الذي ينبغي علينا ان نفعل ومشكلة هذا الاب وهذا الابن هي مشكلتنا جميعا ؟ لا شك ان الاراء ستكون متباينة مختلفة ولكن اقربها الى الاعتدال – في رايي – ان يقرأ هذا المراهق هذه الكتب بتوجيه من الاب ، واحسن من ذلك ان تكون القراءة مشتركة تتبعها مناقشة صريحة تتناسب مع عقلية الفتى المراهق

ارى نفسي قد تجاوزت حدود عنوان هذا الموضوع ولكن طبيعة البحث قد ارغمتني على ذلك فالمشكلة علمية ادبية اجتماعية نفسية ولم افعل سوى ان اعطيت وهج سريع من النور عليها .

بغداد — باسم حمودي

كيف يفسر في وجدانه الجسمي العام باية طريقة منظمة .
ويمكن ان تحدث التغييرات بصورة منظمة الا انها لا تكون ثابتة بالنسبة اليه .
ان العوامل بين الاحساسات العضوية تلعب دورا في جميع الفنون وهو ان كان مهملا الا انه على جانب عظيم من الاهمية .
ومما تجب ملاحظته هو انه ليس طريقة لاكتساب المعرفة وهي تختلف من جميع الوجوة الجوهرية عن الطرق الاخرى .
ولا حاجة لادخال اي علاقة من الشعور نحو الاشياء لايضاحها اكثر من فهم المعرفة لتفسير المعرفة الاعتيادية.
ويكفي في كلتا الحالتين معرفة اسبابها التي يجب التاكيد عليها وعندما نحن نشعر بشعورنا فهو نسيب بما نحس به .
ولما نشير الى شيء غير موجود فهناك احساس حاضر يشبه احساسا ماضيا ويكون منطبقا عليه .
ولهذا السبب فمجرد الاشارة اليه وما الى ذلك يؤدي الى وضعيات اكثر تعقيدا .
وهنا احساس حاضر باللون بسبب اجابة عضوية قد كانت في السابق مقترنة بلون معين .
فالاجابة حينئذ تصبح رمزا لذلك اللون ، ذلك الرمز ، الذي يثق به الشخص المميز الحساس ولو كان عاجزا عن التأكد بصريا فيما اذا كان ذلك اللون حاضرا ام انه شبيه به .
وهناك احوال اخرى تختلف عن هذه الحالة من حيث التعقيد وليس في المبدأ ومما يعارض فيه ان هذا القول والاشارة او التفكير في اصطلاحات الاسباب تعطينا احسن طريقة مباشرة لمعرفة الجواب على ذلك ، ذلك الجواب هو ان انتشار الغلط بحد ذاته حجة ضد نظرية المعرفة المباشرة .
وفي اللغة الرائجة ان الاصطلاح (عاطفة) يقوم مقام تلك الاحداث في الادمغة والتي تصحب انفعالات كهذه من نهيج غير اعتيادي وبكاء وصياح وخجل .
ولكن في عرف النقادين لها معنى واسع ولذلك فلا حاجة لبيان فائدة الالم .
وعندهم ان الالم يقوم مقام كل حدث مهم في الدفاع بغض النظر عن طبيعتهم .
ان العواطف الصحيحة والعميقة (كما يقول الناقدون) ينقصها من المميزات ما هو سائد في لغة المهذبين كما يحدث ايضا عند علماء النفس لانه الشيء الذي يعتبر استعمالا صحيحا في علم النفس يخرج عن التعبيرات المجسمة التي تصحب التجارب كما هو مبين اعلاه وهناك مظهران يميزان كل خبرة عاطفية ... احدهما هو رد فعل منتشر في أجهزة الجسم وينتقل في الاجهزة السمبثاوية.
والاخر هو نزعة الى العمل من نوع معلوم او من مجموعة من الانواع .
وهذه التغييرات الواسعة النطاق في الجهاز التنفسي وجهاز الدوران وتتميز في التنفس وفي الافرازات الغددية غدت بطبيعة الحال تلبية لوصفيات تستوجب استعمال النزعات الغريزية ونتيجة لكل هذه التغييرات يحصل موجة من الاحساسات من اصل داخلي وتنتقل الى الوجدان ومن المتفق عليه ان هذه الاحساسات تكون على اقل تقدير القسم الرئيسي من وعي العاطفة .
اما مسألة ما اذا كان ضروريا ام لا فهو قيد الاخذ والرد
وربما ورد اقتراح اننا قد اعطينا انتباها غير كاف (على نظرية العاطفة) الى صور من احساسات كهذه .
ان الحقيقة بان الخوف مثلا من الحكم يمكن الشعور به في عدم وجود تغيرات جسيمة من النوع الموصوف (لهي حقيقة قيد الاخذ والرد) . ويمكن ان تشرح بفرض صور لهذه الاحساسات وان تحل محلها .
وهذه الاحساسات او صورها تكون عنصرا رئيسا لاختبارات عاطفية وتعلل لونها او نغمتها الغريبة من حيث ضخامتها كما ومن حيث نباهة العواطف .
ويعادل ذلك في الاهمية التغييرات في الوجدان والناجمة عن رد الفعل الحاصل في الجهاز العصبي الذي يسيطر على الحركات المتحكمة في اجابة العضلات للوضعيات المنبهة .
وتصنف هذه في حالة الخوف من استيقاظ نزعة بسيطة وتحفز للهرب او الاختفاء تحت منضده ، الى كذا ترتيبات جديدة متقنة كالتي نعملها لما نتهيأ لنقاوم تهديدا يقوم ضد فكرة محبوبة لدينا .
ويحصل طريقة من التعقيد الخارق العادة بين رؤية الوضعية وبين ايجاد طريقة لملافاتها وهذه الطريقة المعقدة تساعد بقية اللذات الغريبة على اجراء تجارب عاطفية .

الموصل — عصام الدليمي

بلا رفيق

وتركتني ...
ومضيت في الدرب السحيقِ
لم تضطربْ .. لم ترتعش شفتاكَ
للالم العميقِ
ومضيتَ موزون الخطى لتغيب في اقصى الطريقِ
وتركت شيئاً يا صديقي
شيئاً يخدِّر لـي عروقي

وشعرت بالنيران تجري فـي دمائي
وتمر كالاعصار يزحف في الفضاء
وتطوف بي في عالم الاشباح
في اللاشيء ...
مكتوم النداء
والدرب تجذبني .. فاهوي كالرداء
كالفأر .. كالمحزون عاش بلا عزاء
انا لا أحسُّ ... ولا ارى حولي...
فقد غامت سمائي

ومضيتَ في ركب المساءِ
وبقيت تصـغر في الفضاءِ
لم تضطربْ ... لم ترتعش شفتاك
في كفِّ الشقاءِ
واثرت حولك في المكانِ
سُحباً كأعمـاق الزمانِ
سُحباً تصدك عـن عياني
وتصد شيـئاً مـن كياني
شيئاً تغلغل فـي كيانـي
وبقيت كالعمياء
تأكلها الثواني

وتحسُّ شيـئاً حولهـا
قد غاب في قلب الزمان

ونهضت كالمشدوهة البلهـاء
امشي في الطريق
واعـود درب القهقرى
والنار تأكـل في كياني
والحسُّ يجمد فـي عروقي
وعلمت أني قد فقدتـك يا صديقي
وبقيت كالمشدوهة البلهاء...
في هم وضيق
فالتخت والشباك .. في بيتي العتيقِ
والمقعد المكسور يسبح فـي الشروق
وكروم بستاني وازهـار الشقيق
صارت تقهقه من شقائي
وتزيد في قلبي حروقي
ترى هل تعود مع الصباحِ
فتموت في صدري جراحي
وتعشعش الاطيار في حقل الاقاحي
وتبرعم الاغصان في الشجر الوريق
ويعود في عينـي بريقي
وتطيب في قلبي حروقي !
أم سوف تمضي في الطريق
نجم يسير بـلا رفيق
ويرش شيئاً في عروقي
شيئاً يخدِّر لـي عروقي ؟

الجامعة الامريكية بيروت
عصمت حمارنه

قصـة عراقيـة

فـطـومـة

بقلـم عـزيز ياسـين

ooo

وعـاد مثقلا باتعاب الاسبوع الذي قضاه بعيـدا عن زوجتـه التي يعتز بها الى درجة انها شغلتـه حتى في اعماق الهور وهو يخـادع الطيور وينصب لها الشباك مختفيـا بين البردي الكثيف .

فكان يتأمل وجهها بسحره وفتنته ويتصور اخلاصها له وهي تدفـع بالقارب بعيدا عن الشاطىء .

وانه ليرى كل شيء بصفاء ، كمـا يرى تلك الطيور المنتشرة على صفحة الماء بالوانها الرمادية الخضراءواقدامها الرفيعة الحمراء التي تذكره بقـدم فطومة البيضاء المصبوغة بالحناء .

وكانت امله الذي يدفعه لان يسهر الليل متحملا البعوض وازعاجـه ، ولان يدفع بنفسه الى نهاية الهور حيث الافاعي السوداء المقوتة ، التي الهبت بسمومها جسد ابن اخيه وهو يحاول صيد ذلك الخنزير الرمـادي الهرم ، كل ذلك في سبيلها ، فهـي جديرة بكل تضحية .

عاد وعلى ظهره العريـض كيـس مملوء بـ (الخضيري) . و لاشك ان هذا الكيس سيرفه عن حاله ، ويفسح له المجال لان يصوغ لها خزامة ذهبية تجمل انفها الدقيق ، الذي هو اجمل شيء في صورتها الهادئة الحلوة .

وترك قاربه الصغير الذي غطـاه الظلام ، فلم يعد يرى وهو راقد على شاطىء النهر الضحـل المخنـوق بالضباب . وكان ظهره بجاهد تلـك الامال التي ملأت الكيس بشكل مفرح

ورأى الباب مفتوحا على عادته .

وبصمت وسكون ترك حمله الثقيل قرب التنور ، واخذ يسير على اطراف قدميه ، وكم كان يحلو له ان يوقظها بلطف وهدوء ولا يعكر احلامها فيه بعد هذه الغيبة الطويلة .

دفع باب الغرفة النائمة على ضوء فانوس باهت ... دفعها قليلا وفجأة انتفض كالسعفة وانعقد لسانـه ، واخذ بلعومه يتكسر ، وعصفتبجسمه القوي الخشن رجفة كرجفة الموت .

لا ... لا يمكن ان يكون ذلـك ابدا ... ابدا لا يمكن ان يكون ... قال ذلك وصدره يغلي بالوان مـن المشاعر المتضاربة ورأسـه يـدور كالدولاب .

ماذا يفعل ؟ ماذا يقول ! ؟ ... فربما كان متعقلا عندما ضبطاعصابه المتمزقة ولم يندفع ... وربما كان جبانا في تلك اللحظة المخزية .

واغلق الباب بانحلال ، وتحركت الى الوراء قـدماه ، وارتمى عـلى صيده النحس اللعين ، وعزم عزمـا اكيدا على قتلهما ، فراح يبحث فـي الظلام عن تلك السكين الكبيرة فـي حفر الحائط الكثيرة . وعثر عليهـا وتحسسها فوجدها نصف عميـاء مثله وهو يدور ويتخبط في الظلام المعتم البهيم .

وحرك يده كالاعمى وتناول المحد ، واخذ يحدها ويحدها بتخفظ وبطء وهو يحاول اخفاء الصوت القلق بان يضغط على شفته باسنانه ... وكان يحدها وافكار سوداء تحـد رأسـه وتضج في كيانه ... أأقتلهمـا ؟ ! ... نعم ، فان الله احل لنا مثـل هذا القتل ! ! ولكن كيف يا فلان ؟ . ابهذه السهولة ؟ ... لا لن تفعل ذلك ابدا . وكيف لا افعل ؟ فستصبـح سمعتي مجذومة بين هؤلاء .

واندفع كالثور الهائج الى الغرفة ، استرق النظر من خلال ثقوب الباب الواسعة ، لقد كان الفانوس بوضعية مجسمة لسريره السعفي الجديد ... وشبح الكلاب ، شبح الخزي والخيانة جاثم يملأ فراشه !

وارتعشت يده ، واضطرب رأسه مفكرا ، وارتسم امامه الماضي الجميل ... ولكن كيف اقتلهما ؟ ! ... لا انني سأقتله وحده ... فانه قـد اعتدى افظع اعتداء .. اعتداء يستحق ابشع الوان القتل .

وتكلم في رأسه شيطان ، وكيف تقتله ؟ فمن المحتمل ان تكون هـي التي مهدت الطريق ... وفجـأة تبدلت في رأسه فكرة ، وعزم عزما اكيدا على قتلها ، وتصور السكيـن تلمع في صدرها ... تصور دماءها وهي تنزف على فراشه الذيسيرميه بعيدا بعيدا في اعماق النهر .

وتكلم في رأسه انسان ، وكيف تقتلها وانت مسلم ؟ فالشرع لا يبيح لك ذلك . فمن حقك ان تتركهـا وتطلقها ، ان تضربها ضربا مبرحا . وثم سمعتك ايها الاحمق ، كيـف تجازف بها ، انها كل شيء لك بيـن هؤلاء الظالمين . انهم سيمضغونـك مضغ الكلاب للحوم النتنة المتناثـرة امام بابكم المتهدم .

وتبدل في نفسه كـل شـيء . وانحلت يده ، وعاد ادراجه ، فقـد صمم تصميما ... صمم ان يستعين بـ (مكواره) الخشبي الطويـل ذي الراس الاسود القيري ، ورجع ودفع الباب قليلا بابهام قدمـه الكبيـرة السوداء ، والمكوار ميت بين يديه .

ووقف داخل الغرفة التي سادها صمت غريب لا تشوبه الا ضربـات قلبه المتكسر . وجمع شتات حولـه وقوته ، ورتب عملية تأديبه . انـه سيضربها ضربة شديدة تنسيها هذه الليلة ولذتها ... سيضربها ولكن ! ... سيفلت منه ذلك المخلوقالحقير ... فالاحكم ان يضربه حتى يصحو صحوة الموت ، واما هي فعنـده وسيقضي الليل بطوله يذيقها الوان العذاب والمراره .

وكان هذا اخر تصميم ، وله بعد ذلك ان يطلقها ، او يرمي بها في بقعة نائية في الهور وبين البردي الـذي يكون لها قبرا رخيص الثمن .

وتجمعت افكاره لان يعمل . فقد كانت عمليته ان يوقظه من قدمـه المكشوفة قليلا ، وما ان يرفع رأسه حتى يعيده بضربة « جنونية » الـى وسادته حالما احلام اهل النار .

وتقدم قليلا ، وتململت اصابعـه باظفارها الخشنة القوية ، كان يود لو انشب انيابه الحادة في هذه القدم القذرة . واندفعت يداه بقوة ، وقرص تلك القدم قرصة شديدة لحقتهـا صرخة مزقت الاجـواء الميتـة ، وانتفضت فطومة مذعورة وهـي

الشاعر العراقي السيد سليمان الكبير

بقلم علي الحسيني

○ ○ ○

اذا كان من الصعب علينا ان نتحدث باسهاب وتفصيل عن شعراء وادباء القرن التاسع عشر الميلادي، في العراق، فان ذلك راجع لعدة اسباب وتأتي قلة المصادر وندرتها في مقدمة هذه الاسباب فالمصادر المطبوعة المتيسرة لا تشكل الا مجموعة صغيرة من المعلومات والنتف الموجزة ، بينما تضم في طياتها امثلة كثيرة للنتاج الادبي لذلك العصر .

ومن الخطأ القول اننا نستطيع الاعتماد على النتاج الادبي فقط ، في دراساتنا التحليلية هذه ، لان هذا النتاج يحتوي على الغث والسمين ، كما يحتوي على امثلة كثيرة من النتاج التقليدي المبتذل . فاذا ما وضعنا هذا النتاج في غربال النظرة التحليلية ، فان ما يبقى منه من جيد الشعر والنثر لا يكفي مطلقا لكي يشكل ركيزة لدراسة تحليلية . اما المصادر المخطوطة فقد وضعتها الظروف في ايدي رجال ، لا يعرفون مكانتها الادبية والتاريخية ، فكان من جراء ذلك ان تعرض الكثير من هذه المصادر للضياع والتلف .

على ان هذه الاسباب لا تبرر اعتكافنا عن تعريف الحركة الادبية في العراق ، في القرن التاسع عشر الميلادي، ويقيني ان القارىء العربي سيجد العذر لنا، عندما يجد ان هذه الدراسات غير كاملة .

ان الغرض من كل هذه السطور السالفة ، ان نقدم مثلا لها في دراستنا الجديدة هذه ، فالسيد « سليمان الكبير » وان كان شاعراً من كبار شعرائنا المنسيين ، الا ان المعلومات التي توفرت لنا عنه ، قليلة جدا مع الاسف .

حياتـــه وأحوالـــه

ولد السيد سليمان بن داود ـ الملقب بـ « الكبير » تمييزا له عن حفيده الشاعر سليمان الصغير ـ في مدينة النجف الاشرف عام ١١٤١ هجـ (١٧٢٢ م). وقد نشأ فيها واخذ العلم عن اساتذتها على الطريقة التعليمية القديمة . وكان معروفا بحبه الواسع للدراسة ، مما جعله يشتهر بسعة الاطلاع في المجالات الثلاثة ، الدين والادب والطب .

على انه استفاد من اطلاعه الواسع في الطب ، فامتهنه ، وقد برع فيه ، كما وضع بضعة مؤلفات ورسائل طبية . وكان من نتيجة امتهانه الطب ان لازمه لقب « الحكيم » طوال حياته ، كما لازم بعده قسما من اسرته .

وعندما استكمل دراسته في النجف الاشرف ، غادرها عام ١١٧٥ هجـ (١٧٥٦ م) الى الحلة ، حيث اقام هناك ، فما لبث ان عرفته اوساط العلم والدين والادب . وقد بقي في الحلة حتى توفي في ليلة الاحد الـ ٢٤ جمادي الثاني عام ١٢١١ هجـ (١٧٩٢ م) ، بالسكتة القلبية . وشيع جثمانه الى النجف حيث دفن هناك .

ومن الجدير بالذكر ان عددا كبيرا من الشعراء قد رثوه بقصائد تتفاوت في الجودة ، ومن اجمل هذه القصائد ، قصيدة الشيخ محمد رضا النحوي الذي كان صديقا للمترجم ، والتي مطلعها :

الما على دار النبي وانشدا   بها قد قضى لما قضى الدين والهدى

ومما يجب ان نذكره عن احوال المترجم ، ان نسبه يتصل بالامام الحسين بن علي (رض)، كما ان جده السيد حيدر كان مرجعا دينيا لسكان المزيدية (١) وما جاورها من الاطراف والنواحي ، وكان يعرف بـ « الشرع » ، وله في المزيدية مسجد وآثار معروفة باسمه ، كما انه خلف ضياعا وبساتينا تعرف باسم آل شهاب ـ وهو الجد الخامس للسيد سليمان .

وقد اعقب السيد سليمان خمسة اولاد هم : حسين الحكيم ـ وهو شاعر ـ وداود ـ احد مؤرخي عصره ـ

تصيح « اسم الله اسم الله ! ! ام حسين ماذا حدث ! ؟ .. »

وجمد صاحبنا في مكانه عندما سمع هذه الكلمات وما ان انتفضت فطومة وانارت الفانوس جيدا حتى رات زوجها مغمى عليه ... فصاحت وهي تلطم خديها « يا ساتر يا الله ! ... ماذا جرى ؟ لقد افزعت ام حسين »

وانتبه الى نفسه وهو يتمتم بكلمات مخبولة متفككة « ما القضية؟ ...ما القضية ؟ »

فقالت له :ـ « مسكينة ام حسين تعاركت مع زوجها وطردها في هذا الليل ، وجاءت لتنام عندي ، وقد شدت راسها بـ (يشماغك) من البرد » . قالت ذلك وام حسين ترتعد لهول ما حدث ، وقد لفت جسدها الهزيل بذلك المئزر العتيق الاخضر ، وكانت نظرات الخوف تتطاير من عينيها المريضتين ، كما كان صاحبنا يختلس النظر اليها بنصف عين والعرق يتصبب من جبينه

وهز راسه مقهقها ... وتلاشت تلك الصور السوداء التي جاءت مع الليل ، ودارت تلك الاحلام الحلوة امام عينيه مرة ثانية ، وتلألأت الخزامة العريضة على انف فطومة ، وفتح اصابعه المتيبسة على خشبة المكوار ، ورماه بعيدا وهو يقول : « اعوذ بالله ... والحمد لله الذي انقذني وانقذ ام حسين وفطومة ! »

العراق ـ المجر الكبير   عزيز ياسين

وعبيد وحيدر وعلي . ومما رواه لي احد رجال آل سليمان اليوم ، ان المترجم سمع من الحاكم العثماني في الحلة كلاما خشنا ، لا يتناسب مع مكانته الاجتماعية والادبية ، فعندما عاد الى البيت اخذ يردد بيتا يستنهض به اولاده لرد قول الحاكم العثماني ، وقد سمع القول ابنه « علي » فذهب الى الحاكم العثماني وقتله في الحال . وكان ان نكلت السلطات العثمانية بالسيد علي ، كما احرقت دار المترجم ومكتبته التي احتوت على كثير من مؤلفاته ومؤلفات غيره .

وقد كان السيد سليمان سريع البديهة والجواب ، مهابا ، محترما ، محبوبا . ويتبين ذلك من هذه الابيات في مدحه ، وهي من قصيدة لشريف بن فلاح الكاظمي :

للـه درك مـن وفـي ناصـح   لا ناسيـا عهـدي ولا متناسـي
يا قـدوة العلمـاء والادباء والصلحـاء يـا رب النـدى والبـاس
يا من يقيس بشعره شعر الورى   أخطأت ما الاذناب مثـل الراس
لا ابتغي بدلا به عن ذا الورى   من ذا يبذل تبـره بنحـاس

شعـره ومكانتـه الادبية

ويمكن القول ان السيد سليمان ، هو من مؤسسي النهضة الادبية الفراتية في القرن الثالث عشر الهجري . ويكفينا ان نشير الى المغارس الادبية التي غرسها ، والى الادباء الذين تخرجوا على يديه أو بتوجيه منه ، فنذكر ولديه السيد حسين الحكيم والسيد داود ، وحفيديه السيد مهدي والسيد سليمان الصغير ، وكذلك السيد حيدر العلي (٢) .

وقد عرف السيد سليمان في الاوساط الادبية في النجف والحلة ، فكان يساجل عددا من كبار شعراء تلك الفترة ، ومن هؤلاء الشعراء الشيخ محمد رضا النحوي واحمد النحوي (٣) وغيرهم . ومن مساجلاته مع الشيخ احمد النحوي هذه الابيات التي بعث بها اليه ـ أي الى احمد ـ وفيها لزوم ما لا يلزم :

ان تجفني لم تلقني لك جافيـا   فلئن هجرت ازرك شوقا حافيـا
فانا بكم في كـل حال واثـق   مهما كتمت الود لم يك خافيا
حيث الوداد عليه كل جوارحـي   جبلت وكان الود منها صافيا

ومنها هذه الابيات ايضا :

ان يمس جسمي من بعادك مسقما   يكن الوصال له طبيبا شافيـا
واذا تعاضل داء هجرك مجهـدا   كان الوصال اذا وصلت معافيـا
فرايت هجرك والوصال كليهمـا   ذا مثبتا وصلا وذلـك نافيـا
ولئن جفا هـذا الزمان واهلـه   فاقـل وصلكـم اراه كافيـا
ناهيك عن فخـر وجدت بقولكم   « سلم عليه لنا سلامـا وافيـا »

واهم ما يمتاز به شعر المترجم انـه كـان تقليديا ، وكذلك كان في الاغراض ، وهي المدح والرثاء والغزل والاخوانيات والخ... الا ان ما يميز شعره خلوه من الابتذال الذي نجده عند عدد كبير من شعراء عصره ، والسبب في ذلك يعود الى انه لم يتخذ الشعر مهنة ، كما اتخذها العدد العديد من رعيل الشعراء آنذاك ، وقد كان يكسب رزقه من مهنة الطب التي زاولها فبرع فيها . ومن الامثلة على هذا الشعر ، هذه الابيات الـتي نقتطفها من قصيدة في مدح الامام علي (رض) ، ويمكن اعتبارهـا نموذجا للمدح الخالص من الابتذال في تلك الفترة :

ظهور المعالي في ظهور النجائـب   ونيل الاماني بعـد طي السباسب
فدع دار ضيم دب فيك اهتضامها   كما دب في الملسوع سم العقارب
احادي السرى رفقـا بمهجة والـه   تناهبها في السير ايدي النجائب
فما لـي الا عظم شوقـي مطيـة   ولا زاد لي غير الدموع السواكـب
وعج بي على اطلال دار عهدتهـا   معاهـد جود يوم بخل السحائب
ديار بهـا كم شيد للمجـد ركنـه   بسمر القنا والماضيات القواضب
ربـوع يمير الوافديـن ربيعهـا   سحائب جود عنـد بذل الرغائـب
مهابـط وحـي اقفـرت وتنكرت   معالمهـا مـن فادحـات المصائـب

ومما تقدم ، يمكنك ان تعرف مدى قوة ومتانـة شعر السيد سليمان . ومن الجدير بالذكر ان مجموعة شعر السيد سليمان لم تطبع ، وهي متفرقة بين الكتب المخطوطة والمطبوعة ، ولا ريب في ان طبع هذه المجموعة يقدم الى الادب العربي خدمة جديرة بالاعتبار .

آثـاره ومؤلفاتـه

وقد ترك السيد سليمان وراءه جملـة مـن الكتب والرسائل الادبية والعلمية والدينية ، الا ان ما يثير الاسف حقا ان تضيع هذه المؤلفات . وفي الكتاب الذي وضعـه السيد داود ـ نجل المترجم ـ عن سيرة والده وما قيـل فيه من شعر ونثر ، ومن مدح ورثاء وتهنئة (٤) ذكر بانـه « اتقن العلم وبرع في الطب والادب ، وصنف في كل فـن وعلم كتابا » . كما ان الشيخ محمد علي اليعقوبي ذكـر في كتابه « البابليات » (٥) ما يفيد بعثوره على رسالـة صغيرة الحجم للمترجم ، اسماها « خلاصة الاعراب » ، وهي مرتبة على مقدمة وفصول اربعة وخاتمة ، ويرجح انه كتبها لبعض تلامذته . ومن الطريف في اخبار المترجم انه كان خطاطا ماهرا ، وسريع الكتابة حتى انه كتب كتابا واحدا لابن طاووس في يوم واحد ٦) .

ولا ريب في ان المترجم كان شاعرا كبير المقام عند شعراء وادباء عصره ، بالاضافة الى السمعة الطيبة الـتي اكتسبها أثناء امتهانه الطب . ان هذا مما يثير الاسف حقا لضياع مؤلفاته الادبية واللغوية والعلمية، ولبقاء شعره موزعا بين بطون الكتب المخطوطة المعرضة للتلف والضياع. على ان اجل ما نقدمه من خدمة للادب العربي ومن انصاف لشاعرنا هو طبع مجموعة شعره المخطوطة ، ودراسـة سيرته وشعره دراسة مسهبة . ونحن لا نفقد الامل في تحقيق هذه الفكرة ، وكل ما نرجوه هو تحقيقها في القريب العاجل (٧) .

الحلـة ـ العـراق   علـي الحسينـي

(١) المزيدية قرية صغيرة تقع الى جنوب الحلة بمسافة . (٢) راجع « الاديب » اب ، (اغسطس) ١٩٥٧ . (٣) لنا دراسة عن هذا الشاعر المنسي سندفع بها للنشر قريبا . (٤) هذا الكتاب مخطوط ، ويقع في (٢٦٠) صفحة ، ويوجد عند احد رجال اسرة آل سليمان في الحلة . (٥) الجزء الاول ص ١٨٨ (٦) نفس المصدر ص ١٨٨ (٧) مصادر البحث : الحصون المنيعة ـ علي آل كاشف الغطاء ـ مخطوط . ـ آل سليمان ـ داود بن سليمان ـ مخطوط . ـ شجرة آل سليمان ـ مرزة بن عباس الحلي ـ مخطوط ـ البابليات ـ محمد علي اليعقوبي ـ النجف . ـ اعيان الشيعة ـ محسن الامين العاملي ـ دمشق . ـ شعراء الحلة ـ علي الخاقاني ـ النجف .

يا ليل اين تنام

٥

يا ليلُ ـ أين تنام ـ حدثني ـ اذا طلع الصباحْ
وتثاءب الافقُ المهوِّمُ ـ حول همهمة الرِّياح
وتلفتت خضرُ الحقول لروعة الفجر الصراح :
ورجعت تبحث ـ في الطيوف البيض حولك ـ عن جراح

* * *

أتُرى لديك ـ وراء آفاق الشروق ـ مدى مراح
يلقاكَ في ولَهٍ ويفرش دربه لك بالاقاح
لتعيش في اغفاءة سكرى باحلامٍ ملاح
حيثُ النجومُ ترشُ في عينيك أطياف السماح

* * *

يا ليل أين تنام ـ هل ضمتك اغوار الكهوف
ورقدت في احنائها في غمرة الصمت المخيف
لتعيش في آفاقه اسطورة لغدٍ طريف
تحكى عن السعلاة والغيلان ، والشبح المخوف

* * *

اني اراك ـ وراء ذرات الشعاع وفي الحقول
شبحاً يطوف مع الاماني الجوف في خدر الذهول
قلقاً يسير مع الظلال ـ بخطوه الواهي الكليل
والحقد في جنبيه .. يأكل روعة النور الجميل

* * *

واذا اطمأن بك الغروب فرحت تحتضن السماء
ومضيت تحلمُ ـ والحياة لديك اطياف وضاء
القيت في الابعاد ما سرقت يداك من الضياء
فاذا بكل شرارة .. عين تحدِّق في الفضاء
لتريك كيف تحنُ للاصباح اشباحُ السناء

العراق ـ النجف — محمد حسين فضل‌الله

قصة عراقية

بقلم منير امير

سأعود من جديد

لم يكن قد استقر في راسي هدف معين حين خرجت من البيت ، فانطلقت اضرب في الشوارع والطرق بوحي اللحظة والرغبة . ثلاثة طرق هنا امامي : ذاك فيه نساء ملتفات بالعبي السود جلسن يثرثرن قرب ابوابهن .. لا .. لن امر به . والثاني اولاد صغار يتراشقون الحجارة والقشور ، وفيه مياه آسنة . لا .. والثالث غارق في شمس ساطعة ملتهبة ، ولكن لا مفر من اختيار احد الثلاثة . فضلت الاخير . لم تكن سقوف المنازل كافية لان تحدث فيئا واسعا يرتاح الانسان عندما يسير فيه ، ولكني مع هذا اخترقته دون ان اشعر بان الشمس ملتهبة كما توقعتها لم اكن قد سخنت بعد . كل ما شعرت به .. بعض الدفء ، وكأني شربت بعض البراندي .. وقادني الزقاق الى شارع طويل .. لم اكلف نفسي معرفة اسمه او مكانه في خارطة بغداد ، او في القطع الخشبية التي تعلق عادة على جانبيه باللغة الانكليزية والعربية . وانا اتعمد تقريبا هذا الاستغراق في عدم الاهتمام ، بدافع نظرية عدم حشو الراس بما لا يهمني كثيرا . الاسماء لا تهمني كثيرا بقدر ما يهمني الشعور الذي ينتابني عندما امر في مكان ما ، والانطباعات التي اجدها في نفسي عندما ارتادواجوب الطرق والشوارع دون تحديد او خطة معينة . وهكذا اصبح بعد دقائق وكأني في تيه .. لا نهاية له .. وينتابني النسيان انسى من انا . انسى ان لي اصدقاء او عائلة او وطنا او دينا او ولعا بالفنون الجميلة . انسى اني اشتغل في بنك . والعجيب في امري اني امحو كل ذكرى او اثر تثيرها في بعض الوجوه والاماكن التي قد امر بها في جولتي المحببة تلك . بل غالبا انسى اني امشي .. وهكذا تصبح الاماكن بالنسبة الي ، اشياء تحيط بي لا غير . مواد خام فقط .. لا علاقة لها بي .. فتلك اشجار خضر . هناك قصر اصفر . بيت فيه سقف مثلث الشكل عتيق ، فتاة سمراء في ملابس حمر . طفلة صغيرة شعرها مجعد في ملابس صفر لامعة وبلون الفلفل . جذوع نخيل طويلة . قار يفور في الشمس . حمار في الظل .. خامل تقوده الغريزة الى احاسيس ملذة حيوانية . وتلك بقرة بلهاء . مقهى معتم فيه جب) عتيق فوق غطائه الخشبي طاسة بلون الذهب .. وفيه ماء الى منتصفه اما ما الذي يعنيني من كل هذه الاشياء ، او الرابطة التي تربطني بها . فلا احاول ان افكر بهما او اوجدها . ولا افسر اي شيء مما حولي .. وقلما اسخر مما يحيط بي رغم ميلي الشديد الى السخرية .. والشمس تزداد حرارة فاشعر بجلدي يحترق وثيابي تتلف ، والعرق يجري على بشرتي ، ووجهي مجعد وعيني نصف مغمضتين ، والشمس تلمع ، والسيارات تغلي وتحرق الاصبع البشري الذي يمتداليهاعفواًاو قصداً .

ومددت بصري في طريق ضيق محاط بالطوب ، انتهى بحصان برتقالي يضرب جسمه بذيله دون انزعاج او سخط ، وقد مد راسه في حفرة فيها تبن . والشمس بدات تخف حدتها ويقل بريقها وتصبح دافئة رائعة .. تضفي على الدور والمزروعات والارض شكلا اقرب ما يكون الى صورةزيتية جيدة التلوين . وتصبح الوجوه العراقية السمر التي تمر امامي بملابسها الشعبية او المدنية ملونة تقرب الى الاحمر الضارب الى السمرة تدعوني الى رسمها في لوحات ..

واصبح ظلي ممتدا امامي .. طويلا هائلا خرافيا . في حركاته سذاجة ادركها انا بسرعة فاضحك عليها . صرت في فسحة كبيرة فيها ساحة مبلطة بالمرمر المربع الشكل ، وهناك الى يساري ثلاثة بيوت متقاربة . اولها مقفل النوافذ والباب . لا اثر فيه لكائن حي . والاوسط تميز بكلب ضخم كان يثبت غباءه في كل لحظة عندما يطارد احد المارة دون سبب او معنى . وكان الباب مفتوحا وبدا في ساحة الدار الغارقة في شمس العصر اولاد صغار يلعبون في ارجوحة خشبية زرقاء اكسبتها الشمس الصفراء المائلة الى اللون البرتقالي لونا خضر جميل . ومررت بجراة ولطف .. فلم اصدم شخصيا بغباء ذلك الكلب الضخم .. حتى صرت بمحاذاة الدار الثالثة . بدت لي اشبه ما تكون بفيلا انيقة . كانت محاطة باخشاب بيضاء مثلثة الراس طويلة . عمودية على سطح الارض ومتوازية فيما بينها . وفوقها ووراءها ازهار حمر عالية .. تلمع بروعة عجيبة وكأنها ازهار من المناطق الاستوائية كما نراها في الافلام الملونة التي تدور حوادث قصتها في جزيرة تاهيتي مثلا او جزر هاوايي وغيرها وكان هناك نخلات منخفضات قصيرة وشجرة جوز هند منتصبة مستقيمة مع اشجار البرتقال ذات الاوراق العميقة الخضرة .. وكل شيء هادىء وملون . وهناك باب من الاسلاك الرفيعة ..

كان هذا الباب مفتوحا تلك المرة . وشابة جذابة واقفة مستندة بحاجز قرب اصيص زهر . كانت تنظر في اتجاهي بشكل فيه اغراء واسترخاء . وتفحصني جيدا : من وجهي حتى حذائي . فلمست في عينيها انجذاب عاطفي عميق . وعلى شفتيها وفي وجهها كله ابتسامة ود وترحيب توسعت وازدهرت عندما قابلتها انا ايضا بابتسامة تكاد تكون عفوية لكنها عكس رد الفعل عندي . وتحرك حاجباها بشكل لا ارادي .. وفتنني وجهها الاسمر . كان بودي ان اقترب منها وابادلها حديثا وديا ، لكني لم اكن لوحدي . كنت مرتبطا بصديق لي مغرم بالمسرح بشكل صادق وعنيف . كان يحدثني — وهو يسير الى جانبي — عن احدى المسرحيات واخراجها والانارة الملونة اللازمة لها .. وعن التمثيل المسرحي والموسيقى التي ترافق فتح الستار . لم يرها صديقي ولم تنظر هي اليه . كأنه لم يكن موجودا بجواري . شعرت للحظات معينة بان صديقي ماكنة تتكلم .. دمية تمشي وتتكلم

ولا ترى شيئاً مما حولها . من جمال طبيعي او نساء يوقظن في النفس حنينا دفينا الى الحب والمتعة .. والى الاشياء المجهولة الاخرى .وهكذا كنت قد مضيت عنها . نادما مستاء وفي نفسي فورة صاخبة تجسمت هي في وسطها .. صامتة هادئة لكنها عنيفة تثيرني بقوة واصرار ..

اين تراها الان .. وانا بمفردي هذه المرة. تائه طاف في الشمس والهواء

ان كلب البيت المجاور قد مضى نابحا وراء رجل عجوز توغل في شارع جانبي نظيف ملىء بالظلال ورائحة اشجار البرتقال ليس بامكانه ان يضايقني حتى ولو لامست ازهار الدار .. الساطعة المتوهجة الحمرة في الشمس .

لم يكن هناك احد . والصمت العذب يملأ انحاء الحديقة الندية الملونة ، ولا شيء يجذب النظر عدا ذلك .. غير عمود ابيض قد تدلى من رأسه المعقوف مصباح حليبي اللون لم يوقد بعد . طفت حول المكان كي اشاهد الحديقة الخلفية الغارقة في الظلال والرطوبة الخفيفة، فلم اشاهد انسانا ولا حيوانا ما . لم استطع ان استنتج كيف لا توجد عصافير تزقزق ، او اطيار ملونة . او فراشات تطير حول الزهور .. في هذا المكان الهادىء الممتع . قلت في نفسي ان الوقت لم يحن بعد ، والشمس لا تزال محرقة في نظر ساكني مثل هذه الدور . سوف تمضي نصف الساعة وتخرج الفتاة في الشمس وتتكىء قرب اصيص الزهر . اتراني استطيع الانتظار انا السريع الملل والضجر ..

وقفت على رصيف الشارع العام لكني لم ارغب في عبوره . وجذب انتباهي عمود كهرباء قريب ، فقررت ان اجلس عنده للراحة والانتظار العاطفي . اتكات بظهري عليه وقد احطت ركبتاي بذراعي ، ووجهتي الدار الشبيهة بالفيلا . كل شيء مريح والهواء صاف عذب ، والعمود يلقي بظله على رأسي وركبتي ويمتد امامي طويلا عبر الساحة السمراء المطلية بالشمس ، وينتهي ببصري الى حديقة الدار .. ورأيت الكلب يعود الى البيت الثاني ويختفي فيه انها لراحة مثيرة اعيشها بكامل حريتي وبهجتي . تحتي منديل نظيف كنت قد فرشته قبل ان اجلس . والتعب اخذ يغادرني بكل بساطة وسهولة . والمنظر الطبيعي الذي امامي يزداد حمرة ورديةوعتمة ونفسي تهدأ اكثر فاكثر .. هدوءا عميقا ايقظ في مشاعر نبيلة مسالمة، وجعلني احترم الفنان الذي استيقظ في اعماقي قويا صارخا ذكيا .. ليزيد صوري وحياتي انسجاما وروعة .. ويدفعني الى الرقي في الذوق والاخلاق .. ثم وجدتني تدريجيا انسى كل شيء .. واصبح في هدوء فيه عاطفة تتحرك الى ذروتها . العواطف ضرورية كالاكل والنوم والماء والتنفس .. والعمل . وفي لحظة اندفعت ناهضا . والمنديل نفضته في الهواء . وتحركت بهدوء وعزم صوب الدار .. هذه المحاولة ستكون الاخيرة . يجب ان ارى شيئا . ان اصنع حدا للانتظار . فاذا وجدتها فساكلمها . واذا سالتني هي عما اريد . فساقول لها اني ابحث عن غرفة للايجار ، اتخذها مرسما ، فانا .. فنان حديث ! وانا اتصور نفسي اقول الجملة الاخيرة بابتسامة خجولة صغيرة .. ومررت بجوار الحاجز الابيض الخشبي . لم يكن هناك احد .. لكني انتبهت لاول مرة الى وجود كراج صغير فيه سيارة خالية . وفي الحديقة ـ وانا ماض في سيري ـ لاحظت شيئا .. فانفعلت بشدة . ثم ابديت امتعاضي (ايتها العجوز البيضاء الطويلة الجامدة) كانت امراة انكليزية عجوز بنظارات بيضاء قرب عربة طفل . ورأتني ـ العجوز ـ فالقت علي نظرات زجاجية جامدة . ثم اخفت رأسها باتجاه الطفل وانحنت عليه . (عليك اللعنة ايتها العجوز الجافة اليابسة .. التالفة) وكدت ادير وجهي واغير اتجاهي مبتعدا حينما لفت انتباهي حركة لون قرب باب الاسلاك المفتوح . انها هي .. رغم اني اراها بشكل جانبي .. كانت رشيقة ايضا مثلما تكون عندما اراها من الامام . بدت لي وكانها تسير بتأن واستسلام للقدر . وفي ملابس فاتحة اللون صغيرة الزخارف . لا كما في تلك المرة : بملابس زرقاء غامقة تميل الى السمرة . أهي اسبانية ام فرنسية . انها ممكن ان تكون عراقية . لكن تلك السمرة ووضع الجسم تلك المرة في اتكائها على الحاجز يجعلها تبدو لي كانها اسبانية . اما الحاجبان والنظرات فتشعرني بان فيها طابعا فرنسيا .. لا ادري لماذا . كيف استطيع التاكد من استنتاجي .. وانا لست خبيرا بنساء العالم بل ولا بنساء العراق نفسه ! اكثر خبرتي لسوء الحظ وحسنه في الارقام والصكوك التجارية والالوان وتناسقها فيما بينها . فنان نقي اضطر ان يشتغل في بنك تجاري كي يحصل على لقمة عيشه ولم تعط له فرصة ليحيا كما يريد ويستمر في تثقيف نفسه بهدوء وحرية . بل وقد حرم من حقه الطبيعي في المرور بتجارب جديدة ضرورية . والبنك اللعين (عندما تريد اجازة تزيد عن اليوم الواحد ، حدد لنا متى تبدأ ومتى تنتهي ، قبل مدة ، كي نرى هل في استطاعتنا ترتيب ذلك في الوقت المطلوب اولا . لا ان تفاجئنا هكذا) : هذا جواب سكرتير البنك تلك المرة التي شعرت فيها برغبة جارفة في السفر .. ولم يستطيعوا ترتيب ذلك الوقت المطلوب . ففقد السفر بعد ذلك قيمته بالنسبة لي . (فنان يعيش في وسط تجاري) : هذه خلاصة حياتي .

ان للمهنة اثرها في حياة الناس وانتاجهم وها هو العالم تطغي عليه صبغة تجارية . فكرة البيع والشراء متوفرة في كل شيء .. حتى في الفنون والزواج والحب . وفكرة النجاح والفشل يؤمن بها اكثر الناس كهدف ومقياس لقيمة الانسان وجهوده طوال حياته . اما بالنسبة لي فما ان اشتغلت في البنك مدة حتى بدات المس في انتاجي بداية تدهور ، وسماجة في الذوق . وطابعا تجاريا . فالتعب الناتج من تركيز الفكر في الارقام والاسماء والعمليات التجارية ، والجلوس المستمر تحت سقف طوال ست ساعات واحيانا اكثر . بل ان امساك القلم المستمر نفسه اصبح يشل العضلات . وصرت عندما امسك بالفرشاة ـ عندما اصبح في البيت وابدا الرسم ـ اشعر بشلل في العضلات . وشلل نفسي : تزهق نفسي فاخرج بسرعة وعصبية محتقرا قيمة الفنون كلها .

ولا يبقى امامي سوى ان امشي واقرع الارض بسخط وانزعاج . ما مصير فنان كهذا .. في هذا العالم الذي يسير بسرعة .. دون عمق . وهنا هذا الحاجز الخشبي الابيض لهذه الدار الذي امامي . انه رمز .. لحاضر . لسياج يفصل بين البساطة والتعقيد. لو اردت ان ادخل فسيطلب مني ان ابرر سبب اجتيازي هذا السياج . ولن يعبأ احد كثير العواطفي الانسانية الخاصة والشابة التي استهوتني هناك . انها ليس بامكانها ـ وهي ماضية في سيرها ـ ان تراني . وبعد برهة (اعطتني ظهرها) ثم اختفت في الدار . ماذا بامكاني ان افعل سوى ان تفرجت عليها بولع . ولم يبق امامي الا ان احث السير مبتعدا . لا . لم ينتابني شعور بالخيبة والفشل كما كنت افرض لو اني تصورت تجربة عاطفية مماثلة لم امر بها . لم ادهش لذلك الوضع.. فاقل اثارة لي تنبهني الى الحقيقة التي تصدم بقسوة .. والتي اعرفها جيدا رغم اني انساهـا او الاغلب اتناساها .

وقفت على رصيف الشارع العام والقيت بصري عبره الى حيث ساحة مستطيلة طويلة غرست فيها شجرة ورد متنوع اللون . والى الرصيف الاخر حيث تلال من التراب من ارض قد حفرت حديثا . لم يعجبني ان افعل اي شيء اخر غير الوقوف هكذا لا رغبة لي في العبور ولا في المشي و.. ولا في البقاء طويلا هكذا ومرت لحظتئذ في ذلك الهدوء سيارة صغيرة الحجم ، وحياني منها صديق اوده . كان يقود عائلته الى مكان ما . حدثته يوما باني لا اود كثيرا اولئك الذين يركبون السيارات الخاصة . (ولكن بيتنا بعيد .. واخي كثير التنقل والاشغال ، ويشارك العائلة في تعلقها بزيارة الاقرباء والاصدقاء!) هكذا عاد الى ذاكرتي قوله لي بصوته الخافت الهادىء . وما دام قد رآني اليوم وابتسم لي وانا في هذه الوقفة التي سيصفها لي بانها (شاعرية : عاطفية حائرة) . ويمازحني بقوله: (انك كنت تبحث عن غرام فانك عاشق جمال . انا ادرى بك من نفسك !) .. ووجدت نفسي اعبر الشارع دون تردد .. وانا ابتسم .

وطات كثبان التراب فارتفعت في قمتها مشرفا ـ امامي وتحتي ـ على شارع هادىء يرتع فيه اولاد وبنات صغار .. في الفيء والصمت . وكدت اهبط باتجاهه .. في حين ارتقت الكثيب امراة نحيفة رشيقة سمراء .. واكبر من ان تصبح زوجة لي مثلا ! نظرت في عينيها فبدا لي انها تتجنب النظر الي وتخشى المرور بجانبي ! ؟ فنفرت منها هابطا الى الشارع الهادىء بطريق كان ملتويا وصاعدا نازلا كله تراب . وما ان وطات قدماي الشارع . حتى تنفست فيه ، وانتابني شعور بان هؤلاء الصغار النظيفين المبتهجين المنطلقين في لعبهم الهادىء ، هم صغار المستقبل ، الذي ستختفي فيه تلك المنازل غير الصحية القريبة من محلتنا .. حيث يلعب الصغار ، العابا مزعجة في الاطيان الوسخة المليئة بالاحجار وشظايا القناني المكسرة .. وتحل محلها في كل مكان بيوت نظيفة وصحية .. تحيطها حدائق يستطيع المرء ان يتنفس فيها هواء طلقا عذبا خاليا من العفونة والميكروبات .

وجدت نفسي امشي بلطف . وابتسم في وجوه الصغار . واقرأ في وجوههم وعيونهم الرغبة النقية في الحركة والود والحياة، واستعدادا للتقدم والرقي وتذوق جميع الفنون الحرة . تمنيت شيئا واحدا وانا اشاهد الغرف النظيفة ونوافذها المطلة على الهواء النقي ، نعم .. تمنيت لو تكون لي ولو غرفة واحدة ـ فقط ـ في هذا الشارع . اذن لرسمت صورا مبهجة تجعل اي انسان مهما بلغت به القسوة ، يكون محبا للجمال ومساعدة الاخرين . بيتنا العتيق .. التراب يتناثر من جوانبه والجرذان تحفر في سقوفه. وهواؤه رطب راكد . لا زهرة ولا وردة ولا اي نبات اخضر او ملون ، وجدران جيرتنا العالية تحجب عنا الهواء وتمنع الشمس في اكثر الاوقات . كم مرة اندفعت الى الانتحار ولم ينقذني منه الا ذلك الحب الخفي الذي يستيقظ في فجاة قبل قتل نفسي بلحظات .. ورغبتي الخفية العميقة الصادقة في رسم اللوحات الملونة الحية . انا اشعر باني انسان نبيل . كل شيء يقف ضده. ولا احد يساعده بما فيه الكفاية : اقاوم الموت والاندحار .. بكل اعصابي ومشاعري . وقد اضطررت ـ لكي اعيش ـ ان اقتل اكثر من نصف قواي الحيوية،شبابي انسانيتي ذوقي الفني ، في عمل رتيب منهك. في البنك : هذه الكلمة التي صرت اشمئز منها .. لما توحيه لي . تلك الغرفة الكبيرة الكئيبة حيث لا شمس ولا هواء طلق ولا نبات ولا سماء طبيعية . ولا حرية ، ولا راحة نفس واعصاب . (سحقا لاماكن التجارة اللعينة هذه .. الى جهنم الرجال التجاريين كلهم .. الرؤوس المليئة بالارقام .. الى جهنم .. الى جهنم)

واستدرت .. والقيت نظرة اخيرة على الشارع . كان يمتد طويلا نظيفا وفي نهايته بدا ذلك الطريق الطويل الذي جئت منه في الشمس . كان قد صار معتما بعض الشيء. والشمس تلون بشحوب جميل اللون ولكنه كئيب ـ قمم منازله العالية فقط . شعرت برغبة في الاجتماع باي انسان يستطيع ان يشاركني احاسيسي ووحشتي العنيفة جعلتني انطلق مهرولا بكل جسمي الهزيل وملابسي البسيطة . كنت بذلك قد اثرت انتباه ولد ممتلىء تراكم لحم الكسل على عظامه اللينة واخذ هذا (الكتلة اللحمية المرحة) يضحك علي . فقلت له : ايها البدين اللعين ...

بدا الطريق امامي دون شمس ، وطويل .. طويل جدا .. ووجدتني اقف طويلا وافكر .. ثم افكر . ماذا بامكاني ان افعل الان؟ ماذا باستطاعتي ان افعل .. سوى ان ابدأ ـ ككل مرة من جديد .

عندئذ مضيت بانفعال عنيف يغلب عليه السخط ، اقدامي تقرع الطريق في صمت عميق كله ثورة . انا اشعر باني قد بدات بدون امل. ولكني مع هذا لست يائسا ابدا . والرجل اليائس : رجل ميت . لكني انا لم امت بعد .. فرغم كل شيء انا لا ازل حيا ، وغدا ستشرق الشمس وساعود من جديد اقطع هذا الطريق الطويل لاراها .

بغداد **منير امير**

مصرع الياسمينة

في جنينتنا ياسمينة
زرعها لنا جدي منذ عشرات السنين
ووهبها أجمل صباحات عمره
حتى كبرت
وآمنت بها الارض
وملأت جو الجنينة عطراً
وأصبحت عشاً للحساسين وعاملات النحل
وملعباً للأنسام الطفلة
وكعبة يحج اليها القمر كل ليل
فيغفو في زهورها على مخدات الطيب
الى أن يستيقظ الفجر ..

★

كانت أسراب الذباب تئز حانقة اذا مرت بها
والروائح النتنة تنسحق على عتبات شذاها
فتئوب مطمورة بخيبة ذليلة ..
والبغاث الذي ألفته ادواح الحديقة
مستنسراً ، أبداً ،
أجزعه وجودها الخيِّر
فابتلعته أشداق العدم ..
وجمرات الجفاف التي كانت تعيش
في شقوق الارض ،
أطفأها ندى ياسمينتنا ..
فغدت جنينتنا مرجاً
من الحب .. والجمال .. والخير ..

وفي ليلة رهيبة من ليالي صيف
وبينما كانت الياسمينة سكرى بأحلامها
يقبل النوم عينيها ،
تسلَّل الى الجنينة أشرار
فتوجهوا بسكاكينهم العتيقة الصدئة
نحو الجذع الحي الشامخ
وأوسعوا رقبته حزّاً
حتى تقطّعت شرايينه
فسقط ..
والنسغ يدلقه كل عرق منه ...

★

وفاق الصباح
فجاءت الحساسين
وأقبل النحل
وتمطّت الاعشاب
تبغي كلها كؤوس الطل ..
ولكن .. لم تكن هناك الا جثة ياسمينة
ووفد القمر في الليل كعادته
وعندما لم يجد رفيقته
سأل النسيم عن سر التلاشي
وهو ينظر آثار الجريمة...
فاشرأبت شوكة قريبة لم تنم بعد
وأجابت :
لقد كانت عنصر فساد وفوضى
في الجنينة الآمنة ! ..

سوريا ـ ضهر صفرا — **غسان طربيه**

مكتبة الاديب

التراث الروحي للتصوف الاسلامي في مصر

لمحمد عبد المنعم خفاجي ـ ٢٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة دار العهد الجديد بالقاهرة

●

ليس هناك ما هو ادعى للغبطة من ان يرى الباحثون في مجال معين من الدراسات ، باحثا يكشف لهم عن نواح مغمورة من مجالهم ، ويسد فراغا ظاهرا في دراساتهم .

وقد عهدنا في الاستاذ الاديب محمد عبد المنعم خفاجي سبقه الى دراسة كل ما هو جديد وطريف ، في ميدان الادب العربي ، والدراسات العربية الاسلامية ، فهو يتخير لدراساته دائما موضوعات جديدة كل الجدة ، طريفة كل الطرافة ، ويحاول جاهدا الكشف عن مفاخر التراث العربي الاسلامي على اختلاف موضوعاته .

ويعلم الله كم كان سروري كبيرا حينما علمت بان الاستاذ خفاجي يعد كتابا جامعا عن تاريخ التصوف في مصر ، منذ نشأته الى العصر الحاضر ، ولكني ، في نفس الوقت ، اشفقت على الاستاذ خفاجي من الخوض في مثل هذا الموضوع ، لعلمي بما يحتاجه تاريخ التصوف من صبر وجلد ، وتدقيق في فهم ما يديره الصوفية بينهم من اصطلاحات وما يتداولونه في كتبهم من اشارات ، هذا فضلا عن صعوبة المرجع ، ولان الموضوع ـ كما حدده الاستاذ خفاجي لنفسه ، متشعب الجوانب ، وقد لا يقدر على جمع اطرافه جماعة من الباحثين ، فما بالك بواحد ؟

ولكني ، وبعد ان صدر كتاب « التراث الروحي للتصوف الاسلامي في مصر » ، رأيت كيف اتصف مؤلفه الاستاذ خفاجي بالصبر والجلد على معالجة بحوث التصوف ، والى أي حد تفرغ للبحث ، غير ناظر الى شيء فيما وراء « العلم لذاته » ، وتحول اشفاقي الى اعجاب شديد ، وقلت لنفسي : اضاف الاستاذ خفاجي الى العلم جديدا ، والى المهتمين بدراسات التصوف مادة خصبة ، ومهد الطريق امام كل باحث مهتم بتاريخ مصر الثقافي ، منذ الفتح الاسلامي الى العصر الحاضر .

ويتناول كتاب « التراث الروحي للتصوف في مصر » اعلام الصوفية في مصر على اختلاف طبقاتهم ، ويبدأ الكتاب بمقدمة يثبت فيها الاستاذ المؤلف قيمة التراث الروحي واهميته في تاريخ مصر الوطني والسياسي ، ويبين بوجه عام كيف ان اعلام الصوفية قاوموا الطغيان وانتصروا للشعب في محنته ، وكافحوا الاستعمار الصليبي والتركي والفرنسي والانجليزي ، لما كافحوا ظلم المماليك وطغيانهم ، وكيف انهم قوموا الشباب المصري في مختلف العصور ، واعدوه لحمل رسالته الوطنية والعربية والاسلامية لخير العروبة والاسلام ، وما الى ذلك مما يتعلق بمشاركة الصوفية في جميع نواحي الاصلاح الدينية والاجتماعية والسياسية ، ويظهرنا الاستاذ المؤلف على امثلة كثيرة لهذا ، ويؤيد اقواله في هذا الشان بنصوص كثيرة ، من مراجع لها اعتبارها .

ويظهرنا المؤلف كذلك على فضل الصوفية في النهضة السياسية في البلاد العربية الاخرى ، فيتناول مثلا اهمية الحركة السنوسية في ليبيا وفضلها في مناهضة الاستعمار الايطالي والفرنسي ، ويذكر غير السنوسية من الطرق : النقشبندية ، والكتانية ، ويبين جهودها ، في مقاومة الاستعمار على اختلاف صوره .

ويطلعنا المؤلف ايضا على ان الحركات التجديدية الفكرية انما كانت أثرا للتصوف الاسلامي ولجهود الصوفية الضخمة ، ونوه بجهود الغزالي وابن عربي وغيرهما في هذا الصدد .

ولم يقتصر الاستاذ خفاجي على هذا بل تعداه الى بيان أثر التصوف الاسلامي في اوروبا .

هذا ، وتعرض الاستاذ خفاجي الى خصوم التصوف ، وبين خطأهم في فهم روح الاسلام ورسالته في عبارات قوية ، كما اوضح احتياج مجتمعنا الحالي الى صوفية الاسلام وروحانيته العميقة .

ومهد الاستاذ خفاجي لكتابه بالحديث عن الفتح الاسلامي وهجرة كثير من الصحابة والتابعين والقبائل العربية الى مصر واثر هذا كله في نشوء حركة الزهد والتصوف في مصر ، وذكر طائفة من اعلام الزهاد في القرن الاول الهجري كانت مجهولة في تاريخ الصوفية ، كسليم بن عنتر التجيبي وابي تميم المصري وعبد الرحمن بن حجيرة المصري ، وابي الخير الحميري ، ومكحول ، ونافع مولى ابن عمر .

وبعد هذا يعرض الاستاذ المؤلف لصوفية القرون التالية في مصر ، فلا يكاد يترك صوفيا او زاهدا الا ذكره ، ولم يقتصر على هذا ، بل اضاف الى جملة الصوفية والزهاد ، جماعة من الفقهاء المشتغلين بالعلم والمعروفين بالزهد والصلاح والتقوى ، وقد يرى البعض غير ما يراه الاستاذ خفاجي فيما يتعلق بوصف هؤلاء بالتصوف ، بمعناه الاصطلاحي .

ويبرز المؤلف خصائص القرن الثالث قائلا اننا نجد فيه فلسفة صوفية كاملة في مصر ، لا تكتفي بالبساطة والتعبير عن مشاهدات النفس واحوالها ومقاماتها ، وانما تأخذ في فلسفة التصوف والنظر اليه على انه فلسفة روحية وفكرية ، واستشهد الاستاذ خفاجي على فكرته بدراسة خاصة لذي النون المصري تبين مدى تطور التصوف في ذلك العصر .

ولم يغفل الاستاذ فيما ذكره بعد ذلك ، من تصوف القرون التالية ، الابانة عن الصلات التي يمكن ان تكون موجودة بينها وبين تصوف غير المصريين ، وعلى الاخص تصوف صوفية العراق ، امثال الجنيد ، وبشر الحلفي ، والشبلي ، والكرخي ، والسقطي ، والمحاسبي ، والبساطمى ، والحلاج وغيرهم . كما وضح أثر تصوف الغزالي فيما بعد تصوف المصريين .

وذكر المؤلف فيما ذكر صوفية القرن السادس الهجري ، ومن ابرزهم عبد الرحيم القنائي المصري ، وتحدث في افاضة عن الخانقاه او بيوت الصوفية ، وظهورها بمصر ، وتاريخ تطورها .

فاذا كنا في القرن السابع ، نجد الاستاذ خفاجي يعني بتقسيم الصوفية فيه الى طبقات ، وهو تقسيم منهجي دقيق ، كما عرض لدور ابي الحسن الشاذلي والعلماء في الحروب الصليبية ، وتحدث كذلك عن ابن الفارض ، والبوصيري ، وعز الدين بن عبد السلام ، وابن رفيق العيد ، والشاذلي ، والمرسي ، وابن عطاءالله السكندري ، والصباغ ، والبدوي ، والاقصري وغيرهم .

وبعد ذلك يدرس المؤلف طبقات الصوفية من القرن الثامن الى القرن الرابع عشر . ويطول بنا الحديث لو ذكرنا الشخصيات الصوفية التي ترجم لها واظهر اهميتها الخاصة ، وكثير منها كان مجهولا او في حكم المجهول .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان المؤلف قد عرض للصلة بين علماء الازهر والتصوف ، واظهرنا على ان الفروق بين التصوف والشريعة لم تكن موجودة ، عند علماء الازهر ـ وعلى الاخص منذ القرن الحادي عشر

الى مستهل القرن الحالي ، لان هؤلاء العلماء كانوا يجمعون بين العلم الشرعي والتربية الروحية على طريق التصوف ، وكثير من الصوفية كانوا علماء ، كما الف كثير من علماء الازهر في التصوف ، وقد عني اولئك وهؤلاء بتدريس التصوف في مجالسهم الخاصة ، وفي الازهرذاته

وفي الكتاب احصائيات دقيقة عن الطرق الصوفية الموجودة بمصر حاليا ، وبغيرها من البلدان ايضا ، وفيها تراجم لها قيمتها لكثير من صوفية مصر المعاصرين ، الذين لم يعن احد ، فيما نعلم ، غير الاستاذ خفاجي بالترجمة لهم ، وتقصي اخبارهم ، وبذلك قدم الاستاذ خفاجي ، في تواضع جم ، مادة خصبة سائغة لدارسي التصوف وفلسفته .

ونرجو الاستاذ خفاجي ان يواصل مجهوده في نفس الميدان - اعني ميدان الدراسات الصوفية - وعسى الا يشغله ما يحول بينه وبين ارتياد هذا الميدان مرة اخرى ، استغفر الله ، بل مرات ، ففي ارتياده له فائدة محققة للتصوف وللمشتغلين به .

أبو الوفا الغنيمي التفتازاني
مدرسة الفلسفة الاسلامية والتصوف
بكلية الاداب بجامعة القاهرة

غيـــوب

لجورج رجي - مجموعة شعريـــة - ٩٦ صفحة - الغلاف والرســـوم والعناوين بريشة بيار صادق - [لم يذكر اسم المطبعة]

●

ست عشرة قصيدة ومقدمة ، واكثر من عشر صور ، ومثلها عناوين وخطوط ، مع مئات الكلمات ، مئات الجروح ، الف لون وقافية ، عدد من الزهور ، صف لامتناه من قامات حسان وقامات جبال ، واوزان تتقطع كانها تعلمك القفز الرشيق من جمال الى جمال ..

ماذا ايضا !

لست ادري كيف قرأت « غيوب » ولم انس في قراءتي عـــدد الصور وربما السطور ..

فكل ما في الكتاب ثمين ،

انه قضية من قضايا العصر ومشكلة من مشاكل شبابه .. لن يرى فيه احد نهجا معروفا باسم مدرسة شعرية معينة .

لن يعترف به المحافظون .

وسوف يبقى الكتاب حائرا بين ايدي الشباب ينفعل معهم ، ينفعل بحبهم ، يرشق بالزنبق صدورهم ويجرح ايديهم بشوك من الحب !

لقد اصغيت الى قصيدة « غيوب » سمعتها تتمتم ، تبتهل ، وفي خدر تقول :

مـرتمـي
هـم الجمال
منـه ..
نشـوان الحـــال
ولـــه
والمنتهـــى غيـــب
يغنيـــه انشغـــال
نغـــم أبهـــى
نجيـــاء
تعـــر
وانفصـــــال
وتمـــــن
والفـــواء الحـب
أشجـاه ابتهـــال
الاغـــانـي
جنـــون
هـــب
مـرنـوم الســؤال
الهيـــات
فوحهـــا الابعـــاد
يفـواهـــا الخيـــال
وانـوجـاع اللحـــن ..
هـــاو ..
حـيرة الحب احتمـــال
يـرتخـي ...
والسعد سكران
واوهـــام الوصـــال
متعـب الصـوب
وآه الوجـــد
تـــواق النـــوال
وجـع اللامنتهـــى
غيـــا
وبالتيـــه انحـــلال
حـلـمـــا
اطروبـة الارحـاب
فلتـــات الـــدلال

الكلمة عند جورج هي القصيدة ، هي الوزن .. المعنى .. الاسلوب المدرسة !

العبارة المسلوخة التي تذبح صفحة كاملة ..

حروف ثلاثة ربما في كلمة واحدة ، ويعطيك الرجي ما يعد به اكبر الشعراء في أكبر قصيدة .

كل شيء موقع على هذا النغم ..

كل شيء يعيش ثورة صامتة ، لا ضجة فيها ..

قصائد الكتاب ، بث مبحوح ، يغص وهويطربك ، يمسك بخبث طيب ناعم ، فيشعرك جورج رجي انه يقتل شيئا من اجلك او يخنقـــه حتى لا تسمع صوتا يصيح من شدة الموت !

لكنك لا تعانيه ، او لا تقاسي ما يريد لك ان تقاسيه صاحب «غيوب»

كل ما عنده جميل ، في غاية الجمال والروعة ، ينسكب امامك في قالب من رخام ، او يعلق في جوك كتنف شفافة صافية من غيم ابيض يسحب خيالك وراءه وينقيه حتى يصفو ..

اما ما ينقص هذا الرخام ، فهو اللهب الاحمر في عروقه الزرقاء ،

وما ينقص القارىء مع غيوب هو ان يتنازل عن ارستقراطيته في احساسه وتأثره .

ينقصه نبش مطمور الاحاسيس التي قد لا يعلنها ويصرخ بهـــا جورج رجي ..

ليس الخطأ خطأ الشاعر ، طالما القارىء معه ، وليس خطأ القارىء اذا كان قلبه صعبا ، بل ان الخطأ في ألا افضح القارىء في هذا المقال وهو الذي قد لا يستهويه الا النغم ، ويقبل الشعر اذا كان مطابقا للتعاليم المدرسية التي تلقنها .

لا الوم الشاعر لانه اعطى جديدا

لا اعاتبه على العاطفة اذا لم تكن في متناول آية نفسية ، او لانهذه العاطفة مختبئة في غلالات شعرية تكاد تبدو غالبة .. غائمة .

بل احبه من اجلها ، وارجو النجـاح لقضية الشباب ، الذيـن يحتمون في كل عصر مفترق الطريق ..

واحد منهم هو جورج رجي يكتب بوحيه واحساسه واسلوبـه مساهما في حركة ادبية تقرر مصير لبنان بالنسبة الى الاداب والفنون .

واحد من هؤلاء ـ الذين لا يخلو منهم جيل ـ هو شاعر «غيوب» الذي له عاطفته ومشكلته وآماله والامه يضعه في يد كل انسان وقلبه وعروقه ، باسلوب من صميمه ووجدانه وواقعه ، ليكون انسانا هو الاخر متفوقا جميلا سعيدا شقيا ، كل ايمانه في حياة تتقطع ، ككلمات قصائده ومواقع اوزانه وقوافيه .

ريمـون عقـل

اثنـان + صفـر = ثلاثـة

لنهاد رضا ـ قصة ـ ١٦٣ صفحة ـ مطبعة الشرق ، حلب

●

ليس ثمة اقتل للفن من الغاية الموجهة يتغياها الفنان . وما اشبه العمل الفني الموجه بالجنين المجهض في اشهره الاخيرة ، الذي اذا استوت له الخلقة من راس وجذع واطراف ، اعوزه النابض والحرارة والحس ، وبغير الروح لا تستقيم لمخلوق حياة . لقد قتلوا الفن عندما « وجهوه » من حيث ينبغي ان يحمل الفن غاياته من « داخلـه » ؛ ان ينفعل بها، فيصوغها فنا سائغانضيرا بعيدا عن الافتعال والتحميل والتزوير

ان بين يدينا قصة .. تنبي سطورها بموهبة مبشرة ، ولكن عبث بها «التسخير» الموجه فافسد جوهاوحشر في تضاعيفها تشهيرامفضوحا.. ولوح بالعصا تهبط على الرؤوس !

والقصة في عشرين فصلا ، تقع حوادثها في « باريس » ، خلا فصل او فصلين يقعان في عاصمة « اشمونيا » احدى الدويلات الشرقية !

تنفتح لنا القصة عن « روجيه دوبوا » ـ رئيس قسم العلاقات التجارية الخارجية لشركة تنتج وتصدر المنسوجات لبلدان مختلفـة ولاشمونيا ـ وهو يعبر ساحة الاوبرا في طريقه الى القنصلية الاشمونية . ان ثمة معضلة عليه حلها ؛ لقد برز في اشمونيا « وكيلان » للشركـة يتناحران ، والشركة في حرج لا ينجيها منه الا مسعى رجال القنصلية .

ويتعرف روجيه بـ « وليد المنتصر » المستخدم المحلي في القنصلية فينصحه باللجوء الى « رامي السعودي » القنصل المعاون ، فهو خير من يحل المعضلة لتنفذه في الدولة الاشمونية بسبب من صلة قرابـة بينه وبين تاجر فيها ذي نفوذ بعيد . ويعد « رامي » السيد روجيه بانهاء المعضلة على خير وجه . الا ان وليد يلفت بعد ذلك نظر روجيه الى ان هذه الالفاظ المعسولة لا تجدي اذا لم تدعمها وسيلة مضمونـة النتيجة ؛ ان رامي متوله بحب « فرانسواز ريممي » الفتاة الفقيـرة الحلوة المستعصية ؛ فاذا انيل منها وطره وجدت المعضلة فـي الحال حلها المرتجى .

وبينما تكون فرانسواز في بيتها تفكر بالبطالة التي توشك ان تلتهم حياتها ، يصلها خطاب من روجيه يستدعيها للعمل لديه . ولما تغـدو مستخدمة في الشركة ، يصحب وليد راميا لبحث معضلة الوكيلين مـع روجيه . وهنا ، يلتقي رامي بفرانسواز ، فيسر لذلك ، ويضرب معهـا موعدا ، ويعقد على وجودها في الشركة امله الكبير . ثم يكتب الى قريبه التاجر المتنفذ في اشمونيا ، فيحل له المعضلة .. ولـكن فرنسـواز ـ المعضلة الاخرى ـ تظل عصية عليه ، وتخطب لـ « اندريه » زميلها في الشركة .

ذلك هو الخط العريض للقصة . وما كان اروعه تجلبب بالفـن الاصيل رداء يشف عما تحته من نقد ! الا ان المؤلف عمد الى بث عواطف النقمة على بعض الابطال ؛ فحقرهم ، وهزىء بهم ، ونال منهم كما لم ينل مؤلف من بطل . ونحن الذين قرانا القصة قراءة الممعن ، نشك ان احد شخوصها ـ وليد المنتصر ـ لم يستمد نسغه من حيـاة المؤلف . ومن هنا ، كانت القصة لا تخلو من واقع .. ولكنه واقـع غير مهذب (1).

في القصة نقد من وليد على سائر الابطال . نقمة عنيفة جائحة بلغت حد الولوغ . فاذا كان المؤلف ، اعني وليد ، صاحب فلسفة يطمح الى ان تلامس قلوب قرائه فيشاطرونه فيها المعتقد ؛ فعليه بطريـق الفن ، فانه بالغ به غايته التي يصبو . وكلما تسامى في فنه ، نفـذ بفكرته الى الافئدة فتجاوبت معه النفوس . اما ان يجنح الى ما تتخذه الصحافة السياسية لها دينا ، من سب وتجريح ، فذلك ليس من الفن الذي تنطاع له الغاية .

والمؤلف ضيق بنقمته ، يريدها ان تنفثىء فيستريح . وهـو لا يكتفي بان يجريها على السنة ابطاله ، وانما يتدخل بنفسه ، في المـرة بعد الاخرى ، لينفث شيئا من هذه النقمة .

استمع اليه يقول في السياق : ان رامي « ليس الوحيد الـذي يتسلق سلم الادارة ، في ظروف بلاده الخاصة ، بحركة بهلوانية وبمساعي قريب قوي مقتدر . لقد تقدم اكثرهم بصورة مشبوهة . هذا لانه مـن اسرة كبيرة تعمل كعصابة متكاتفة ، في مجتمع يزهق الاكثرية التيتخوض معركة الحياة بصورة فردية ، وذلك لانه ابن نائب سليط اللسان ينتـج الكلام المعطر ، وذلك لانه قريب مهرب او محتكر بيده مقادير البلاد ، او نسيب سياسي محترف اختار لنفسه ان يكون اجيرا مطيعا لجميع الفئات الخبيثة وذنبا قذرا لكل خنزير كريه ... » !!! (الصفحة ٢٣) او وهـو

(1) للواقعية معنيان : واقعية بالمعنى الحرفي ، وهي النقل عـن الواقع كما هو ، وتلك يتوخاها المؤرخ والاجتماعي والصحفي .. وواقعية فنية ، ويتوخاها الشاعر والقاص ، وهي النقل .. ولكن مع التهذيب الجمـالي .

يقول : « لما كان روجيه طيب القلب نقي النفس جاهلا بالوعود البخورية والشراك العنكبوتية ، اطمأن الى كلام المهرج وصدق وعوده .» (ص٢٨).

ان هذه العاطفة الجامحة لتشي بالجذور الواقعية ـ بالمفهوم الحرفي ـ للقصة ، حيث وجدت لها على صفحاتها متنفسا وأي متنفس . وكأننا بها ما وضعت الا تنفيسا عن الكربة (٢)... وما ذلك بالعمل الفني في شيء!

لسنا نشك في ان المجتمع الذي نعيش فيه لا يخلو من حيف وجور ومن فئات سيئة تنغل فيه . وعلى الاديب ـ لكونه ابن المجتمع ولانه فنان صاحب رسالة ـ ان يبين مواطن الزلل ، ولكن في رفق الانسان ذي القلب الكبير .. يعرض لنا السيئات ، ويدعنا نقترح الحلول في وحي من عرضه الفني المنساب . الطبيب لا يحتقر المريض ، ولكن يرشده ! والاديب لا « يسب » السيىء ، وانما يرثي له ويهديه سواء السبيل ، وما ذلك الا لان الاديب : انسان ، رسول ، ذو قلب كبير ... ولئن انحرفت الصحافة ـ وهي ضرب من الادب على كل حال ـ عن جادة الاصلاح وهداية الخبيثين من الناس ، وهبطت الى مستوى السب والترذيل ، فالاولى بالفنان ، ذي القلب الكبير ، الا يجاريها . اننا نبكي على ذلك الضرب من الادب الذي مات ، ولا نريد ان نبكي على الفن ان نسج على ذات المنوال !

ولقد انقسم ابطال القصة الى فئتين : وليد وروجيه يمثلان الناقمين على الفساد ، ورامي والمستشار والقنصل وسائر موظفي القنصلية الراتعين في بحبوحة من الفساد . وليس لاي من الابطال الا ان يكون فاسدا او ناقما ، فاختلطت بذلك شخوص كل فئة بعضها ببعض ، وغدت نماذج متشابهة في الافكار والسمات جميعا .

وقد رأينا المؤلف ـ حتى المؤلف ، الذي يفترض فيه ان يدع ابطاله يصولون في الاحداث ـ لا يملك الا ان ينضم في احتدام القصة الى فئة الناقمين ، فيخل بذلك ببدهية الحياد الذي ينبغي ان يتسم به مؤلف القصة عادة . ولنستمع اليه وهو يقول : « لما كان وليد معتادا على هذه الشاكسات الصبيانية فانه اكتفى بنظرة استخفاف ، الا ان هذه النظرة كانت كافية للتعبير عما يشعر به في قرارة نفسه من ازدراء شديد لهذا الفار الحقير ، وامثاله من الجرذان النتنة . وكان يعرف جيدا خبيئة نفس هذا الموظف الوقح ...» (١١٦) ان كان البطل فارا حقيرا ، او جرذا نتنا ، او مواطنا قذرا .. فلا تقل لنا ـ يا ايها المؤلف ـ ذلك ! انت بين لنا حقيقة تصرفه ، ودعنا نحكم عليه بانفسنا بالحقارة والنتانة والقذارة وما شئت من اوصاف ... كن موحيا ، ولا تكن صريحا ، فذلك ما يحتمه الفن الاصيل .

والحوار في القصة لا يخلو من رشاقة في بعض المواقف . الا انه في بعضها الاخر ينقلب الى « خطبة » تمتد في نفس طويل . يلتقي وليد وروجيه في « مقهى السلام » ليتبادلا حديثا ، فلا يلبث ان ينبري وليد ملقيا على جليسه « محاضرة » في احوال فرنسا تستغرق من القصة صفحتين « يدرس » فيها البلد من النواحي : البشرية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والفكرية ، ثم يختم دراسته بتكهنه عما ستصير اليه البلد في مقبل الايام . وهذه « المحاضرة » ، وان كانت لا تخلو من دقة واخلاص ، الا انها لا تلقى ضمن « حوار » قصصي (٣) .

ويمتاز اسلوب المؤلف في استعراض الحوادث بالرشاقة . وقد احتفظ لنفسه بموقف « الراصد » وراح يسلط الاضواء على ابطاله . أما العبارة فسهلة هينة الى اقصى حد اقرب الى عبارة الصحافة اليومية ، وهي لذلك لا تمتع .

ولعل خير ما ضمت الفصول من حوار سليم وحادثة سائغة ، الفصل المرسوم بـ « فارس الفن والغرام » ، فقد كان في الحق نموذجا يمثل امكانات المؤلف الفنية المختزلة . اما خير شخوصه على الاطلاق ، فهو : « جاك » آذن القنصلية ، فقد برئت هذه الشخصية من القسر والافتعال ، فجاءت انسانية صادقة ممتعة .. يدخل روجيه الى القنصلية فيجد نفسه امام رأس ضخم مستدير ووجه فيه عينان جامدتان شاحبتان خنقهما دخان التبغ المحترق في غليون أثري .

ـ نهارك سعيد ، يا سيد .

فرفع الاذن رأسه بحركة متثاقلة . ثم رد التحية بصوت خافت .

ـ هل حضر القنصل ؟

ـ لم يحضر .

ـ امر غريب . انقضت ساعة على موعد الدوام .

ـ ساعة او ساعتان .. قلت لك : لم يحضر ..

ويبدي روجيه الاستياء من هذا الاهمال ! فيرد عليه الاذن بمنطق فكاهي يبرر تغيب رئيسه ... وعندما يعود روجيه الى استيائه من جديد ، يقول له الاذن :

ـ وماذا تريدني ان افعل لك يا سيدي ؟ تعلم الصبر .

ويعود الى غليونه القديم يفركه ويرسل منه الدخان ! (٤)

ذلك رأينا في القصة . وقد ترددنا قبل ان نعلنه . ولكن المؤلف من حلب ، ونحن حريصون على ان نكتب في آثار ادباء الشهباء الذين يشقون طريقهم في دنيا الادب ولا يلقون ممن حولهم التشجيع الدافع . وان في هذه القصة لجذور موهبة واعدة . وانما رمينا من نقدنا الى ان ننبه الاديب نهاد رضا الى عثرات لا يسلم منها القلم الجديد ـ وهذه القصة اول ما خط يراعه في هذا اللون من الادب ـ فلعله يتحلل منها في أثره المقبل فيسير فيه على رسله مخلصا للطبيعة والسلاسة والانسانية .

والى الاستاذ نهاد رضا ، في باريس ، السلام .

حلب **فاضل السباعي**

من الاصدقاء

حب في الظلام

لغالب عبد الرزاق ـ ١٦ صفحة ـ مطبعة العراق الحديث ببغداد

●

شيئان في بداية القصة نلمسهما ، اولهما اتباع اسلوب طه حسين في البداية وثانيهما كون البطل اعمى ، ولكن القصة تختلف عن ايام عميد الادب في عدة نواح بالطبع ، وقد نجح كاتبها في تبيين تأثير الحب على شخص فقد الثقة بنفسه لانه اعمى ... وتمضي ـ كقارىء ـ مع صفحات القصة معجبا بمجراها الطبيعي ولكن يصدمك شيء فيها وقد يعكر عليك صفوك وهو محاولة المؤلف بث افكاره الخاصة باسلوب تقريري تحس بانه ادخل قسرا (ص ٩ ، ١٠) اما النهاية فقد جاءت طبيعية وهي تحدث في بعض الاحيان عند ذوي العاهات من امثال (احمد) ممن فقدوا طواعيتهم للحياة فيحسون بانها غير جديرة بأن تحيا ... ينتحر البطل لمعاكسة الاقدار وابيه له في حبه لانه احس « ان لكل جزء في الحياة عملا يجب عليه اداؤه » فما دام قد فقد قابليته للعمل المثمر واصابته النكبات فان تفكيره (المنطقي) يقضي عليه بالابتعاد عن هذه الحياة .. وهكذا فعل .

وينبغي علي ان اقول ـ من باب التعليق لا اكثر ـ انه ليس كل تفكير منطقي يؤدي بالمفكر الى تنفيذه لاختلاف المنطق في احيان كثيرة

---

(٢) تراجع هذه الصفحات بخاصة: ٣١ ، ٧٤ ، ١٠٩ ، ١١٩ ، ١٣٩ ـ ١٤٤

(٣) يبدو ان روجيه قد اصابته عدوى المحاضرة ، فاذا هو يستطرد و « يقص » على جليسه حكاية امرأة دخلت المقهى ، وتمتد القصة صفحتين اخريين . لله در البطلين ما أطول باليهما !

(٤) الفصل الاول . ولجاك الاذن موقف ثان صادق في الفصل العاشر .

عن الواقع وليس كل انسان من ذوي العاهات يفشل في الحب فشلا يؤدي به الى التخلص من الحياة بل ان هنالك من يسمو ويحاول الصعود على اكتاف مركب نقصه فيبدع ويفيد نفسه والبشرية بما يقدمه لها . وختاما اهنىء المؤلف ونحن بارتقاب انتاجه الثاني .

بغداد — باسم حمودي

الاوراق الملونة

لجاسم محمد الجوي ـ مجموعة قصص ـ ٨٠ صفحة ـ
مطبعة سلمان الاعظمي ببغداد

●

لا شيء احب الى نفسي من قراءة الانتاج القصصي العراقي . ذلك انني اشعر شعورا داخليا عميقا لا استطيع ان افسره واحدده تماما ، بان ثمة ـ شيء ـ يرقد تحت سطور القصة العراقية ، ثمة ـ نسغ ـ حار ، يمد هذه القصة بالحياة المرعة الخصبة الرائعة .. ربما كان هذا الشيء هو الذي يميز القصة العراقية عن غيرها ، هو الذي يرفع القارىء الى الاعجاب بهذه القصة ذات العمر القصير ..

ولعل هذا الشعور الذي يرافقني عند قراءة القصة العراقية ، هو الذي يلح علي بقراءة كل انتاج جديد فيها ، وهكذا وقع في يدي كتاب ـ الاوراق الملونة ـ للاديب جاسم الجوي فلم البث ان رميت الرواية اللطيفة التي كنت اقرأها لاتفرغ لقراءة هذا الاثر القصصي العراقي الجديد .. ثم لامسك القلم واتحدث الى القراء عنه ، حديثا اود منهم ان لا يدرجوه تحت اسم النقد ، وان لا يضعوه في ميزانه اذ انني لم استخرج من فكري ـ مقاييس نقدية ـ فاحاول ان اطبقها على الاثر .. انني لا اعمد في النقد الى عناصر محددة معروفة للقصة واروح ابحث بين سطور القصة عن مدى تطبيقها كلها .. ولكني اتحدث عن احساسي الخاص ، شعوري ، مدى توفيق المؤلف في نقل تجربته الى... ترى هل استطيع ..

في قصة ـ سؤال وضوء نيون وزيتونة ـ اجد نفسي امام بطل يحس احساسا ـ مغثيا ـ على حد تعبير الوجوديين ، بسخافة وجوده ، واستمع اليه وهو يصرخ من هوة القلق التي وقع فيها ـ اضواء النيون ... انها كحياتي تسري ببلاهة في كلمات تنطفىء ، ثم يبتلعها الفراغ ـ واراه وهو يجلس في المقهى ـ كأنه نقطة احرف في اضواء النيون ـ .. ولكني بعد ان عرفت مدى الضياع الذي ياكل قلب هذا ـ البطل ـ لا ادري كيف يقول بعد ذلك ـ احس بارتياح للضياع .

لقد كانت الصورة التي قدمها لنا المؤلف عن هذا ـ البطل ـ صورة دقيقة ، تنم عن تجربة وحياة الا اننا لا يمكن ان نربط بين شخصية البطل الاولى التي تمتاز بالقلق والضياع والحياة الميكانيكية التافهة الشبيهة باضواء النيون ، لا يمكن ان نربط بين هذه الصورة وبين ـ انقلابه ـ الفجائي الذي حدث في اخر ثلاثة سطور من القصة ، بمجرد انه شاهد بعض ـ الوجوه الطيبة ـ ان الشخص ، أي شخص لا يمكن ان ينقلب روحيا بهذه السرعة على المؤلف في هذه الحالة ان يمسك ببطله هذا ويطوره روحيا ، ان يصدمه بمواقف حياتية تكشف زيف معتقداته الاولى.

اما في قصة ـ صغير وعربة ـ فانا امام حركة دائبة . وفي جو عالي . اكاد انتسم من بين السطور رائحة العرق والتراب ، ولكن آفة هذه القصة هي في اعتقادي ـ الفكرة السابقة ـ فحميد ، هذا العامل الصغير يسهر الليل مع والده ليبيع اللبن ، ويعمل طول النهار باجهاد ، انني اتصور أي جسد متعب منهوك مرهق تستقر فيه روحه الصغيرة..

ولكن المؤلف يريد ان يمحو هذا ـ التصور ـ من راسي فيقدمه لي ـ اخيلا ـ جديدا ، يدفع عربة مليئة بالاسمنت المسلح ، يعجز اكبر العمال عن زحزحتها .. هذا مع العلم ان امه لم تفسله بالماء المقدس كما فعلت والدة ـ اخيل ـ في الالياذة .. واعتقد ان المؤلف لم يفعل ذلك الا تطمينا لفكرته السابقة . اضحكني في هذه القصة ان المؤلف يصف حركة العربة المحملة بالاسمنت بحركة راقصة شرقية ، ترى أي شيطان اوحى له بذلك ..

اما ـ الاوراق الملونة ـ فهي قصة لطيفة استطاع المؤلف ان يجري فيها ـ تيار اللاوعي ـ بدون تكلف ، ولم يتوقف هذا التيار ، الا بعد هبوط الرجل الثري من السيارة حاملا معه كل شيء ـ ما اقسى كل شيء ، هذه ـ حاملا في قبضته ـ الاوراق والدواء والحياة ـ...

وفي قصة « اريد ان المح البسمات » نجد انفسنا امام شاب يفتش عن عمل بلا جدوى ويحس احساسا مدركا بانه قد اصبح عالة على ابيه وامه وحتى في الخارج فانه يبقى ـ جالسا في المقهى ثلاث ساعات ، بلا طعام ، ولا سكاير ـ والمؤلف يصور هذا الشاب تصويرا حيا يجعلنا نقاسم هذا الشخص شعوره بالتفاهة ، وعذابه الداخلي المؤلم .. ولكن الشيء الذي وقفت امامه حائرا .. هو كلام هذا الشاب الموجه الى امه في آخر القصة تقريبا « اريد ان اشتغل ، كم يعطونني بضعة دنانير ساحتفظ لنفسي بعشرة فلوس اشتري مصيادة » !

لقد وقفت امام هذه الكلمات حائرا ، اذ ان حكاية ـ المصيادة ـ هذه ، تجعلني ابعد عن ذهني فكرة كون البطل ، رجلا يحس احساسا مدركا بمعنى كونه بلا عمل ! .. ان البطل ليس شابا كما قال المؤلف ، في اول القصة ، انما هو صبي صغير لم يذق بعد طعم البطالة المر ، ولم يبتلع يوما دخان السكاير الاسود .

اما ـ مرآة صغيرة وبرعم ـ فقد سحقت صدري وقطعت انفاسي بواواتها المترادفة (هل اغفر للاخ المؤلف ذلك ؟ !) وهي تتحدث عن امرأة ساقطة منبوذة ، منبوذة حتى من ـ الزبائن ـ الا ان المؤلف استطاع ان يبذر في نفسي التجاوب معها ، والعطف عليها .. اليس هذا هو الهدف ...

بقيت قصص اخرى ، كم وددت لو انها احدثت اثرا ما ، اثراصغيرا على الاقل ، لاتحدث عنها ، ولكنها لم تحدث شيئا ، ذلك انها تسجل الواقع بامانة ـ كتاب العرائض ـ ثم ان لها اسلوبا خاليا من الفنية وهذه القصص هي : ساعثر على عمل ، ودون جدوى ، وساقول له ، ورغيف ابيض ذهبي ، وجميلة .

بعد ان القيت هذه النظرات التي ارجو ان تكون مخلصة صادقة ، احب ان اقول بانني لم اجد في هذه المجموعة الابداع الذي ينبثق من الروح العراقية القلقة المعذبة التي تقول كلماتها ، في فن وبراعة وعفوية اخاذة صادرة من الاعماق ، متغلغلة الى نفس القارىء متجاوبة مع احاسيسه الراسبة في اعماقه ، هذه الروح التي يجيد تصويرها مؤلف ـ نشيد الارض ـ لم اشاهد ـ الاشخاص ـ وهم يتمزقون ويتعذبون من القرارة من قرارة الروح ، من الداخل .. لم اشاهدهم وهم يتلوون تحت قلم الكاتب ..

ولكني وجدت شيئا واحدا جديرا بالملاحظة وجدت المحاولة المخلصة والفكرة الكبيرة التي تحاول ان تسيطر على الجو .. وجدت العفوية والذكريات الناعمة في ـ الطفولة ـ وهذا الشيء بل قل ، هذه الاشياء ، هي التي تجعلنا نتوقع لجاسم الجوي مستقبلا في القصة .

وختاما ، وقبل ان انتهي من كلمتي هذه اود ان اقول للاخ المؤلف: حذار ! حذار من النهاية غير الطبيعية ، من النهاية التي تحمل في داخلها ـ فكرة سابقة ـ .. النهاية غير المقنعة .. حذار ! وتحياتي اليه.

بغداد — نزار عباس



ظهر حديثاً

● رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ـ سلسلة تراث العرب ـ المجلد الاول : القسم الرياضي ـ في ثلاثة اجزاء ـ ١٦٠ صفحة الجزء ـ المجلد الثاني : الجسمانيات الطبيعيات ـ في ثلاثة اجزاء ـ ١٦٠ صفحة الجزء ـ منشورات وطبع دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر ببيروت.

● ابعد من موسكو ومن وشنطن ـ لمخائيل نعيمة ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات وطبع دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر ببيروت .

● العدوان الاثيم ـ تاليف اندور هيللر ـ ترجمة جورج سلهب ـ ١٢٦ صفحة ـ منشورات المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر ببيروت [لم يذكر اسم المطبعة] .

● الجغرافية البشرية لحوض النيل ـ للدكتور ابراهيم احمد رزقانه ـ ٣٧٨ صفحة و٢٨ خارطة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ المطبعة النموذجية [؟]

● اسباب اختلاف الفقهاء ـ لعلي الخفيف ـ ٢٩٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة الرسالة [؟]

● النقل في البلاد العربية ـ للدكتور محمد محمود الصياد ـ ١٦٨ صفحة و٨ خرائط ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ [لم يذكر اسم المطبعة].

● تاريخ الفقه الاسلامي ـ الجزء الثالث : ابو حنيفه النعمان ومذهبه في الفقه ـ للدكتور محمد يوسف موسى ـ ١٨٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة نهضة مصر بالقاهرة .

● اصول الفقه الجعفري ـ لمحمد ابو زهره ـ ١٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة مخيمر [؟]

● القانون المدني العراقي ، نظرية العقد ـ للدكتور حسن الذنون ـ ١٣٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة نهضة مصر بالقاهرة .

● الاستعمار ـ للامير مصطفى الشهابي ـ الجزء الاول : ٢٢٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة دار الهنا بمصر ـ الجزء الثاني : ٢٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة نهضة مصر بالقاهرة ـ وهما من منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة .

● مصادر الحق في الفقه الاسلامي : دراسة مقارنة بالفقه الغربي الحديث ـ الجزء الثالث : محل العقد ـ للدكتور عبد الرزاق السنهوري ـ ٢٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة دار الهنا بمصر

● الالتزام الصرفي في قوانين البلاد العربية ـ للدكتور امين محمد بدر ـ ١٤٧ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة الرسالة [؟]

● المبادىء الاساسية للتنظيم القضائي في البلاد العربية ـ للدكتور توفيق الشاوي ـ ١١٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة الرسالة [؟]

● النظم الدستورية في البلاد العربية ـ للدكتور السيد صبري ـ ٣٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

● البلاد العربية والدولة العثمانية ـ لساطع الحصري « ابو خلدون » ـ ١٩٦ صفحة و٩ خرائط ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة الرسالة [؟]

● مؤتمر برلين ١٨٧٨ واثره في البلاد العربية ـ للدكتور محمد مصطفى صفوت ـ ٦٦ صفحة ـ و٢٥ صفحة وثائق باللغات الالمانية والفرنسية والانجليزية ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة الرسالة [؟]

● النهوض بالمجتمع المحلي ـ للدكتور علي فؤاد احمد ـ ٩٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ [لم يذكر اسم المطبعة]

● مصادر الحق في الفقه الاسلامي دراسة مقارنة بالفقه الغربي الحديث ـ الجزء الرابع : نظرية السبب ونظرية البطلان ـ للدكتور عبد الرزاق السنهوري ـ ٣٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ دار الهنا للطباعة والنشر [؟]

● محمد كرد علي ـ لشفيق جبري ـ ١١٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة الرسالة بالقاهرة

● الاتجاهات الادبية الحديثة في فلسطين والاردن ـ للدكتور ناصر الدين الاسد ـ ١٦٩ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة لجنة البيان العربي [؟] .

● الحركة الادبية في حلب ١٨٠٠ـ١٩٥٠ ـ لسامي الكيالي ـ ٢٥٥ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة نهضة مصر بالقاهرة .

● مصطفى آغا بربر حاكم طرابلس واللاذقية ١٧٦٧ـ١٨٣٤ ـ للاب اغناطيوس طنوس الخوري من الرهبانية اللبنانية ـ ٣٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مجلة السنابل ـ مطبعة الرهبانية المارونية بيروت .

● الرقص في لبنان عبر العصور ـ لشفيق طبارة ـ ١٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مزين بالصور ـ مطابع دار الكشاف ببيروت .

● Aspectos Libaneses — Historia, économia, cultura, politica, religiao — Autor : Rubens Massud — 188 paginas — Composto E Impresso : Tip. Galhardo, Natal Brasil.

● Philosophie et Jurisprudence Illustrées par les Arabes — La Querelle des Images en Islam — par Dr. Bishr Farès — Extrait des Mélanges Louis Massignon — 110 pages — Suit un résumé en langue arabe par l'auteur de 9 pages — avec 8 pls. — Editions de l'Institut Français de Damas — Imprimerie Catholique à Beyrouth.

● Peintres du Groupe de l'Art Moderne — par Aimé Azar — 36 pages — Extrait de « La Peinture Moderne en Egypte » — Imprimerie [?].

في كلمات ...

● أعلن معهد الدراسات الطبية البحري في الولايات المتحدة اكتشاف طريقة جديدةلتبريد وحفظ الدم مددا طويلة . ويقول ثقات الطب بان هذه الطريقة قد تكون ذات اهمية تضاهي اهمية اكتشاف طريقة حفظ مصل الدم وبانها قد تفتح مجالات واسعة امام « مصارف الدم » واستعماله في العلاجات الطبية . والمعلوم انه بالامكان الان حفظ الدم في ثلاجات خاصة في « مصارف الدم » لمدة ثلاثةاسابيع على الاكثر . اما الطريقة الجديدة فستمكن من حفظه سنوات عديدة .

● تمكن علماء الطب التابعون لسلاح الجو الاميركي من اختراع جهاز الكتروني يستطيع تقديم معالجة سهلة وسليمة وموثوقة لاستعادة نبضات القلب المتوقف عن الحركة او لتقوية نبضات القلب الضعيفة . ويشتمل الجهاز الجديد على سلكين يستطيعان ايصال شحنات كهربائية الى القلب بعدما يتوقف عن العمل.

● اعطى الدكتور بول دادلي هوايت طبيب القلب الشهير الذي اشرف على معالجةالرئيس ايزنهاور النصائح التالية لتجنب مرض القلب:

ـ لا تنفق ولو قرشا واحدا في سبيل زيادة وزنك بعد ان تكون قد بلغت الرابعة والعشرين من عمرك .

ـ مارس بعض التمارين الرياضية كل يوم. واسهل هذه التمارين السير يوميا مسافات غير قصيرة .

● صرح العالم اليوناني الدكتور بابانيكولو في مؤتمر صحفي بان طول مدة اخذالحمامات الشمسية من بين الاسباب التي تحدثالاصابة بالسرطان ، تماما كالغازات السامة والاسراف في التدخين .

● ذكرت منظمة الصحة العالمية في احد تقاريرها الاخيرة ان نسبة الوفيات المتسببة عن الامراض المعدية قد تدنت نسبة ٥٠ في المائة في رقعة كبيرة من العالم وذلك على مدى السنوات الخمس الماضية . ويشير التقرير في الوقت ذاته الى وجود نسبة عالية ثابتة في المواليد بوجه عام ، ونسبة وفياتمستقرة، وتدني نسبة وفيات الاطفال . ومما يذكر ان تقرير المنظمة عن الامراض المعدية قد تم جمع بياناته من دراسة احصائية مستفيضة شملت ٢٨ دولة ومنطقة يبلغ عدد سكانها نحو ٥٦٤ مليون نسمة اي سدس مجموع سكان العالم .

● يستدل من الاحصاءات عن انتشار الانفلونزا في البرازيل انه توفي بهذا الداء خلال شهر سبتمبر [ايلول] الماضي ١٣٨ شخصا وان ١٠٢ اخرين قد توفوا بهذا الداء من الاول الى الخامس من شهر اكتوبر [تشرين الاول] وبهذا يكون مجموع الذين توفوا بهذا الداء حتى هذا التاريخ ٢٤٠ شخصا .

● اعلنت ادارة مصلحة المحاربين القدماء في امريكا بان احد اطبائها الدكتور اوجين توبين التابع لاحد مستشفياتها في ليتل روك قد اكتشف دواء جديدا يمنع تجمد الدماء وقد يكون ذا فائدة كبرى في معالجة امراض القلب والاوعية الدموية . اما الادوية المستعملة حاليا في منع تجمد الدم فقد تحدث رد فعل غير مرغوب فيه الا اذا اعطيت تحت مراقبة طبية دقيقة في المستشفيات . وتقول الادارة ان الدواء الجديد لا يحدث اي رد فعل . والمعلوم ان الادوية المانعة لتجمد الدم تساعد على تقليل خطر تجمد الدم في احد الشرايين مما قد يؤدي في بعض الحالات الى موت مؤكد. وقد نجحت تجارب الدواء الجديد على الحيوانات ولكن اصبح الان من الضروريتكرير الدواء والتعرف الى تركيبه الكيماوي قبل استكمال الابحاث المتعلقة به وتحديد امكانية استعماله في معالجة الناس .

● وجه العلماء الذين ينتمون الى ثلاث وثلاثين دولة ـ بما فيها الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ـ نداء الى حكومات العالم يحثونها فيه على وقف تجارب الاسلحة النووية لانها تؤذي الجنس البشري . والقرار الذي وافق عليه العلماء المائتان والخمسون بالاجماع يدعو في الوقت ذاته الى عقد مؤتمر دولي يضع التدابير التي تحدد استخدام الطاقة النووية في الاهداف السلمية وحدها .

وقد وجه العلماء هذا النداء خلال المؤتمر الذي عقد في مدينة كان بفرنسا لدراسة تأثيراتاحوال المعيشة والعملعلىصحة الانسان

ومما قاله مندوب اليابان البروفيسور كوزانو امام المؤتمر ان حالات مرض السرطان الدم ـ لوكيميا ـ قد تضاعفت عشر مرات بين الذين تعرضوا للقنبلتين الذريتين اللتين القيتا عام ١٩٤٥ على هيروشيما وناغازاكي . وقال ان هذا المرض ليس وحيدا بين الذين تعرضوا لاهوال القنبلتين وان عددا وفيرا اخر من الاهالي يصاب يوما بعد اخر بتلبد وبصغر حجم الرأس ـ مايكروسيفاليا ـ وبانطفاء العيون فجاة .

وتكلم البروفيسور بيكوك ، الاستاذ بجامعة ادنبره في اسكوتلندا ، فقال : ان الدراسات التي اجراها على الحيوانات قد اظهرتبشكل لا يتطرق اليه الشك مدى انتشار السرطان بسبب الاشعاع الذري .

اما البروفيسور الالماني كابلان فقد قال ان الخطر الاكبر للاشعاع الذري هو التناسل . ومما قاله ان وقوع حرب ذرية معناه تغيير الاجيال التي يمكن ان تستمر في البقاء بشكل يسهل ولادة الخلق الشيطانية .

● اكد الطبيب الياباني الشهير الدكتور

ان يبقى في مداره ثلاثين سنة ، وبالغ عالم اميركي في تقديره فقال ان في قدرة القمر السوفييتي ان يمضي دائرا حول الارض مدة الاف من السنين الى مليون سنة .

هذا القمر الصناعي لا تمكن مشاهدته الا قبيل شروق الشمس او بعيد غروبها . فهو ـ كالقمر نفسه ـ لا يشاهد الا بما يعكس عن سطحه من نور الشمس . وهذا الضوءالمنعكس تصعب رؤيته في رائعة النهار ، لان ضياء الشمس يطغي عليه . ولكن الشمس ترسل قبيل شروقها وبعيد غروبها اشعتها في الفضاء فوق الافق ، فاذا انعكست هذه الاشعة عن سطح القمر الصناعي ظهر لراصديه ، وقد صقل سطحه صقلا محكما تيسيرا لهذا الانعكاس .

والرأي العلمي الغالب ، هو انه لو كان هذا القمر الروسي مزودا بالاجهزة العلمية تجهيزا وافيا ، ومداره ادنى الى ٣٠٠ ميل فوق سطح الارض ، واشاراته اللاسلكية ترسل على الامواج المتفق عليها ، لكانت اليد التيسيديها الى المعرفة العلمية المنشودة اكرم واعظم .

* * *

قلنا ان القمر الصناعي وما يزود به من اجهزة هو مشروع علمي ، فليس للقمر بحد ذاته قيمة حربية ـ الان على الاقل . ولكن القدرة على اطلاق قمر زنته تزيد عشرة اضعاف تقريبا على الزنة المتوقعة ، وقذفه الى ارتفاع ٥٦٠ ميلا ، تدل على ان العلماء السوفيات قد تقدموا تقدما كبيرا في علم الصواريخ وصناعتها ، وهذا التقدم له قيمة حربية .

ثم ان القدرة على ارسال هذا القمر ـ وما يليه من اقمار سوفياتية واميركية وغيرها تمهد لزيادة الرحاب الفساح وراء جو الارض فتكون هذه الاقمار كما قلت في فقرة سابقة ـ بين « الاعلام المنصوبة على الطريق من الارض الى القمر الى المريخ او ما وراءهما » ، وطليعة الملاحة بين النجوم .

فؤاد صروف [الحياة]

ماسورو كورو الاخصائي بمرض السرطان في جامعة اوساكا في محاضرة طبية قيمة له ان الولايات المتحدة تزداد فيها حوادث سرطان الرئة اكثر من اليابان لانه يصعب على الهواء الفاسد ان يهرب من الشوارع المغلقة نظرا للطول الزائد في المباني الامريكية . واضاف الدكتور كورو ان مادة « بنزوبيسرين » التي وجدت في التبغ والتي تسبب السرطان قد وجدت كذلك بكثرة في دخان المازوت وقال انه اذا كانت اللفائف تسبب السرطان فان سرطانها ينشأ في الفم وليس بالصدر .

● خرجت فتاة اميركية في الرابعة عشرة من عمرها من احد المستشفيات في نيويورك بعد عشرين يوما تماما من اقفال الاطباء لثقب بقلبها في عملية جراحية دقيقة وغير عادية . وتدعى الفتاة بولا وبستر وهي حائزة على درجة شرف من المدرسة العالية وقد اكتشف الاطباء في العام الماضي ان هناك ثقبا في الجدار الداخلي لقلبها وهي حالة تؤدي الى الوفاة في وقت مبكر وربما الاصابة بعاهة مستديمة وقد اجرى الاطباء لها العملية مستعملين قلبا ميكانيكيا ومضخة للرئة ابقت دم الفتاة في حالة دوران اثناء المرحلة الدقيقة من العملية التي استغرقت ٨ ساعات . وقد استعملت الالة مدة ١٥ دقيقة . واستعملت ٢٠ قطبة لاقفال الفجوة . وينتظر الان ان تعيش الفتاة حياة طبيعية .

● اعلنت ادارة الصحة العامة في الولايات المتحدة ان عدد الاصابات بداء شلل الاطفال في الولايات المتحدة هذه السنة يقارب ربعه في السنة الماضية . ولم تسجل حتى الان الا ١٢٩٩ اصابة بينما كان عددها في سبتمبر [ايلول] من السنة الماضية ٤٣٤٢ اصابة .

● تنبأ احد اساتذة جامعة طوكيو بفناء الجنس الياباني خلال عشرة اجيال اذا استمرت التجارب الذرية الحالية تجري بمعدلها الحالي وقال انه يستند في استنتاجاته هذه الى تجارب اجراها على الجرذان طوال السنوات العشر الماضية .

● تمكن بعض العلماء الاميركيين بجامعة كاليفورنيا من ان يصلوا وريدي « الاورطة » في رجلين ، بقلب احدهما ، فقام القلب بتغذية الرجلين لحظات وكانت هذه بشائر تجربة ينتظر ان تطبق فيما بعد على نطاق واسع . ويتجلى نفع هذه العملية المبتكرة في حالة فساد احد اعضاء الجسم ، حيث تحول دورة المريض الدموية الى الدورة الدموية لرجل سليم ، فيحمل الجسم السليم العبء عن الجسم السقيم .

● تحدث في شيكاغو الدكتور كاظمي تافوتشي احد جراحي جامعة اوكاياما في اليابان عن اسلوب جديد تمكن بواسطته من تخفيض حرارة الدماغ الى ٦٥ درجة فهرنهايت او ما يعادل ١٨ ٣\١ درجة سنتفراد . وقد مكنت هذه الحرارة المنخفضة من ايقاف الدورة الدموية لمدة ١٥ دقيقة تقريبا ريثما يفتح القلب البشري ويصلح .

وكان الجراحون يعتقدون ان اطول فترة يمكن فيها حبس الاوكسجين الذي ينقله الدم عن الدماغ هي ٨ دقائق . وقد خطب الدكتور تاغوتشي امام المؤتمر الدولي الثاني والعشرين للفرعين الاميركي والكندي لكلية الجراحة الدولية فقال انه خفض حرارة الرأس والدماغ الى ٦٥ درجة فهرنهايت بينما ظلت حرارة الجسم حوالي ٩٠ درجة او ما يعادل ٣٢ درجة وخمس سنتفراد .

● ذكرت صحيفة بلطميور صن ان احد الاطباء الاميركيين ويدعى الدكتور ونستون برايس اكتشف لقاحا مضادا لبعض الميكروبات الرئيسية التي تحدث الرشوحات ثبت انه فعال في ٨٠ بالمائة من الحالات التي جرب فيها . ويكافح هذا اللقاح ، مكروب (J H) الذي يقول الدكتور برايس انه يسبب ٣٠ بالمائة من حالات الرشح العادية التي اكتشفها في التحقيقات التي اجراها خلال سنتين .

● انذر خبير دنمركي بان الرجال الذين يعملون في المصانع التي تنتج الهرمونات الجنسية النسائية قد يصبح لهم صفات الانثى وقال الخبير وهو الدكتور كريستيان هامبورغر في قاموس كبير طبي نشر اخيرا ان عدة عمال في مصنع دنمركي للهرمونات النسائية قد اصيبوا بالعجز الجنسي وبدأت صدورهم تبرز كالفتيات .

ويقول الطبيب ان هؤلاء الرجال استوعبوا الغبار المتصاعد من الهرمونات وامتصها دمهم عن طريق التنشق او التغلغل عبر الجلد . وان الرجال المذكورين شفوا تماما بعد اسابيع قليلة من نقلهم الى اعمال اخرى .

● تقول الدوائر العلمية في لندن ان نتيجة فحص لحم الغنم الانكليزي ولحم الغنم النيوزيلاندي قد دل على ان لحم الغنم الانكليزي مصاب بالاشعاع الذري اكثر من لحم الغنم النيوزيلاندي . ويعود السبب في ذلك الى ان المراعي البريطانية هي اكثر تعرضا للعدوى من الغبار الذري المشع الناجم عن التجارب الذرية . غير انه ليس هناك ما يسبب القلق لاكلي اللحوم لان اصابة اللحوم بالاشعاع الذري نسبته ضئيلة للغاية وليس لها اي اثر على الصحة .

● اعلن في اوتاوا انه تمت المفاوضات بين كندا والمانيا الغربية لشراء الجمهورية الاتحادية ٥٠٠ طن من الاورانيوم الكندي خلال السنوات الخمس المقبلة .

● سيبدأ فرن ذري لتحريك الغواصات ، وهو الاول من نوعه في بريطانيا ، عمله في اول الشهر الحالي في مؤسسة الطاقة الذرية البريطانية في هارويل . ويسمى هذا الفرن « نبتون » وقد كانت شركة رولز رويس من المعامل التي ساهمت ببنائه اكبر مساهمة . اما الغواصة التي ستسير بالذرة والتي هي في طور البناء في بريطانيا فانها ستستخدم نظام التبريد بالماء المضغوط . وثمة غواصة

اخرى ستكون صالحة للعمل قبل عام ١٩٦٠ تقوم ببنائها الان شركة فيكرز الهندسيةالذرية وستستخدم بصورة خاصة لتدريب البحارة الناشئين .

● اعلن العلماء الروس انهم توصلوا الى صنع آلة الكترونية يمكن بواسطتها معرفة مقدار احتياطي الزيت في اية منطقة كمالنها تبين تحركات البترول في المنطقة. ويمكن عن طريق هذه الالة معرفة عدد الابار التي يمكن حفرها في اية منطقة ومقادير انتاج تلك الابار

● قررت شركة « ناشيونال بلك كاريارز » في نيويورك بناء اربع ناقلات بترول تبلغ زنة الواحدة منها ١٠٤ الاف و٥٠٠ طن. وقد عهدت ببناء السفينة الاولى لقسم بناء السفن التابع لها في « كور » باليابان . وعندما يتم بناؤها ستكون اكبر ناقلة للبترول تمخرالبحار وسيبلغ طول هذه السفينة ٢٧٥ متراوعرضها ٤١ مترا . ولا يوجد الان الا ثلاث سفن تجارية تفوقها طولا هي « كوين اليزابيث » و « كوين ماري » و « يونيتد ستايتس » .

● انشات شركة جنرال الكتريك مصلحة خاصة عهد اليها امر الانصهار الهيدروجيني لتامين قوة كهربائية رخيصة عن طريق انصهار الذرة الهيدروجينية . وطريقة الانصهار هذه تحصل بانضمام ذرات هيدروجينية خفيفة لتؤلف من مجموعها ذرات ثقيلة تستطيعتوليد طاقة متصلة تستعمل لتحويل الماء الى بخار الذي يولد بدوره قوة كهربائية محركة . ويؤكد غي سوتس مدير هذه المصلحة الجديدة ان تامين مثل هذه الطاقة المحركة عن طريق الانصهار لا يتوقع لها ان تتم قبل ٢٠ سنة ، وهي حقبة تستطيع معها المصانع الذرية الجاري انشاؤها اليوم في الولايات المتحدة توليد قوة كهربائية رخيصة تزاحم الكهرباء العادية المعروفة .

● صنعت شركة ريثون الاميركية جهازا راداريا جديدا يحول دون تصادم السفن بعضها ببعض وسيتاح للسفن التجارية استخدام هذا الجهاز الجديد عما قريب . والمعروف ان اجهزة الرادار المعمول بها اليوم تعود على ربابنة السفن بخدمتين لا غير اذ تمكنهم من استماع صوت السفينة المجاورة ومعرفة مدى اقترابها دون ان تبين للربان اتجاه حركتها ونسبة السرعة التي تسير بها .

● يقول جون تيلر من المهندسين الخبراء العاملين في شركة برات وهويتني احدى كبريات الشركات الاميركية المنتجة للطائرات ان الضجيج المتصاعد من الطائرات الصاروخية سينخفض الى درجة محسوسة خلال السنوات الخمس القادمة . واكد انه يجري الان صنع جهاز جديد للتخفيف من شدة الهدير المنطلق من الطائرات النافورية ، ومن شان هذا الجهاز ان يعطل المجرى الهوائي الرئيسي الذي ينطلق من مؤخرة انبوب المحرك الصاروخي الى مجار اصغر ذات ذبذبات صوتية عالية وستكون هذه الذبذبات عالية بحيث يتعذر على الاذن سماعها .

● ستبنى في بريطانيا اكبر سفينة مدنية بنيت حتى الان بعد الباخرة كوين اليزابث. وستقوم بصنعها احواض فيكرز ارمسترونغ وستعمل على الخط البحري بين بريطانيا واستراليا وسان فرنسيسكو ويتم انجازها في اوائل عام ١٩٦٠ وتتسع لما يزيد على الفي مسافر . وتقدر نفقات بنائها باثني عشر مليون استرلينية .

● اعلن علماء الزراعة الاميركيون تحسين صنف جديد من القمح الكثير الغلة والذي يمكن ان يفتتح اسواقا صناعية كثيرة.والصنف الجديد من القمح يحتوي على نسبة كبيرة من النشا تصل الى ٨٠ بالمائة . ويختلف هذا النشا ويدعى اميلوز عن النشا العادي في انه يمكن استعماله لصنع البلاستيك والالياف المتينة والافلام الشفافة . وهو فضلا عن ذلك صالح للاكل .

● ستقوم شركة بريطانية قريبا بتجربة جهاز يحول دون نشوب الحرائق فيالطائرات من جراء انفجار مستودع الوقود فيها بسبب البرق او التيارات الكهربائية التي تنتشر في الفضاء عندما يكون الجو رديئا . ويعمل هذا الجهاز ، وهو خفيف الوزن وبسيط التركيب جدا ، على طريقة ازالة غاز الاوكسجين المتراكم في المستودع واستبداله بصورة مستمرة بغاز النيتروجين الذي يمنع الاحتراق . ولا شك ان هذا الجهاز سيلاقي ترحيبا كبيرا من معظم شركات الطيرانوالقوات الجوية في العالم اجمع .

● اخذت شركة بريطانية مؤخرا الامتياز لطريقة تجعل الاقمشة المختلفة كالثياب واقمشة اثاث البيت مثلا صعبة الاحتراق لا سيما الاقمشة التي تصنع منها ثياب الاطفال وحاجياتهم الاخرى . والاقمشة المعالجة بهذه الطريقة لا يتغير مظهرها ويمكن غسلهاوكيها دون ان تتأثر مناعتها المكتسبة ضدالاحتراق.

● اعلنتوزارة البحرية الاميركيةانها نجحت في صنع مصفاة نقالة للزيت يمكن نقل اجزائها من مكان لاخر بواسطة الطائرات او غيرها ثم تثبيتها من جديد خلال يومين . وتزن المصفاة الجديدة ٥٠ طنا وقد وضعهندستها وقام ببنائها شركة لوموس في نيويورك .

● ستعطي المراكز الكهربائية في الاتحاد السوفياتي عام ١٩٥٧مقدار ٢١٠ مليارات كيلووات ساعة من الطاقة الكهربائية أي ١٠٥ اضعاف ما كانت تنتج روسيا عام ١٩١٣ . وفي عام ١٩٦٠ سيرتفع انتاج الطاقةالكهربائية في الاتحاد السوفياتي الى ٣٠٠ مليار كيلووات ساعة .

ويصار الان ، في الاورال وفي القسم الاوسط من الاتحاد السوفياتي ، في المناطق الفقيرة بموارد المحروقات والطاقة المائية ، يصار الى بناء مراكز كهربائية ذرية هامة بقدرة تتجاوز ٤٠٠ ٠٠٠ كيلووات وذلك من اجل الحاجات الاقتصادية .

● للتلفزيون ناحية اخرى قد تكون اكثر فائدة للانسان من النظر الى صور ناطقة متحركة على شاشة جهاز موضوع في غرفة الجلوس ، اذ ان للاختراع العجيب هذاانواعا تستعمل في كثير من الصناعات والغايات العلمية الاخرى وذلك لان له عيونا شديدة الحساسية وبعيدة المدى بحيث ترى ما لا تتمكن عين الانسان من رؤيته وهي فيالوقت نفسه لا تتأثر بالعوامل التي تقضي على العيون البشرية قضاء تاما . ففيالصناعات الذرية مثلا اجهزة تلفزيون تراقب بعض الالات دون الاكتراث بالاشعاع الذري المميت .وكذلك في مصانع المتفجرات يراقب التلفزيون خلط المواد المتفجرة بواسطة الات اوتوماتيكية دون ما حاجة الى وجود العمال في المنطقة الخطرة من المعمل . كما ان باستطاعة التلفزيون مراقبة الهبة النار في « جحيم » الافران التي تذاب بها الفولاذ او البحث على قطع طائرة في قعر البحر . وهنالك اجهزة تلفزيونية طريفة في احدى معامل تعليب الخضار في انكلترا تمتحن الواحدة منها نصف مليون حبة بازلا يوميا وتعزل كل حبة ليس لها اللون المطلوب ، وتتمكن فتاة واحدة من ادارة اكثر من خمسين من هذه الالات في آن واحد . ويؤمل ان لا يطول الوقت قبلان يتمكن المتكلم والمخاطب من ان يريا واحدهما الاخر على جهاز تلفون تلفزيوني .

● اوصتالحكومة العراقية على جهاز جديد من مصنع بريطاني لاستخدامه في مطار بغداد وللاعتماد عليه في مكافحة الحرائق في حالة اصطدام الطائرات في المطارات وشبوب حريق فيها . وهو معد بعتاد خاص بالانقاذ وبخزانات تعي الماء وثاني حامض الكربون ومئة غالون من الزبد او الرغوة التي تساعد في اخماد النار ويشرف على ادارة هذا الجهاز وعمله سائق واربعة رجال يجلسونفي

مكان لا تؤثر فيه الحرارة وارتفاعها . وسيتم تسليم هذا الجهاز للحكومة العراقية فيمدةعام

● أتمت الجهات المسؤولة دراسة تأسيس مصنع الورق الذي خمن رأسماله بثلاثةملايين دينار وسيشيد في البصرة لتوفر جريدالنخيل والصفصاف والبردي وسيبدأ انتاجه بورق التغليف والاكياس .

● سيبنى في مدن الاتحاد السوفياتي،حتى عام ١٩٦٠ ، ما يقرب من ٢٥٠ مليون متر مربع من المساحة السكنية . وتجري اعمال البناء العظيم لبيوت السكن في موسكو ولينينغراد وكييف وستالينغراد وطشقند وفي العديد من المدن الاخرى بالبلاد . وسيتلقى سكان موسكو التي تعمل فيها حاليا المئات منورشات البناء ، سيتلقون هذه السنة مليونا و٨٠٠الف متر مربع من بيوت السكن . وتسير اعمال بناء بيوت السكن على صعيد واسع في ليتونيا وروسيا البيضاء ومولدافيا واوزبكستان وجيورجيا وغيرهامن جمهوريات الاتحادالسوفياتي

● اعلنت شركة ارامكو لصنع الفولاذ انها اخترعت نوعا جديدا من الفولاذ الشديد الصلابة الذي سيمكن الطائرات من السيربسرعة تزيد على سرعة الصوت اربع مرات دون ان تصاب باي ضرر نتيجة ارتفاع درجة الحرارة او الاحتكاك بالهواء . وقيل ان الفولاذالجديد الذي يمكن تحضيره بسهولة يحتفظ بمتانة عظيمة تحت حرارة تصل الى الفدرجة فهرنهايت ، وهي الحرارة التي تتولد عندما تسير الطائرة بسرعة ٢٧٠٠ ميل في الساعة . والمعدن الجديد الذي يباع بأثمان اقل من الفولاذ المستعمل الان ، هو مزيج من الكروم الذي لا يتأثر بالصدأ والنيكل ومعدن الموليبدنيوم .

● شرعت عدة شركات للقطارات فيالولايات المتحدة بتجربة قناديل كهربائية معبأة بالغاز الذري المشع في اجهزة تحذير المارة والسيارات عند مرور القطارات فوق الطرق . فهذه القناديل لا تحتاج الى تزويدها بالوقود او الى مصدر خارجي للقوة فعندما تركب هذه القناديل في امكنتها تبدأ بالعمل تلقائيا . ويقدر الاختصائيون حياة هذه القناديل باكثر من عشر سنوات . وتمكن رؤية النور المنبعث منها بشكل جلي قوي على مسافة ٤٥٠مترا .

● صنع مركز الابحاث المختص بمصلحة البرق والبريد البريطانية العامة جهازاجديدا لتصنيف الرسائل وفرزها بصورة اوتوماتيكية كما انه يصنف هذه الرسائل وفقا للزاوية التي الصقت عليها التمغات . بالاضافة الى ان باستطاعته التفرقة بين الرسائل العادية

والمطبوعات وهو يكدس هذه الاشياء بصورة منظمة حسب نوعها .

● نجحت شركة ولكوالاميركية في ابتكارآلة جديدة لصنع الابر الماسية للفونوغراف . وتقول الشركة ان ابحاثها استغرقت عامين كاملين قبل التوصل الى صنع هذه الالة . وكانت هذه الابر تصنع من قبل باليد بواسطة عجلات من الماس تبردها وفقا للشكل المرغوب فيه . والطريقة الجديدة تمكن من صنع هذه الابر بكميات كبيرة وبكلفة اقل بكثير من كلفة الابر المصنوعة باليد .

● استطاع العلماء البريطانيون ايجادحامض كيميائي جديد يساعد الى حد كبير في نمو النبات ونضوجه الباكر . وفي جملة



المزروعات التي يؤثر فيها الشاي والقطن وفستق العبيد والموز كما يزيد في محاصيلها وقد يمكن ايضا من زراعة عدة انواع من المواسم في العام الواحد . وهو يعرف باسم حامض جيبيريليك . وقد اكتشفه علماء الابحاث في مصانع الكيمياء الامبراطورية في الدائرة المختصة بحماية النبات والاعمال الزراعية وشؤون البستنة . وثبت لدى رجال الابحاث ان هذا الحامض الكيميائي يعمل على زيادة حجم النبات ويعجل في ظهور الزهر قبل المدة الطبيعية . ولقد اجرى هؤلاء اختبارات اعطت خير النتائج على الذرة الصفراء ونبات الصويا وقصب السكر والتبغ والكتان والبطيخ والفليفلا والبصل والباذنجان . وقد دلت الابحاث التمهيدية والاختبارات التي جرت على هذا الحامض انه يحدث نسبة ضئيلة من التسمم بيد ان الاختبارات لا تزال جارية عليه وما لم يتم الحصول على النتائج الكلية المرغوبة فان النباتات والمحاصيل التي يطبق عليها لن تستخدم لغذاء الانسان والحيوانات بل تكون موضوعا للاختبار العلمي فقط .

● من المتوقع ان يبلغ انتاج القطن في السودان خلال العام الحالي (وهو اول عام يمر على السودان كدولة مستقلة) اعلى نسبة سجلت حتى الان . ويستفاد مما ذكرته نشرة « المحصولات والاسواق الاجنبية » التي تصدرها وزارة الزراعة الاميركية ان التقديرات غير الرسمية تشير الى ان المحصول سيبلغ حوالي ٦٢٠ الف بالة من منطقة مساحتها ٧٦٥ الف فدان . ويقابل هذا الرقم ٤٤١ الف بالة من منطقة مساحتها ٥٠٨ الف فدان في العام الذي قبله . وتمثل المحصولات الحالية زيادة في الانتاج قدرها ٤١ بالمائة وزيادة في مساحة الارض المزروعة قدرها ٢٨ بالمائة .

● اعلن عبد الوهاب مرجان وزير المواصلات والاشغال العراقي ان دراسات فنية تجري الان لوضع مشروع انشاء ميناء يقع على بعد ١٥ ميلا من الفاو ، على شط العرب ، في اقصى جنوب العراق . وقال ان الميناء سيكون مهيأ لاستقبال ناقلات النفط التي تزيد حمولتها على مئة الف طن وان اتصالات تدور مع شركة نفط العراق ووزارة الاقتصاد بشأن انجاز المشروع ويجري ايضا انشاء ميناء تجاري ثان خارج شط العرب في موقع ام قصر في جنوب العراق

● بدأت بعثة من المهندسين والفنيين السعوديين باجراء دراسة لمشروع انشاء قناة تحمل مياه شط العرب في جنوب العراق الى الرياض . وكانت الحكومة السعودية قد قامت باستشارة بعض الشركات الهندسية الاجنبية وطلبت اعداد التصاميم والمواصفات للمشروع على اساس مد خطين للانابيب قطر كل منهما ٣٢ بوصة وطوله حوالي ٧٥٠ كيلو مترا . وسيجهز المشروع عند اتمامه مدينة الرياض بكميات من المياه تتراوح بين ٣٠ و٤٠ مليون غالون في اليوم .

● اعلنت الحكومة السعودية رسميا ان تعاقدها مع احدى الشركات البلجيكية لمد سكة حديد كهربائية من جدة الى مكة المكرمة وعرفات قد ادى الى دراسات اولية قامت بها الشركة وقد اسفرت هذه الدراسات عن ان المبلغ الاجمالي المقدر لتنفيذ المشروع هو حوالي اربعين مليون ريال (اربعة ملايين من الدنانير) . اما المدة التي تراها دراسات الشركة ضرورية لتنفيذ المشروع فهي خمس سنين.

● اسفرت اعمال الحفر في منطقة حلفا تحت اشراف مصلحة الآثار السودانية عن اكتشاف مقبرة اثرية للامير تحوئي امير منطقة حلفا في عهد الملكة حتشبسوت من الاسرة الثامنة عشرة وقد تقرر انشاء متحف للآثار في الخرطوم واعتمدت الحكومة مبلغ ٢٠٠ الف جنيه لهذا الغرض .

● اتفق العلماء الجيوفيزيائيون اثناء المناقشات التي جرت في المؤتمر الذي يعقدونه في تورنتو بايطاليا على ان عمر الكرة الارضية يبلغ اربعة مليارات و٥٠٠ مليون سنة .

● اذاع راديو موسكو تصريحا للبروفيسور جورج تيخوف العالم السوفياتي . قال فيه هذا الاخير بانه لا يزال مقتنعا بان الحياة متوفرة في الاجرام الاخرى وعلى الاخص في المريخ . واضاف العالم المذكور بانه يراقب هذا الجرم منذ ٦٠ سنة وانه مقتنع الان بان الوقت الذي سيتمكن فيه علماء الفلك السوفياتيين من جلب النماذج الاولى من النباتات التي تعيش في المريخ قد اصبح قريبا

● بدأ علماء عدة بلدان ابحاثهم المتعلقة بالاكتشاف الجديد المسمى « بالانهار الكهربائية » . وهذه « الانهار » عبارة عن تيارات كهربائية تولدها حركات المد والجزر الجوية . وقد اقيمت محطات الابحاث المتعلقة بهذا الاكتشاف في جبال البيرو باميركا الجنوبية وفي كودا ايكانال بالهند وفي الكثير من جزر المحيط الهادىء وفي القطبين الجنوبي والشمالي

● اكتشف علماء السنة الجغرافية الطبيعية الدولية المتمركزين في بلف هيل بالقرب من انفركافيل ، طبقة في اعالي الجو تبين انها هي التي تنقل ذبذبات الرادار ويقدر ارتفاع الطبقة عن الارض بحوالي ٧٠ ميلا ويعتقد العلماء ان لهذه الطبقة علاقة بانعكاسات الانوار القطبية الجنوبية والتي يأمل العلماء ان تظهر للعيان حين يستطيعون القيام بدراسات اوسع.

● صرح الدكتور مارتن شوارتز احد اساتذة علم الفلك في جامعة برنستون ان الصور الفوتوغرافية الجديدة التي التقطت لقرص الشمس من على منطاد وصل الى علو ٢٥ الف متر قد ادت الى اكتساب معلومات جديدة عن سطح الشمس . وقال ايضا ان هذه الصور شملت مساحة مئة مليون ميل مربع من قرص الشمس ودلت على وجود بقع بيضاء هي عبارة عن تجمعات ضخمة من الغازات المرتفعة الحرارة.

● اكتشفت بعثة حفريات اركيولوجية اميركية تابعة لمؤسسة سميشونيان اكتشفت في شمالي العراق هيكلين عظميين بشريين بحالة جيدة يعود تاريخهما الى عشرات الالوف من السنين . وعلى اساس الدروس العلمية الدقيقة يقول خبراء البعثة ان الهيكلين يشابهان هياكل الانسان النياندرتالي الذي استوطن اوروبا والشرق الاوسط وافريقيا الشمالية منذ ٧٥ الف الى ١٧٥ الف سنة . ويظن الخبراء ان عمر احد الهيكلين ٤٥ الف سنة وعمر الثاني ٦٠ الف سنة .

[تتمة المنشور في الصفحة ٧]

وثمة ايضا القافية التي تتوالى برويّ واحد في ابيات القصيدة جميعا ، او يتخالف رويها ، حالا بعد حال وفقا لاسلوب الشاعر ، ولقد تعرض لها اخبرا بعض الادباء ، فمنهم من تجاوز عنها، ومنهم من خالفها ومنهم من ابقاها على رتابتها ووحدتها في القصيدة . لا شك ان القافية كالوزن ملزمة بطبيعة العمل الفني لانها تمثل القرار والايقاع لامواج النغم لكنها اذا استبدت بابيات القصيدة جميعا ، تتحول الى قيد خارجي يعبث بحقيقتها ، فلا يعود الشاعر يعبر عما يعانيه وانما تجره القافية ليستنبط معاني توافقها وبذلك ينتفض دورها ، فعوضا عن ان تغني وتسهل عملية الابداع نراها تميتها وتعطلها ، ولا مجال بعد ، للاخذ بسنة الشعر التي تتخذ من اكثار القافية الواحدة دلالة على عبقرية الشاعر وتفوقه . ان القافية في الشعر ليست غاية بذاتها ، وانما يتوسل بها الشعر لنقل حياة التجربة وذهولها فلا ميزة لها اذا توحدت كما انه لا ضير فيها اذا تخالفت وانما فضيلتها في تآلفها مع روح التعبير والشعور . وفي يقيني ان توحد القافية في القصيدة العربية ، قيد الشعر العربي في جدود المعاني يعابثها بعضا ببعض ، يتنقل من الواحدة الى الاخرى ، فلم يكن شعرهم شعر حالة او قصيدة وانما شعر معنى وابيات .

الا ان القافية ، اذا كانت قيدا عندما يلتزم فيها ما لا يلزم ، فانه لا ينبغي ان نتعسف بها حتى تصل الى نقيض ذلك ، فنهملها او نعدمها انعتاقا وتحررا . ولقد جعل جماعة هذه النظرية يؤكدون على ان شجو القصيدة لا يقوم في وحدة القافية بقدر ما ينبعث من وحدة التفعلية ومن التناغم الحي في تآلف حروف اللفظة والبيت بعضا ببعض، فلا يكون النغم آليا بل متنوع بتنوع الحروف ومعاناة الشاعر ومشاركته ، يبدع النغم ويكيفه وفقا لطبيعة النشوة الداخلية حتى يتوفر لنقلها ولا يدع النغم المقرر الالي في الوزن والقافية يستبد بروحها .

لا شك ان هذه النظرية تشير الى حقيقة عندما تتحدث عن طبيعة النغم الحي في تآلف الحروف واللفظ ، الا انه يبالغ كثيرا في قدرة الشاعر على خلق النغم عبر اللفظ . ان الموسيقي يختار مثلا النغم الذي يتأتى له ويبصره قادرا على نقل تجربته وهو في اختياره لا يقيده قيد اخر لان دلالة النغم متصلة به ومقصورة عليه . اما الشاعر فلا يمكنه ان يعمد الى النغم الذي يريد لانه ليس يتخذ اللفظة بفضيلة النغم وحسب بل لاتفاق معناها وظلالها مع الحالة التي يعبر عنها ، فاللفظة تختار لفضيلتي الجرس والمعنى ، قد تقع على احدهما دون الاخر ، فنجد الجرس في لفظة عقيمة او المعنى في لفظة متقعرة . هذا القيد يضطر الشاعر ابدا الى ان يتوكأ على القافية لان جرسها كالموجة الكبيرة التي تحرك وتنمي وربما تبعث مويجات النغم في حروف اللفظ وابياته . ان الشاعر الذي يعتمد على التآلف الداخلي للحروف ، عبر القصيدة ، يقع تحت وطأة النغم فيضحي بالمعنى الذي يرغب به ، الى المعنى الذي يفرضه عليه جرس اللفظة وهكذا يكون تحرر من عبودية القافية ليتردى في عبودية الحروف ويصبح كل حرف من حروف الفاظ البيت ، شبه رويّ داخلي مضمر يقيد الحالة بقيد كالذي تفرضه وتتسلط به القافية . وهكذا نشهد ان القافية يلبث رويها اقل استبدادا من تآلف الحروف والتفعلية الواحدة . فلا مندوحة من ان تظل التيار الذي يوزع امواج النغم . واملها اذا تعطلت او غفلت يبقى النغم دون ايقاع او قرار ويلبث النغم في وحدة التفعلية يلهث دون ان يستقر حتى يعيى ويتلاشى بعد بيت او بيتين .

ولعل الشعر لن يتغلب على هذه الصعوبات جميعا الا اذا أضاء ذهن المبدع اشراق الحدس فتبصر اعصابنا ما لا يبصره الذهن العادي وتتحد روح التجربة بجسد اللفظ، معنى ونغما في غفلة الحدس وسره ولا تلبث ان نتلقفها حية حرى ، متحدة متكاملة دون ان تعي سر اتحادها وتكاملها . اما اذا عمي الحدس ولبث الشاعر يراود التجربة دون ان يومض في عصبه اشراق الخلق ، فاننا نشهده يتحول عن هذه الصعوبة الداخلية الى صعوبة خارجية ، في تخير اللفظ ، في مطابقته ومجانسته ، في التسجيع والتبديع حتى يصبح الفن عمل صناعة مبتذلة . وهذا ما شهدناه في عصر الانحطاط اذ اصبحت عقدة السجعة غاية الفن ، بعد ان تحول عن عقد النفس ومعاناتها ، فاصبحت عبقرية الفن في تخيُّر البيت العاطل او عاطل العاطل ، يكد عليه احدهم فيبالغ به من بعده حتى ينتصر عليه .

وهكذا نشهد اخيرا ان الشعر الحقيقي هو الذي يجسد معاناة النفس ، عبر هنيهة الحدس ثم لا يلبث ان يتحكك ذاته وفقا لسوية الفن المثلى وكانه بذلك « غفلة واعية » كما يقول ابو شبكة .

ايلي حاوي

وألم بي شعور قوي كان حافزا لي على الانطواء وكتابة دراسة مفصلة لهاتيك الدواوين الشعرية ، لا زلت اعتبرها انصافا لهؤلاء الشعراء المتهمين

لكن ما يثير الفضول حقا ـ هو كيفية فهم الثورة ، هذه الثورة التي اندلعت في القاهرة قبل اعوام حاملة في طياتها معاني التمرد على الاستبداد بالحكم والرأي ، والتحرر من قيود العبودية على مختلف اشكالها وشتى صورها . ان ما يثير الفضول ان نطالع بين يوم واخر بقايا افكار تعود الى ما قبل عهد الثورة والتمرد والتحرر !! فقد كان المخطط الذي وضعه الاديب المصري محي الدين محمد محصورا في امور لاتتعدى محاربة البعوض وبرك الماء الاسنة ، وغلاء الاسعار ، ومطاردة الجيف والكلاب المصابة بالكلب ... هذه الامور التي يسمو النقد الادبي الرفيع عن ذكرها .. فكيف بالمطالبة بها ؟ ومن ناحية اخرى هل هناك قادة فكر حقا يعنيهم امر الكتاب او الديوان او المسرحية ؟ واذا عناهم ذلك فما هي طريقتهم في العناية به ؟ ان ذلك يتوقف على الناقد ... وعلى اسلوبه في فهم العمل الفني .. وعلى مقدار نزاهته وعدالته في نقده .

ان الاستاذ عبداللطيف السحرتي سيعذرني اذا قلت انني لم اجد في كتابه « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » ما يشير الى هذا الاتجاه رغم دعوته القوية الى وجوب تحرير الشاعر من كل ما من شانه تقييد شيطانه ، على خلاف الاديب الكبير مارون عبود الذي يطلب من الشعر قبل كل شيء الموسيقى ، والنغم كخطوة جوهرية في سبيل اشاعة روح الاطمئنان لدى محب الشعر .

وما قولي الا كنقطة من بحر آمل ان تجد ما يجدر بها من اعتبار واهتمام هما جل مرامي في انصاف الشعر .

حلب **ممدوح مولود**

جولة الأديب في شهر

مليكي

بقلم الشيخ عبد العزيز الكحيمي
سفير المملكة السعودية في لبنان

●

كم كنت أتمنى لو سمح لي الزمن ، فاكتب تاريخ مليكي ، وقد عرفته من خلال دراستي الشخصية وتجاربي الخاصةواتصالاتي المباشرة بحكم عملي كشخص من اقرب الناس اليه وانني أتطلع الى ذلك اليوم الذياستطيع ان اسطر فيه سيرة جلالته وكفاحه المستمر في سبيل عزة العرب ومجد الاسلام .

وولد جلالة مولاي الملك سعود بن عبدالعزيز في ليلة الثالث من شهر شوال سنة ١٣١٩ هجرية في مدينة الكويت ، فرأى الحياة مشرقة باسمة والمسلمون في مشارق الارض ومغاربها يرفلون في نعمة عيد الفطر المبارك .

وفي الليلة التالية لليلة ميلاده ، فتحوالده العظيم المغفور له الملك عبد العزيز مدينة الرياض ، فالتقى لال سعود ثلاثة اعياد : عيد ميلاد سعود ، وعيد الفطر المبارك ، وعيد فتح الرياض .

ولقد نضجت شخصية الملك سعودوتفتحت عبقريته في سن مبكرة واظهر من المواهب القوية والذكاء النادر والقدرة على العمل واحتمال المسؤوليات الجسيمة وهو لما يزل في السادسة عشرة من عمره الطويل ، مما جعل والده العظيم يعتمد عليه في هذه السن ويوليه اهتمامه ويسند اليه اخطر الامور واجسمها ، فكان يده اليمنى وساعده القوي في تثبيت اساس الملك وتمكين قواعد العرب وتدعيم كيان العروبة والاسلام .

ان الملك سعود ليرى ، وهو في ميعةالصبا ورونق الشباب ، على بسطة في الجسموالعلم ففي نضجه الباكر واستعداده فكريا وعقليا وجسمانيا لاحتمال المسؤوليات الهامة والتبعات الخطيرة، ظهرت شخصيته واشتهرت فروسيته في كل ركن من الجزيرة العربية ، حتى عد من ابرز ابطالها واكثرهم توفيقا في قيادته وغزواته .

لقد حارب سعود في موقعة ((تربة)) المشهورة ١٣٣٨ وحارب بعدها قبائل عتيبة حينما خرجت على البيعة وكانت تقطع الطريق وانتصر عليها نصرا بارزا اثار الدهشةوالاعجاب وهكذا توالت حروبه وانتصاراته فارسا ذائع الصيت يعد عند الشدة ويعفو عند القدرة .

اما في السلم فكان الملك سعود الثائر على الجهل والفقر ، البناء القوي الساعد لصرحالدولة العربية السعودية في دينهاودنياها لقد بنى سعود وما اكثر ما بنى وشيد واصلح في كل مرفق من مرافق الدولة وفي كلميدان من ميادين الاصلاح وفي كل حقل من حقول العمل المجدي النافع تحدوه الرغبة الصادقة لنفع شعبه .

ان جلالة مولاي الملك سعود قد قامبرحلات متعددة الى دول اوروبا قبل الحرب العالمية الثانية ، فتسابق زعماؤها وملوكها ورؤساؤها الى استقباله والترحيب به ، ثم تتابعترحلات جلالته الى اوروبا واميركا وافريقيا واسيا فلقي ما لقيه من قبل وكون لبلاده كيانا دوليا عالميا ، واثبت بسياسته الحكيمة وبعد نظره وسداد رايه ان جلالته ليس ملكا انبسطت له اسباب السلطان فحسب بل انه ليعدضمانة كبيرة للسلم العالمي والامن الداخلي فيالشرق الاوسط كله .

انني كواحد من المتصلين بجلالته اعرف ما لا يعرف غيري عن سهر جلالته في العمل ليلا ونهارا وفي السفر والحضر بكل جوارحه من اجل دينه واستقلال بلاده ورفاهية شعبهومن اجل الشعوب العربية والاسلامية يتطلعجلالته الى تآلف حقيقي بين الدول العربية فيميادين السياسة والاقتصاد والشؤون العسكرية

لقد استن جلالته سنة حسنة ووضع سياسة حكيمة تهدف الى الحرص على استقلال العالم العربي والعالم الاسلامي اجمع هذا العالم الذي يرتبط بالملكة العربية باوثق الروابط وامتن الوشائج وأعزها قديماوحديثا.

حقق الله لجلالته الامال وابقاه للعرب ركنا مكينا وللاسلام حصنا حصينا انه سميعمجيب

عبد العزيز الكحيمي

عهد ... وملك

بقلم الشيخ عبدالله بلخير
الوزير المفوض لشؤون الاذاعة والصحافةوالنشر

●

عهد زاهر يشرق على المملكة العربية السعودية في حاضرها اللامع ويمتد اشراقه عبر الحدود لتتحدث بمجده الصحف وتباركه الالسنة والاقلام ، وفي ظل هذا العهد الزاهر تسير القافلة .. قافلة التقدم الى الامام وهي في سيرها تخطو خطوات واسعة في سبيل الاصلاح والكمال المنشود الذي رسمه وتعهده بالعناية والنماء حضرة صاحب الجلالة الملك سعود الاول ملك هذه المملكة الفتية الناهضة ..

والمتتبع لتاريخ هذه المملكة العريقة في الانساب والحديثة العهد بالنهضة ليدهش عندما يرى كل هذه الخطوات الواسعة التي خطتها في مجال الاصلاح والمعرفة والكمال ..

وعهد حضرة صاحب الجلالة ، هو العهد الزاهر في حياة الشعب السعودي ، لقد بدأ عهد سعود منذ ذلك اليوم الذي ولد فيه جلالته في الكويت واقترن مولده بيوم افتتاح الرياض ، ذلك اليوم الذي تم فيه لال سعود البواسل استرداد ملكهم المغتصب وارساء قواعد حكمهم الرشيد النير .

وكان جلالة المغفور له الملك عبد العزيزينظر الى ذلك الحدث في تاريخ هذه المملكة كبداية جميلة لعهد مشرق ..

ولقد أوسع المؤرخون تلك الحقبة من تاريخ هذه المملكة بالدراسة والتحليل وخرجوا من كتاباتهم كلها يشيدون بعبقرية الملك الراحل ، ومضت الامور في سيرها ، وكان يدير الدفة ملك حكيم أرسى قواعد هذه المملكة ليسلمها من بعده الى شبله العظيم سعود ولي عهده آنذاك ..

وكبر سعود مع الايام ونضجت فيه تلك العبقرية التي أثبتها عهده السعيد واحس كل من يشاركه الجهاد كم هو يبذل من النفس والنفيس في سبيل هذه المملكة ..

وعرف القوم صلابة سعود في الحق وحنكته في السياسة وتجربته وارائه السديدة العاملة للبناء ... للتشييد .. لاستتباب الرفاهية لهذا الشعب ..

ويوم تولى جلالته مقاليد الامور عاهد نفسه على ان يسعى سعيا حثيثا في سبيل الاصلاح والتقدم ، وأحسالعالم كله العربي منهوالاجنبي بالجهود القوية التي يبذلها عاهل الجزيرةفي سبيل بلده والعالم العربي اجمع ، ومن هنا

بدأت الرحلات الطويلة التي كان يشارك فيها جلالته اقطاب العروبة وملوكها اجتماعات هامة كانت ولا تزال هي اللبنة الاولى في تدعيم الجامعة العربية والوحدة الكاملة ..

ومساعي جلالته العربية المشرفة الغر المحجلة التي قام ويقوم بها جلالته لقضايا العروبة في سبيل كل بلد عربي جاهد ويجاهد في سبيل استقلاله ، هذه المساعي سطرها التاريخ في اوسع صفحاته باحرف من نور دليلا ناصعا على المجهود الفذ الذي قام به جلالة الملك سعود الاول في هذا المضمار .

وقد يحلو لنا الحديث عن كل هذه الاعمال الخالدة التي قام بها جلالته في تدعيم الاستقلال للبلدان العربية ومؤازرتها في محنتها بالمال والرجال ، هذا الحديث الذي لا شك ان كل عربي في داخل هذه المملكة وخارجها يعرف عنه الكثير ، والكثير يحمل له في قلبه من اجله اكثر من الحب واجل من الفداء ، ورحلات جلالته الى اوربا واميركا والى الباكستان وهند وايران كانت على اساس تشييد العلاقات الطيبة بين هذه البلدان والمملكة العربية السعودية بوجه خاص وبين العرب وبينهم بوجه عام ... هذه الرحلات التي كانت ولا تزال تبدو آثارها في المحيط الدولي مطلة من علو سامق تشير للفكرة النبيلة التي يعمل من اجلها جلالته ..

لقد رأى العالم اجمع في جلالته الشخصية العربية الابية التي تكرم الجهاد وتسعى اليه .

ورأى العالم في شخص سعود الوفاء المجسم لاخوانه العرب في كل نائبة تنزل بهم فجلالته يسارع لاسداء اليد تلو الاخرى لانه يريد لهم المجد والسؤدد في ظل القومية العربية ورأى العالم في سعود الشخصية العربية المتفتحة الواعية التي تعرف الحق وتسعى لاقرار الحق ... ورأى العالم في سعود الصفات النبيلة ، فهو اذا وعد وفى واذا تكلم ففي كلماته الحكمة البالغة وآمن العالم بنبل القصد الذي يسعى اليه سعود ..

هذا هو سعود كما يعرفه العالم العربي والاجنبي ، اما سعود في الداخل فهو ابر من أب واعظم من عاهل انه لكل فرد من افراد هذه المملكة الشاسعة المترامية الاطراف ، أب رحيم واخ كريم وملك عظيم محبوب ..

ولقد حقق سعود المشيد الاول لهذه المملكة في ظرف قصير اعمالا خالدة ، فهذه النهضة الواسعة التي نلمس آثارها جلية واضحة في معالم حياتنا اليومية تبناها وتعهدها سعود ...

والمشاريع الكبيرة التي اصبحت تعطي أكلها لخير هذا البلد الطيب هي من غرس سعود ..

لقد شاد سعود المدن وسعى الى محو الامية وعمل على انتشار التعليم العالي والمهني وجاهد في ان لا تخلو أية قرية في هذه المملكة من مدرسة او معهد ، والاحصائيات الدقيقة التي تصدرها وزارة المعارف عن النهضة التعليمية هي من اعمال هذا الملك البناء ، واذا نظرنا الى المستشفيات الكبيرة التي انتشرت في طول المملكة وعرضها نتذكر حرص سعود وامله في ان ينال كل فرد من أبناء هذه المملكة العناية الصحية وان سعي جلالته الحثيث لان تحتل بلاده أسمى مكانة جعله يفكر ليل نهار فيما يعود على بلده بالخير والصلاح ...

فهذه مدارس الايتام وملاجيء العجزة ودور التعليم والصناعة والمستشفيات والمصانع الحربية والمصانع الاهلية والمطابع ومعاهد التربية البدنية ومدارس التجارة ، وفي عهد جلالته الزاهر عبدت الطرق ، طرق المدينة ومكة والرياض والخرج والدمام والظهران وجرى التوسع في السكك الحديدية ومشاريع المواصلات ...

لقد وصل سعود هذه المملكة بعواصم العالم شرقيه وغربيه بواسطتين حديثتين اولاهما الطائرات وثانيتهما التليفون اللاسلكي ، ففي المملكة السعودية اكبر خط جوي يعمل داخل المملكة وبينها وبين البلدان العربية ... ومنذ فترة قصيرة احتفلت وزارة المواصلات باتمام اول مشروع اتصال تلفوني بين المملكة العربية السعودية والعالم العربي والاوربي والاميركي ، ثم اتسعت شبكة الاتصال التلفوني اللاسلكي فعمت الهند والباكستان ..

وهناك عملان خالدان راسخان رسوخ الطود الشامخ ، فلقد عمل سعود على تعميم المساجد على نطاق واسع ثم توج هذا العمل الديني الباهر بتلك المأثرة الخالدة ، الا وهي توسعة المسجد النبوي الشريف .

وقد تم هذا المشروع العظيم واحتفل به احتفالا رائعا ، وجاءت افواج المسلمين من مختلف البلدان الاسلامية لتشاهد المسجد النبوي الشريف في مظهره الجميل الرائع بعد اكمال التوسعة .. ولقد دهش العالم في شخص اولئك القادمين يوم رأوا ما حققه البذل السخي في سبيل الله والمسلمين وعادوا يحملون البشرى للعالم الاسلامي بان الله جل وعلا قد قيض للحرمين الشريفين مليكا يهب وقته وراحته في سبيل اعلاء كلمة الدين ورعي حرمات المقدسات الاسلامية ...

وما كاد العمل ينتهي من المسجد النبوي حتى تناقلت اسلاك البرق نبأ مشروع اخر على نفس المستوى النبيل والهدف الاسلامي العظيم ، هو مشروع توسعة المسجد الحرام الذي امر جلالته بانجازه ورصد من اجله اضخم مبلغ صرف في انبل مقصد عرفه التاريخ ، وعاد العمال والصناع والمهندسون يعملون من جديد لتشييد مسجد بيت الله وتجهيزه بما يتفق وقدسيته وما يتناسب مع راحة وفود بيت الله الحرام ، ولا يزال العمل يسير حثيثا في اكماله وسيكون يوم الاحتفال باكماله من الايام المخلدة في تاريخ هذه المملكة وتاريخ جلالة عاهلها العظيم ...

وهناك في الدمام والرياض وفي جدة وفي المدينة المنورة وفي غيرها من بلدان المملكة مشاريع عمرانية يرعاها جلالته بعنايته لتجميل هذه المدن ورفع مستواها الاجتماعي لكي تساير النهضة الحديثة التي تشمل كافة انحاء المملكة ، ونظرا لاتساع الاعمال وتطور العمران لم تغفل حكومة جلالته صيانة الموانيء وتوسيعها بما يتفق مع النهضة الشاملة في هذه البلاد ، وها هو ميناء الدمام على ساحل الخليج العربي وميناء جدة على ساحل البحر الاحمر يعملان لهذه الغاية فهما يستقبلان الاف البواخر الناقلات التي تفد شهريا حاملة مختلف مواد العمران والبضائع او تنقل الزيت الخام من شرقي المملكة الى انحاء العالم وقد عمل جلالته ايضا على رفع روح الزارعين فأمر بان تساهم وزارة الزراعة بقسط وافر في سبيل تشجيع الزارعين ومدهم بالخبرة والالات والمال لنشر الزراعة والعمل على الاكتفاء الذاتي فيما يختص بالمنتجات الزراعية كما أمر جلالته بان تساهم الحكومة في انعاش الصناعة بان تعطى الشركات السعودية اراض للمصانع مجانا وان تفسح ادوات المصانع مجانا كذلك دون ان تحصل عليها أية رسوم جمركية .وامر جلالته بان تستوعب وزارة الدفاع في مشروعها الضخم اكبر عدد من الطلاب تبتعثهم الوزارة ليعودوا ويعملوا في محيطها علاوة على الطلاب الذين تبتعثهم وزارة المعارف وخصص جلالته المدارس العسكرية الابتدائية والثانية لتقدم هذه المدارس طلابا لكلية الملك عبد العزيز الحربية في الرياض التي نسقت على احدث طراز سواء من ناحية التصميم والبناء او ناحية اساليب التدريب واختيار المعدات ، واصبح الجيش السعودي يضاهي في ترتيبه ونظامه وافراده باقي الجيوش العربية ... وامر جلالته باشادة دور للعلم يتلقى الطالب فيها ما يساعده على التزود بالمعرفة لكي يكون مواطنا صالحا يخدم بلده ، فافتتحت المعاهد العلمية في الرياض وفي الطائف وفي حائل وفي بريدة وعنيزة والمدينة المنورة هذه المعاهد التي ستكون نواة لجامعة دينية كبيرة ... وعمل سعود في سبيل الحجاج الكثير من الاعمال المفيدة وسهل للحجاج تادية واجبهم الديني وقام ويقوم بنفسه في كل عام على استتباب الراحة لكل قاصد لهذا البلد الطيب فلقد

افتتح جلالته مدينة الحجاج والمحجر الصحي وامر بايجاد جميع التسهيلات الطبية والاجتماعية للحجاج خلال ادائهم مناسكهم ...

وانشأ سعود معهد الانجال في الرياض ليشارك ابناؤه ابناء الشعب وليتعلم الانجال بجانب ابناء الشعب تعليما دينيا ودنيويا وعمل على ادخال الرياضة في محيط الدراسة في كل مدرسة انشاها ومعهد ...

هذا هو سعود ملك المملكة العربية السعودية وهذا هو سعود حامي الحرمين الشريفين ..

وهذا هو عهده عهد السلام والحرية والاستقرار ...

هذه بعض جهود جلالته الموفقة ، تذكر بالتقدير والفخار ،

وان هذا العهد ليبشر بنهضة اتم واكمل وعلى نطاق اوسع في السنوات القادمة ان شاء الله ...

عبدالله بلخير

لمحة عن حياة الملك سعود والاعمال التي تحققت في عهده

●

● جلالة الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود الكبير بن محمد بن مقرن بن فرحان بن مقرن ، « ملك المملكة العربية السعودية » .

● المملكة العربية السعودية دولة اسلامية تبلغ مساحتها نحو مليون ميل مربع وعدد سكانها بين ستة وسبعة ملايين وعاصمتها الرياض . وفيها تقع مكة المكرمة والمدينة المنورة أقدس الاماكن الاسلامية واهم مواردها النفط. يقوم على الحكم فيها مجلس وزراء برئاسة صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن عبد العزيز آل سعود ولي العهد ووزير الشؤون الخارجية.

● ولد الملك سعود في الكويت بتاريخ ١٥ يناير ١٩٠١ . وبدأ جلالته اسفاره وحملاته في سن باكرة ففي ١٩١٩ قاد حملة لاخضاع قبائل تربة التي كانت تهدد اعداء والده بالمساعدة . وفي سنة ١٩٢١ قاد حملة الى حائل في الشمال حيث استولى على المدينة بعد قتال عنيف اظهر فيه الامير الشاب شجاعة ومهارة في القيادة ، وفي سنة ١٩٣٠ توجه الى الاحساء ليطهر تلك المنطقة من المتمردين.

● في سنة ١٩٣٣ بايعه الشعب السعودي بولاية العهد وبهذا تقلد مسؤوليات ادارية جديدة وقام بزيارات رسمية لعدد من البلدان الصديقة ومنها الولايات المتحدة التي زارها في شهر فبراير ١٩٤٧ في عهد الرئيس ترومان . وفي عام ١٩٥٧ زار جلالته الولايات المتحدة للمرة الثانية بدعوة خاصة من الرئيس ايزنهاور قوبل فيها بحفاوة بالغة .

● في سنة ١٩٣٤ تولى جلالته قيادة الجيوش العربية المرابطة في منطقتي نجران وعسير ايام الحرب اليمنية ، وبعد انتهاء الحرب وتوقيع معاهدة الصلح توجه الى نجران حيث نظم شؤونها .

● في سنة ١٩٣٩ اسندت اليه وكالة القيادة العامة لجميع قوات المملكة

● في سنة ١٩٥٢ اصدر الملك عبد العزيز مرسوما ملكيا بتعيينه قائدا عاما للجيش السعودي وقوى الامن الداخلي كما اسندت اليه رئاسة اول مجلس للوزراء ينشا في تاريخ المملكة

● في سنة ١٩٥٣ (٩ نوفمبر) بويع جلالته بالملك وتسنم العرش بعد وفاة والده فاصبح ملك المملكة العربية السعودية وحامي الحرمين الشريفين وفي هذه المناسبة قال كلمته المأثورة: « اذا كان عهد ابي قد اشتهر بالفتوحات فان عهدي سيكون حربا على الفقر والجهل والمرض»

● قام جلالته منذ توليه العرش بزيارات ملكية لانحاء المملكة كما قام بزيارات خاصة الى العالم العربي والاسلامي ، وكان اول ملك عربي في تاريخ الجزيرة يجوب كل زاوية من انحاء ملكه متفقدا احوال الشعب ولامسا حاجاته ومصمما على النهوض به الى مستوى عال

● من اساليب الملك سعود في الحكم الاطلاع على جميع شؤون الدولة اطلاعا شخصيا كاملا بقصد تأمين رفاهية الشعب وسعادته ، فقد اسفرت رحلاته المتعددة في البلاد عن مشاريع عمرانية تتصل مباشرة بجميع مرافق حياة الامة ، فنظم سبل الحج الى بيت الله الحرام من خارج البلاد وداخلها ، مراعيا في ذلك احوال الامن والراحة والصحة على اوسع نطاق ، ومن ذلك انشاء المحجر الصحي في جدة وهو من احدث واضخم المحاجر التي من نوعه ، وشرع في اتمام العمل الذي كان موضوع اهتمام والده وهو اصلاح وتوسيع المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة حتى اصبح بشكل يليق بمكانته الدينية كما وانه باشر العمل في توسعة المسجد الحرام في مكة المكرمة ولا يزال العمل قائما لاتمام هذا المشروع الجبار

● واخذ جلالته بتعزيز قوات الدفاع من جيش وسلاح جوي فانشأ الكلية الحربية في الرياض واستقدم الخبراء والفنيين وابتعث الشبان الى الخارج للتخصص في الشؤون العسكرية والطيران وغير ذلك من حقول الاختصاص.

● ويشجع جلالة الملك سعود الحركة التعليمية ويوليها الكثير من عطفه وعنايته ، وفي سبيل ذلك تدفع الحكومة رواتب للطلبة لتشجعهم على مواصلة التعليم ويتراوح الراتب ما بين ١٠٠ ـ ٣٠٠ ريال شهريا للتلميذ الواحد ، وكان من نتائج هذا التشجيع ان اقبل الشعب على التعليم اقبالا كبيرا مما دعا الى زيادة عدد المدارس على اختلاف انواعها بصورة مطردة ، فبينما كان عددها في عام ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ لا يزيد على ٢٠٧ اذا هو يرتفع في عام ١٩٥٥ الى ٥٧٠ مدرسة ومؤسسة ، وبينما كان في عام ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ ٣٥ الف طالب اذا هو يرتفع في عام ١٩٥٥ الى ٦٥ الف طالب ، ومن اروع الامثلة على حب جلالته نشر العلم، تلك القصور الملكية الجميلة بجدة التي اهداها لوزارة المعارف لكي تستخدم للتفريج عن ازمة المدارس الشعبية ، وتعرف هذه القصور الان باسم مدينة الملك سعود العلمية وهي نموذج للمستوى الرفيع في النظام والنظافة والاسلوب المدرسي التعليمي ، ويدخل ضمن عناية الملك سعود بالتعليم عناية كذلك بانشاء المكتبات العامة في امهات المدن بالمملكة خاصة المكتبة الكبرى التي انشاها بالرياض وزودها بالقديم والحديث من المؤلفات ، ومما يدخل في هذا الباب التشجيع الذي تلقاه من جلالته المؤلفات العلمية وخاصة المؤلفات الدينية

لمشاهير علماء المسلمين ، فقد امر بطبع الكثير منها على نفقته الخاصة لتزويد المكتبـــات الداخلية وكثير من المكتبات الاسلامية بالخارج.

● وتلقى الرياض من جلالة الملك عنايـة وتشجيعا كبيرا وكثيرا ما يحضر المباريات التي تقام بين الاندية الرياضية الاهلية او بــين الاهلية والفرق الزائرة ويقوم شخصيا بتقديم الكأس للفريق الفائز كما يغدق الجوائز الثمينة على اللاعبين ، وتوجد في المملكة السعودية الان عشرات من الاندية الرياضية الاهلية والاجنبية هذا مع فرق المدارس الثانوية والمعاهد العليا ومدارس الدفاع وكلياتها والفرق الكشفية .

● ويعطف الملك سعود على الايتام عطفـا ابويا كبيرا ويوليهم الكثير من عنايته واهتمامه وقد تمثلت هذه العناية في عشرات الـدور التي انشاها في كل من مكة والمدينة والرياض وفي اماكن اخرى نائية بالمملكة حيث يلقون فيها عناية تامة بكل شؤونهم من ماكل وملبس وتعليم على اختلاف مراحله ، ويدفع جلالتـه جميع نفقات هذه الدور من جيبه الخاص

● وكانت المملكة السعودية من اولى الدول العربية التي اهتمت بتحضير الباديةوتسكينها في اماكن خاصة تربطها بالارض التي تعيش عليها وتمنعها من التجوال والتنقل المستمرعبر الحدود المجاورة الذي كثيرا ما سبب بعض المشاكل الطبيعية التي تحصل دائما معجيران البلاد السعودية في مثل هـذه الظـروف ، وتمنح المملكة السعودية للبادية الاراضيوتحفر لهم الابار وتبني لهم اماكن العبادة والمدارس لابنائهم والوحدات الصحية وتعينهم عـلى الزراعة بالمكائن والبذور وبالخبـراء للعنايـة بزراعتهم ومواشيهم . وقد شجع الملك سعود الحاق ابنية البادية بالمدارس العلمية وبالجيش وخصص لكل طالب ابتدائي يلتحق باحـدى المدارس راتبا شهريا ثابتا لاعانة اهـله في الاستغناء عنه ليتفرغ الى الحياة المدرسيـة الاستقرارية هذا الراتب يتراوح بـين ١٠٠ و٣٠٠ ريال سعودي يتسلمها اهل الطالب وهو نوع من انواع الاغراء المشجع للبادية فـي الحاق ابنائهم بالمدارس اما ماكل الطـلاب وملبسهم ونفقات تعليمهم فكلها في المدارس الداخلية وعلى حساب حكومةجلالة الملكمجانا.

● وفي المملكة العربية السعوديـة اليـوم نهضة صحية رائعة يحتضنها ويضع قواعدها الثابتة الملك سعود ويوليها سهره وتشجيعـه وكان من ثمراتها المحجر الصحي الحديـث الذي افتتح في ميناء جدة في العام الماضي وتكلف ما يزيد على ١٢ مليون ريال سعودي أي ٣ ملايين دولار ويعتبر اكبر محجر مننوعه في الشرق الاوسط ، ويوجد اليوم في المملكة السعودية من وسائل العناية الطبية والوقائية ما سوف نجمله في الفقرات التالية :

٤٢ مستشفى كبيرا مجهزا باحدث ماوصل اليه الطب وبعضها يتسع لخمسمائة سرير ، ٤٣ مستشفى متوسطا ، ٦٩ مستوصفا ، ٢٣ وحدة سيارة ، ٢٨ نقطة صحية ، ٥ مراكـز رعاية الطفولة والامومة ، ١٦ محطة لمكافحة الملاريا ، ٢٨ محطة كرنتينا ، ٢٢ مكتبا صحيا، ٤ مراكز لمكافحة الامراض التناسلية ، ١ مركز لمراقبة الامراض الصدرية ، ١ مدرسة تمريض للصحة والوقاية ، ١ وحدة استكشاف ، ١ وحدة تفتيش

ويبلغ مجموع عدد الاسـرة الموجـودة بالمستشفيات ٥٦٠٠ سرير ويشرف على ادارة هذا الجهاز نيف ومائتا طبيب بينهم عدد كبير من الاختصاصيين المشهود لهم بالخبرةوالكفاءة وبعضهم من ابناء البلاد الذين ابتعثتهمالحكومة الى الخارج فتعلموا الطب على حساب الدولة وعادوا ليسهموا في خدمة بلادهم ، وجميع الخدمات في كل المستشفيات الحكومية تقدم للجميع مجانا بدون مقابل .

● ان طبيعة المملكة السعودية تجعل من الماء مسألة بالغة الاهمية والخطورة لقلته من ناحية ولحاجة البلاد اليه من ناحية اخرى للشرب والاستعمال المنزلي وشؤون الزراعة والري ، ومن هنا كان اهتمام الملك سعود بالمشروعات المائية التي تضاعف من كميات المياه وتوفرها لكل نواحي الاستهلاك ، فتوجد الان في المملكة السعودية بعثات من الخبراء والفنيين تذرع انحاء المملكة بحثا وراء المياه الجوفية وقد كلل بحثها بالنجاح في اماكن كثيرة واهمها اكتشاف مياه الحائر بالقرب من الرياض بعد بحـوث ودراسات شاقة ، ويعد هذا المشروع مناعظم المشاريع في البلاد وسيعممحفرالابار الارتوازية في جميع انحاء الجزيرة العربية وهو مشروع جبار يتولى جلالة الملك بنفسه الاهتمام بـه واخراجه الى حيز الوجود ، وقد اصدرجلالته امره الى وزارة الزراعة بتشجيع المزارعيـن عن طريق تقديم المشورات الفنية وامدادهم بالالات الزراعية واقامة السدود المائية التـي تم منها حتى الان عدد طيب في الطائف وفي المدينة ، وتدرس مشاريع سدود كثيرة فـي كثير من مناطق البلاد ، ولا يزال مشروع الخرج الزراعي يلقى العناية التامة من حكومةجلالته وقد اتسعت اعماله وزاد انتاجه من الحبوب والفواكه والدواجن ، وهذا المشروع يعد اليوم مدرسة عظمى لبث الثقافة الزراعـية بـين المزارعين في جميع انحاء البلاد ، وفي نفس الوقت يزودهم بالبذور والمشاتل والفواكـه والحيوانات الداجنة وطرق تربيتها والعناية بها ، وتشجع الحكومة ارسال الزوار والبعوث الى الخرج لمشاهدة طرق الزراعة والري فيه

● اما المواصلات فهي من المرافق الرئيسية التي تعنى بها حكومة جلالته عناية تامة ، وقد افرد لها بند كبير في ميزانية الدولة ومـن المشاريع العديدة التي تشرف عليهـا وزارة المواصلات الان مشروع اتمام خطوط السكك الحديدية التي تربط الدمام بالرياض حاليـا بحيث يمتد الخط من الرياض الى جده مارا بعدد من المدن بنجد والحجاز وهناك ايضـا مشروع سكة حديد الحجاز الذي يصل المدينة المنورة بدمشق في سوريا ، وهو الخط الذي نسف ايام الحرب العالمية الاولى ، وهـذا المشروع يكاد ان يبدأ العمل فيه عقب دراسات استغرقت شهورا طويلة .

هذا المشروع سيلتقي به مشروع سكةحديد الدمام ـ الرياض الحديث ، وبهذا سيخترق هذا الخط الجزيرة العربية من الخليج الفارسي الى البحر الاحمر ومن حوض البحر الابيض المتوسط في سوريا الى جميع جوانب الجزيرة العربية الجنوبية والشرقية والغربية ، وقدتم تعبيد عدد من الطرق بين مختلف المدن كمـا عبدت طرق كثيرة داخل المدن الكبرى كالرياض وجده والدمام . وتقوم وزارة المواصلاتبتوجيه من جلالته بربط المدن والقرى بشبكة منالطرق العامة ، كما تقوم بانشاء المطارات الحديثة في المدن والمناطق الهامة فقد اصبحت الطائرة اليوم احدىالوسائل التيينتقل عليها السكان بين المدن السعودية وهو شيء لم يكن معروفا

من قبل ، وفي المملكة اليوم عدد من المطارات الحديثة التي تستطيع ان تهبط عليها اكبر الطائرات ، ومن هذه المطارات الجديدة مطار جدة ، ومطار الرياض ومطار المدينة ومطار الظهران

● افتتح جلالة الملك في الشهور الاخيرة اول محطة تلفون لاسلكي في الرياض ، وتعد من احدث المحطات في الشرق الاوسط ، ولاول مرة في تاريخ المملكة يتسنى الاتصال التلفوني من أي مدينة فيها بعواصم الدول في الشرق والغرب الامر الذي له اثره الكبير في انجاز كثير من الاعمال والمشاريع ويوثق الصلات بين المحيط الداخلي والعالم الخارجي .

● ومن المشاريع التي اولاها جلالته اهتمامه الكبير مشروع توسيع محطات الاذاعة في كل من مكة وجدة . ففي شهر صفر - ١٣٧٧ الموافق ايلول ١٩٥٧ ، افتتح الملك سعود المرسلة الجديدة قوة خمسين كيلوات ، ولمحطة المرسلة الجديدة مسرح اذاعي حديث ، وسيكون المسرح والمرسلة الجديدة مفخرتين من مفاخر الاذاعة السعودية

● وسيكون لنا في الرياض بعد سنتين مسرح اذاعي اخر يتسع لـ ٣٠٠ شخص وبجانبه سبعة استديوهات حديثة تبث منها البرامج على موجة متوسطة بقوة ٥٠ كيلووات، موجتين استوائيتين بقوة ٥٠ كيلووات ايضا ثم موجة قصيرة بقوة ١٠٠ كيلووات

● وستكون استديوهات جدة مماثلة لاستديوهات الرياض الا انها تبث برامجها على موجة متوسطة (جاهزة اليوم) بقوة ٥٠ كيلووات وموجة قصيرة بقوة ٥٠ كيلووات وموجة قصيرة اخرى بقوة ١٠٠ كيلووات ، اما برامج الرياض فموجهة الى الشرق كله ، في حين تبث برامج جدة الى العالم الاسلامي خاصة والعالم عامة ويمكن تحويل هذه البرامج المختلفة من مرسلات الرياض الى مرسلات جدة او بالعكس .

● ولا يمكن احصاء المشاريع القائمة على قدم وساق في شتى حقول العمران ، ولا ادراك مدى التطورات المستمرة في جميع ميادين النهضة الحديثة في المملكة العربية السعودية

● وقد اشتهر جلالته بحدبه على وحدة العرب وبسخائه وغيرته واهتمامه بكل ما يعود على العرب خاصة والاسلام عامة بالخير والرفاهية ، وجلالة الملك سعود مسلم صميم متمسك تمسكا وثيقا بمبادىء الاسلام ولهذا فهو من اقوى دعائم الرحمة والخير والسلام في العالم .

منازل الشمس

•

النشيدة التي اذاعها الياس خليل زخريا باسم ادباء لبنان وشعرائه ، في المنهاج الخاص الذي احيته محطة الاذاعة اللبنانية لجلالة الملك سعود وهي تعبر بجلاء ووضوح عن شعور القوميين الامناء الذين يحملون في ضمائرهم الحية مقدرات هذا الجبل .

* * *

ويا ابن عبد العزيز
يا كبيرا من كبر ابيك
.... في فروسية حياتك
.... وبطولة قومك
....وعظمة التاريخ في دارك
.... والزمن في ديارك
هوذا الجبل الاخضر بجناحيه يهفو على وده
وخمائل وده
.. يهفو ...
الى رحبك
ومطارف الشمائل في مطارف رحبك

كأنما نسبه تشعب من اصول نسبك
كانما قلبه قد من شرايين قلبك
... وكانما غصنه على تربه
وفيئه على مائه
هو الغصن من نخيل شطك
هو الظل من واحات رملك
هو الدفء من حرات تربك

تلفت الاخضر الى الاخضر
وتفتح بنا الدهر وتنفس بنا النظر
ووارت الليل في نضالنا تباشير السحر
... وكأن نادي الحجر ...
.... نادى الحجر الاسود اخاه الحجر
حيث ينبت الزرع في منابت الفكر
وحيث يولد الحق في ضمائر البشر

ويا ابن عبد العزيز
نزل من كوثر ربك
.. من كوثر ربنا
.. في نمو ذاتنا
الحق ، والمطر
غيث لا يضعفه السكب
ولا ينقطع فيه وريد الخصب
ولا تتيبس فيه اواصر الحياة
على أعاصير القدر
بطولة من ابيك في متوارث حياتك
وبطولة من نفسك في جهاد ذاتك

تشامخ الجبل ضلعه على ضلعه
وتنبه سمعه ملء سمعه
وباحت شفتاه بما في القلوب
فلا عهده الا العهد العربي من مصادر عهدك
ولا مجده الا المجد العربي من مواطن مجدك
... عقد الزمن عقده الى عقدك ...
... وشد الزمن قصده الى قصدك ...
نزل في عينه وكأنما نزل في عينك
على مودة قلبك ومودة جفنك

كلمته هي من موارد كلمتك
ما تقلبت عليها المحن
ولا استركها الزمن
ولا عكرت فصاحتها الفتن
فاذ يرحب بك
فاذ يرفع اليك الترحيب في رفعة رحابك
فانما يرحب بالكلمة القادمة من منازل الشمس
ألم تصهر ذكاء في مصاهر الرجولة
القديم القديم والجديد الجديد
من ارضك
نبت في ارضك العظيم الذي نبت
وتبارك في مناسكها الكتاب الذي تبارك
وتقدست السورة على قرآنها
عربية كخفقات ضميرك
غنية كخيرات نفسك
شجاعة كقوة جبينك

ويا كبيرا قادما من ارض العظمة
ما رف على المعرفة العربية في خاطرنا
حرف الا ورف خاطر من مشارف صحرائك
وتهلل اسم من مطالع احيائك
كأننا هنا على السرى بين صبحك ومسائك
نلتقي على عليائك ونتسامر على ابائك
سماؤنا هي من قباب سمائك
وماؤنا هو من عمق اعماق مائك

نرود البطحاء كما تنزل انت في السفوح
... وتنزل انت في القمم
تعانق الامل فرحب الحرف
.... وصفق الجفن
.... وهلل القلم
ويا كبيرا
... اعظم بها من رحم ...
... اعظم بها من ذمم ...
عربية الحياة مشرقية القدم
ناجى بها الضمير ونادى بها الدم

يعقد الخناصر على الاخوة
بوركت من اخوة
كانها على الزمن هي البقاء
كانها على الدهر هي الرجاء
هي ... بقية نبوة

الياس خليل زخريا

أنباء العالم في شهر

٢٦ سبتمبر ١٩٥٧ – أوصى مجلس الامن بتجديد انتداب داغ همرشولد لامانة الامم المتحدة خمس سنوات اخرى .

– وصل علي جودت الايوبي رئيس الوزارة العراقية الى دمشق تلبية لدعوة الحكومة السورية وقد جرت محادثات سورية عراقية

– صدر الحكم في قضية المؤامرة الكبرى بالاردن ويقضي بالسجن ١٥ سنة لكل من علي ابو نوار وعلي الحيادي وعبدالله الريماوي وكريم عقله ونذير رشيد .

– اذاع الملك سعود بيانا عن محادثاته في دمشق تحدث فيه عن التضامن العربي ضد كل عدوان يقع على أي قطر عربي وان سوريا لا تشكل خطرا على جاراتها وسياستها عربية .

٢٧ – ادلى الرئيس جمال عبد الناصر بحديث اعلن فيه ان ليس لديه مانع من الاجتماع الى الرئيس ايزنهاور ومباحثته بايجاد حل للازمة الناشبة في الشرق الاوسط وقال ان سياستنا هي ان نؤيد حق الاستقلال وتقرير المصير للجميع وانتهجنا سياسة عدم الانحياز ولكن ذلك لا يعني الحياد بين الرأسمالية والشيوعية فقد اتبعنا النظام الرأسمالي ونحن ضد الشيوعية في بلادنا وان سياسة عدم الانحياز ستساعد قضية السلام وتضع حدا للحرب الباردة . وقال ان الاتحاد السوفياتي ساعدنا في جميع الازمات التي مررنا بها .

– غادر الملك سعود دمشق عائدا الى جدة .

٢٨ – صرح الزعيم المغربي الامير عبدالكريم الخطابي بان الحكومة المغربية وافقت على ارجاع اراضيه المحتجزة اليه .

– اصدر علي جودت الايوبي رئيس الوزارة العراقية اثر عودته الى بغداد بيانا اكد فيه ان الاعتداء على سوريا او أي بلد عربي اخر يعتبر اعتداء على العراق وعلى البلاد العربية

٣٠ – قدم بورجيس مونوري رئيس الوزارة الفرنسية استقالة حكومته بعد ان خذلته الجمعية الوطنية عند طرحه الثقة على اساس مشروع الحكومة الخاص بالجزائر .

اول اكتوبر ١٩٥٧ – انتخبت اليابان لعضوية مجلس الامن باكثرية ٥٥ صوتا ضد ٢٥ صوتا نالتها تشيكوسلوفاكيا كما انتخبت ايضا لعضوية مجلس الامن كل من كندا وبناما .

٢ – توفي في القاهرة الفريق محمد حيدر وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة سابقا وكان الفريق حيدر قد اعتقل بعد انقلاب سنة ١٩٥٢ .

– اعلنت الحكومة التونسية ان طائرات فرنسية خرقت حرمة حدود تونس الجوية واطلقت نيرانها على مراكز الحدود .

٣ – اعلن الرئيس ايزنهاور ان الحالة في سوريا ما تزال تقلق امريكا رغم ان بعض الدول المجاورة لسوريا قد خف قلقها عما كان عليه في البداية .

– قامت مظاهرات كبيرة في تونس احتجاجا على ضرب قرى الحدود بقنابل الطائرات الفرنسية

٥ – اذاعت المملكة العربية السعودية بيانا نفت فيه انها قبلت مشروع ايزنهاور كما انها لم تأخذ أي عون مالي من اية دولة وبانها لا ترى في موقفها هذا ما يكدر علاقاتها الودية بالولايات المتحدة .

– أطلق الاتحاد السوفياتي جرما اصطناعيا راح يدور حول الكرة الارضية كل ٩٥ دقيقة على مسافة ٥٦٠ ميلا في الفضاء والجرم الجديد يرسل معلومات بالشيفرة بالاضافة الى اشارات بث عميقة سجلتها محطة الاذاعة البريطانية واذاعتها على مستمعيها .

٧ – صرح جواهر لال نهرو رئيس حكومة الهند الذي يقوم بزيارة رسمية لليابان انه لا يعتقد ان اطلاق القمر الروسي سيؤثر في الموقف العالمي سوى جعل الناس يفكرون بسخافة الحروب والقوات العسكرية ومن الغريب ان يحدث هذا التقدم العلمي في عالم يسيطر عليه التسابق على التسلح .

٨ – وصل الماريشال جوكوف وزير الدفاع السوفياتي الى بلغراد في زيارة رسمية ليوغوسلافيا .

– اعلن وزير خارجية لبنان في الجمعية العامة للامم المتحدة ان لبنان يقف مع العالم العربي في أي نزاع بينه وبين الدول الاجنبية

– اعلن الرفيق خروشوف ان روسيا تدعو امريكا الى الاتفاق على وضع الصواريخ وكل ما يتعلق بها تحت اشراف دولي وقال اصبحت القاذفات التي يقودها بشر عديمة الجدوى وسلاحا عتيقا . كما اعلن بانه لن تكون هناك مشكلة حقيقية يصعب حلها اذا توصلت امريكا وروسيا الى اتفاق على التعايش السلمي

٩ – اجتمع مجلس الامن لبحث النزاع الهندي الباكستاني على كشمير .

– اعلنت امريكا قبولها الدخول مع روسيا في مفاوضات لوضع الصواريخ والاجرام تحت اشراف دولي كما اعلنت انها لا ترفض زيارة الماريشال جوكوف وزير الدفاع السوفياتي لوشنطن على ان تقبل حليفاتها ذلك .

وكان الرفيق خروشوف قد صرح بان امريكا ردت جهود روسيا لاعداد اجتماع في وشنطن بين الماريشال جوكوف والمسؤولين الامريكيين واعتذر الرئيس ايزنهاور لروسيا واعلن في مؤتمره الصحفي انه اذا كان احد الرسميين الامريكيين قد رفض الاقتراح السوفياتي لايفاد الماريشال جوكوف فانما يكون فعل ذلك عن غير قصد .

١٠ – وصل الملك سعود الى بيروت في زيارة رسمية للبنان .

– اعلن نيكيتا خروشوف ان العالم يجابه خطر حرب جديدة في الشرق الاوسط واتهم ناظر الخارجية الامريكية بتحريض تركيا على البدء بهذه الحرب عن طريق مهاجمة سوريا .

١١ – استقال حسين سهروردي رئيس وزراء الباكستان وعهد رئيس الجمهورية اسكندر ميرزا الى اسماعيل شندريغار زعيم حزب الرابطة الاسلامية المعارض بتشكيل الوزارة .

١٢ – وصلت الملكة اليزابيت الثانية يصحبها قرينها الدوق اوف ادنبره الى اوتاوا في زيارة لكندا .

١٣ – عقد اجتماع بين الملك فيصل والملك حسين بحضور اركان الحكومتين العراقية والاردنية على الحدود بين البلدين .

– نزلت الى البر السوري في اللاذقية قوات مصرية لتعزيز دفاع سوريا ضد أي اعتداء محتمل من تركيا او اسرائيل وذلك بموجب اتفاق القيادة الموحدة السورية المصرية

١٤ – وصل سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية الى وشنطن لاجراء محادثات خاصة

١٥ – اعلنت يوغوسلافيا اعترافها بالجمهورية الالمانية الشرقية .

– وجه نيكيتا خروشوف بوصفه امين الحزب الشيوعي السوفياتي نداء الى زعماء الاحزاب الاشتراكية في سبع دول غربية وشمالية يناشدهم فيه العمل لتجنب نشوب حرب في الشرق الاوسط تؤدي الى حرب عامة .

١٦ – طلبت سوريا من الجمعية العامة للامم المتحدة بحث التهديدات الموجهة ضد امنها وسلامتها على اثر الاحتشادات التركية على حدودها .

مطبعة الشراع
بيروت – الحازمية